من منشورات جامعة الموصل

كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب



تحقيق

الدكتور
نوري القيسي
الدكتور حاتم الضامن
هلال ناجي

من منشورات جامعة الموصل

كفاية الطالب

في

نقد كلام الشاعر والكاتب

لضياء الدين بن الأثير
المتوفى سنة ٦٣٧ هـ

تحقيق

الدكتور نوري حمودي القيسي

الدكتور حاتم صالح الضامن

الأستاذ هلال ناجي

بسم الله الرحمن الرحيم

ضياء الدين بن الاثير
من المهد الى اللحد

في جزيرة ابن عمر الخصبة الوادعة المتكئة على الضفاف الغربية لاعالي نهر دجلة ، وقبالة جبل الجودي الذي استقرت عنده سفينة نوح ، وفي احضان اسرة عربية من شيبان ، ولد نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجَزَري المعروف بابن الاثير .

كان ذلك في العشرين من شعبان سنة ثمان وخمسين وخمس مائة . كنيته ابو الفتح ، ولقبه ضياء الدين . والجزري نسبة الى جزيرة ابن عمر . وهذه الجزيرة من

رجعنا في هذه الترجمة الى المصادر التالية ،

١ ـ وفيات الاعيان ٥ / ٣٨٩ ـ ٣٩٧ .
٢ ـ عبر الذهبي ٥ / ١٥٦ .
٣ ـ مرآة الجنان ٤ / ٩٧
٤ ـ الحوادث الجامعة ١٣٦
٥ ـ ذيل الروضتين ١٦٩
٦ ـ شذرات الذهب ٥ / ١٨٧ ـ ١٨٨
٧ ـ بغية الوعاة ٢ / ٣١٥ (وهو ينقل عن المقفى للمقريزي)
٨ ـ النجوم الزاهرة ٦ / ٣١٨
٩ ـ مرآة الزمان في تاريخ الاعيان (ط ١ حيدر آباد ١٩٥٢) ص ٤٣٦ ، ٤٤١ ـ ٤٤٢ .
١٠ ـ تكملة اكمال الاكمال ص ٤ ـ ٦
١١ ـ العسجد المسبوك ٤٩٦
١٢ ـ ذيل مرآة الزمان ١ / ٦٤ ـ ٧٠
١٣ ـ دول الاسلام للذهبي ٢ / ١٠٩
١٤ ـ مفرج الكروب ٦٤ ، ١١٢ و ج ٤ / ١٩٨ ، ٢٠٠ ـ ٢٠١ ،
١٥ ـ ديوان فتيان الشاغوري ص ٢٠٣
١٦ ـ مفتاح السعادة ١ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣
١٧ ـ رسائل ابن الاثير ، نشرة انيس المقدسي .
١٨ ـ كشف الظنون ١٥٨٦ ، ٢٠١٢
١٩ ـ هدية العارفين ٢ / ٤٩٢ ـ ٤٩٣
٢٠ ـ المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم .
٢١ ـ المثل السائر ، بتحقيق طبانة والحوفي .
٢٢ ـ تاريخ ابن الفرات ـ المجلد الرابع بتحقيق الدكتور حسن محمد الشماع .
٢٣ ـ شفاء القلوب في مناقب بني ايوب ، الحنبلي
٢٤ ـ الجامع الكبير ، ابن الاثير
٢٥ ـ كتاب الروضتين ٢ / ٢٢٨ ـ ٢٣١
٢٦ ـ السلوك ١ / ١١٥ ـ ١٣٥ .
٢٧ ـ معجم الانساب والاسرات الحاكمة ، زامباور
٢٨ ـ ترويح القلوب في ذكر الملوك بن بني ايوب ، الزبيدي
٢٩ ـ بروكلمان ٥ / ٢٧١ ـ ٢٧٤
٣٠ ـ تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ ٣ / ٥٣٥ ـ ٥٤١
٣١ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ، زيدان ٣ / ٥٣ ـ ٥٤
٣٢ ـ الاعلام ٨ / ٣٥٤
٣٣ ـ معجم المؤلفين ١٣ / ٩٨ ـ ٩٩
٣٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية (ط ٢)
٣٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية (ط ٢) ١ / ٢٠٧ ـ ٢٠٨
٣٥ ـ دائرة معارف البستاني ٢ / ٣٢٥ ـ ٣٢٧
٣٦ ـ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان
٣٧ ـ نهاية الارب للنويري ١ / ١٧٥ ـ ١٧٦
٥٩٠ ، ٢٨٤ [illegible]
٣٨ ـ ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد
٣٩ ـ بنو الاثير الفرسان الثلاثة ، محمد عبدالله الحمدان
٤٠ ـ صورة الارض لابن حوقل (محمد بن علي الموصلي)
٤١ ـ معجم البلدان . ياقوت الحموي ـ وستنفيلد

مدن ديار ربيعة تحيط بها دجلة احاطة الهلال ، ثم فتح هناك خندق أجري فيه الماء فغدت جزيرة يحيط بها الماء من كل جانب .

واختلف في أمر بانيها ، قيل هو يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقيين . وقيل انشأها أوس وكامل ابنا عمر بن أوس التغلبي ، قاله ابن المستوفي في تاريخ اربل . وقال ابن خلكان هو عبد العزيز بن عمر البرقعيدي .

وقد أفاض ابن حوقل في وصفها وعدّها مدينة تجارية تأتيها البضائع من ارمينية وبلاد الروم وميا فارقين وارزن فتشحن بالمراكب الى الموصل . حتى قال : « وهي أحسن تلك الناحية عمارة وارجاها سلامة لوفور اهلها وكثرة خصبها » أما ياقوت الحموي فقد ذكر ، ان رستاقها ـ وهي القرى والاراضي المحيطة بها ـ خصبة واسعة الخيرات ، ونسب اليها جماعة كثيرة من ذوي الفضل ، منهم ابناء الاثير الثلاثة ، وكل منهم امام .

عربي صليبةً كان ضياء الدين . أما ابوه الاثير وهو لقب محمد بن محمد فقد كان سريًا طيب السيرة ، ولد ابنه الاكبر مجد الدين المبارك سنة اربع واربعين وخمسمائة ، وولد ابنه الثاني عز الدين علي سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، ثم رزق باصغر ابنائه وهو صاحبنا ضياء الدين سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

نشأ نصر الله بالجزيرة ونهل العلوم بها ، ثم انتقل الى الموصل صحبة أبيه في رجب سنة ٥٧٩ هـ ، حيث عكف على دراسة اللغة وعلومها وآداب العربية وحفظ القرآن الكريم وشيئاً جليلًا من أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكان محفوظه من الشعر العربي شيئاً لايحصى ، من بعضه دواوين أبي تمام والبحتري والمتنبي . ان ملكة الحفظ هذه عضدتها موهبة وقدرة على الاستنباط ، فاخرجت لنا عالمًا جليلًا من علماء البلاغة ومنشئاً فذاً وناقداً اديباً من طراز رفيع .

ويبدو بوضوح ان الاثير وكان يتولى ديوان جزيرة ابن عمر لقطب الدين مودود بن زنكي ، قد حرص على تثقيف اولاده الثلاثة وتنشئتهم تنشئة علمية رفيعة . فليس صدفة ان ينبغ الثلاثة فيصنفوا المصنفات الجليلة كل حسب تمرسه واختصاصه . وليس صدفة ابداً أن يكون الاكبر اماماً في المحدثين والاصوليين وان يكون الاوسط اماماً في المؤرخين وان يكون الاصغر اماماً في المنشئين والناقدين . ومن الغريب ان عز الدين بن الاثير ـ المؤرخ ـ لم يذكر تاريخ وفاة والده .

ان هذا السكوت دفع الدكتور مصطفى جواد الى الاستنتاج بأنّ « الاثير » كان حياً في بعض عهد نور الدين ارسلان شاه (٥٨٩ ـ ٦٠٧ هـ) .

والصواب في رأينا انه كان حياً طوال عهد نور الدين ارسلان شاه . ذلك اننا ظفرنا برسالة كتبها ضياء الدين الى أبيه يعزيه في وفاة ابنه الاكبر مجد الدين . ولما كانت وفاة مجد الدين ثابتة في ذي الحجة من سنة ٦٠٦ هـ . فتكون وفاة « الاثير » بعد ذلك .

من المحزن ان عدداً من تراجم القدماء لصاحبنا قد ضاعت .
ضاعت ترجمة ابن المستوفي له في تاريخ اربل والتي اشار اليها ابن خلكان في الوفيات ٥ / ٣٩٦ .

وضاعت ترجمة ياقوت الحموي له في معجم الادباء في الضائع من الجزء السابع . وأجود ماوصلنا ترجمة ابن خلكان له في وفيات الاعيان ٥ / ٣٨٩ ـ ٣٩٧ ، وهي ترجمة تأثر بها كل من كتب بعده من القدماء والمحدثين .

لكن هذه الترجمة وسواها لم تحفظ لنا اسماء شيوخه وأساتذته . ويغلب على ظنّنا ـ بسبب تقارب سنه مع سن اخيه عز الدين علي وعيشهما معاً في الموصل في كنف والدهما ـ انه درس على اساتذة اخيه الذكور ومنهم خطيب الموصل ابي الفضل الطوسي ويحيى الثقفي . وقد يكون درس على اخيه الاكبر المحدث الاصولي مجد الدين .

هذا عن شيوخه ، وبسبب نقص في المصادر فان الذين ترجموا له قديماً وحديثاً ـ تأثروا بابن خلكان ـ وظنوا بداية عمله في الدواوين كانت سنة ٥٨٧ هـ حين قصد الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب ووجه الصواب في هذا . ان بدء عمله مُنشئاً في الدواوين كان في خدمة الامير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل والذي تولى عليها عام ٥٧١ هـ نيابة عن سيف الدين غازي . تؤكد هذا الرسالة الاولى في كتابنا هذا وقد صرح في اولها : « انه كتبها عن نفسه الى الامير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل وكان في خدمته فنزغ الشيطان بينه وبينه ففارقه ، وسار الى الشام ، واتصل بخدمة الملك الافضل علي بن يوسف فنال منه حظاً ، وأصدر هذا الكتاب يتضمن ملامة وعتابا » .

وهذه الرسالة رغم مافيها من عتاب ، تطفح بالمودة وتؤكد خُليقة الوفاء التي جُبل عليها ضياء الدين فهو رغم مفارقة الامير مجاهد الدين ، عاملٌ على حسن خلافته في مغيبه ، متجنبٌ مكروهه مؤثرٌ محبوبه .

ومما يؤكد ويعزز حقيقة كونه قد خدم في ديوان الامير مجاهد الدين قايماز بالموصل قبل توجهه للشام ، رسالةٌ اخرى كتبها الى الامير مجاهد الدين بعد خروجه فاراً من دمشق عام ٥٩٢ . وهو في تلك الرسالة يتلطف في العودة الى خدمته

ويعتذر عن مفارقته اياه . وهي مصدرة بعبارة «كتاب كتبه عن نفسه الى الامير مجاهد الدين قايماز زعيم الموصل . وكان بخدمته اولاً قبل اتصاله بخدمة الملك الافضل علي بن يوسف » (انظر الرسالة رقم ٣١) .

وعلى وجه التقريب يمكن تحديد الفترة التي عمل فيها في خدمة الامير مجاهد الدين قايماز انها بعد عام ٥٧٩ وقبل عام ٥٨٣ .

وليس صحيحاً ايضاً ماذكره مترجموه من ان اول اشتغاله لدى الملك الافضل علي ابن يوسف كان في شوال سنة ٥٨٧ .

ذلك ان الرسالة الثانية في مجموعتنا هذه كتبها ضياء الدين عن مخدومه الملك الافضل الى والده السلطان صلاح الدين الايوبي عند اول انتصار للافضل على الفرنج في طبرية في ربيع الاول سنة ٥٨٣ هـ . وذلك اول موطن حرب شهده الملك الافضل . وكان والده اذ ذاك نازلاً على حصار حصن الكرك .

وحين نستقريء المصادر التاريخية نجد انتصار الافضل هذا مذكوراً في تلك المصادر . وهي تشير كذلك الى ان السلطان صلاح الدين كان محاصراً للكرك آنذاك . « انظر كتاب الروضتين في اخبار الدولتين ٢ / ٧٥ » . وكل هذا يعزز صحة ماندهب اليه من ان صلة صاحبنا بالافضل تعود الى عام ٥٨٣ على الاكثر . ويبدو ان ضياء الدين استقر عند الافضل حتى عام ٥٨٧ . حيث قصد الملك الناصر صلاح الدين في ربيع الاول من هذه السنة . فوصله القاضي الفاضل لخدمة صلاح الدين في جمادى الاخرة . وأقام عنده ال شوال من تلك السنة . فالمدة التي خدم فيها منشئاً في ديوان السلطان صلاح الدين لم تتجاوز الاربعة شهور . ولدينا من رسائله في تلك الفترة رسالة كتبها الى الديوان العزيز النبوي (ديوان الخليفة العباسي) عن الملك الناصر صلاح الدين « انظر نشرة انيس المقدسي ص ٣١٠ ـ ٣١١ » .

والسؤال . لماذا ترك ابن الاثير ديوان السلطان وآثر الانتقال الى ديوان الملك الافضل . حين طلبه الاخير من أبيه . فخيّره صلاح الدين بين الاقامة في خدمته . والانتقال الى ولده ويبقى المعلوم (الراتب) الذي قرره له باقياً عليه ، فاختار ولده . ومضى اليه ؟؟

نحن نعتقد ان القاضي الفاضل وجد في ابن الاثير مزاحماً خطراً فآثر ابعاده بوسيلة مهذبة . ونعتقد ايضاً ان ابن الاثير كان يرى نفسه أحق برئاسة ديوان الانشاء لدى السلطان من القاضي الفاضل .

فعمد ـ لفتاً لنظر السلطان وذوي الامر ـ الى معارضة القاضي الفاضل في رسائله . فاذا انشأ الفاضل رسالة انشأ مثلها . وغرضه الأساس الكشف عن تفوقه .

لعله يستأثر بديوان السلطان . وقد وصلنا من هذه المعارضات شيء غير قليل ، بعضه في الرسائل التي ننشرها اليوم . « انظر الرسائل رقم ٣ و ٤ و ٥ و ٦ » .

وفي نص فريد وصل الينا كشف ضياء الدين لابن سكينة شيخ الشيوخ ببغداد عن ذات نفسه حين أطراه ابن سكينة وشبهه بالقاضي الفاضل في الكتابة فردّ عليه ابن الاثير من رسالة (١) :

« اما تشبيهه اياي بفلانٍ الكاتب فربّ كلمة تقول لصاحبها دعني ، ولقد وضعني بقوله هذا وهو يرى انه رفعني ولم يضعني . لكن يغفر له ذلك لسلامة قصده ، ويحمل على انه اشتبه الذهب والنحاس على نقده . وما أراد الا ان يبلغ بفضيلتي فوق طوقها فلم يبلغ بها طوقها ، وقد تأسيت في هذا المقام بضرب الله مثلًا ما بعوضة فما فوقها . ولو انصفني لقال ان الحيّ خيرٌ من الميت ، وفرقٌ بين خاطر يضيء زيته وخاطر يضيء بلا زيت ، « في طلعة البدر مايغنيك عن زحل » .

وان قيل ان الاول افضل من الاواخر ، فان الاواخر ههنا افضل من الاول . وقد علم ان ذلك الرجل رزق دولة سيفها افصح من كتابه . وخطبها أعظم ان يفتقر الى تزوير خطابه ، فكان يقول عنها بعض مايرى ، ولافضل للقلم اذا جرى بحكاية ماجرى . فتفضل يامولاي واعطني دولة كتلك حتى اخطب عنها خطابة تكسوها فوق مجدها مجداً ، وتكره ألسنة الاعداء ان تنطق لها حمداً وتتمثل على وجهها غرة وفي جيدها عقداً . ويقال عند ذلك ان القلم أغنى عن السيف فلم يحوجه ان يفارق غمداً » .

فهذا الصراع الخفي بين هذين العملاقين ، القاضي الفاضل الذي يريد الابقاء على مكانته رئيساً لديوان الانشاء عند السلطان ، وابن الاثير الذي رأى نفسه أحق بهذه المكانة ، كان وراء اقامة ضياء الدين القصيرة لدى السلطان ، وكان وراء ايثاره العودة الى الافضل ، فاستوزره الافضل وحسنت حاله عنده وكان في أوج شبابه .

وينتقل السلطان صلاح الدين الى جوار ربه عام ٥٨٩ هـ . وكان قد قسم مملكته بين اولاده واخيه وبعض اقاربه في حياته . وكانت مملكة دمشق من حصة الافضل فاستقل بها ، كما استقل ضياء الدين بالوزارة ورُدّت امور الناس اليه . وهنا يجمع المؤرخون على ان ابن الاثير وقع في اخطاء سياسية جرّت عليه وعلى مخدومه الوبال والخسران .

---

(١) نشرة انيس المقدسي ص ٣٦٣ .

قالوا ، ان ابن الاثير حسَّن للافضل ابعاد أمراء أبيه وأكابر اصحابه ، وأن يستجد امراء غيرهم(١). ففارقه جماعة منهم الامير فخر الدين جهاركس ، وفارس الدين ميمون القصري وشمس الدين سنقر الكبير ، وكانوا عظماء الدولة ، فصاروا الى الملك العزيز عثمان بالقاهرة فاكرمهم ، وولى فخر الدين أستاذية داره وفوض اليه أمره . وجعل فارس الدين وشمس الدين على صيدا وأعمالها ، وكان ذلك لهما ، وزادهما نابلس وبلادها(٢).

وقال العماد الكاتب ، « كان العزيز بمصر يقرِّب أصحاب ابيه ويكرمهم ، والافضل بدمشق يفعل ضد ذلك يقرب الاجانب ويبعد الاقارب ، وأشار عليه بذلك جماعة داروا حوله كالوزير الجزري الذي استوزره(٣) » .

وقالوا ، انه قد اساء العشرة مع أهل دمشق(٤)

وقال مصطفى جواد ، ان ابن الاثير لم يقابل احسان القاضي الفاضل بالاحسان ، فان الفاضل ترك دمشق ايضاً وعاف مملكة الافضل ولحق بالقاهرة فخرج الملك العزيز الى لقائه واجلَّ قدومه اجلالاً ، وأكرمه اكراماً(٥).

قلنا ، ولم نجد مرجعاً قديماً اتهم ابن الاثير بذلك . ونص ماقاله صاحب الروضتين هو ، « ولما رأى الفاضل امور الافضل مختلفة تركه وسار الى مصر »(٦).

وقالوا ، انه كان وراء تصلب الافضل ورفضه التصالح مع اخيه العزيز ، مما جرَّ عليه ضياع ملكه .

قال ابن الفرات(٧) ، « فأشار العقلاء من الناس على الملك الافضل ـ صاحب دمشق ـ بمكاتبة اخيه الملك العزيز وملاطفته واسترضائه ومصافاته ، ولو فعل لصلح

---

(١) قال ابن واصل ، « وكان ضياء الدين المذكور لما اتصل بخدمة الملك الافضل شاباً غرّاً ، فحسَّن للملك الافضل ابعاد امراء ابيه وأكابر اصحابه ، وان يستجد له امراء واصحاباً غيرهم ، وقال ، « هؤلاء خواص السلطان وينظرون اليك بتلك العين ، ويعتقدون ان حقهم واجب وجوب الدين ، وهو يحكم المعرفة لك من الصغر ـ يتبسطون ويشتطون ولا يقنعون ، وأعمال دمشق لاتسعهم ، وجميعها لاتقنمهم ، والاعمال المصرية لهم افسح وأوسع . وأما الغرباء ، فانهم يقنعون بأي شيء اعطيتهم ، ويعترفون بحقك ويعظمونك » . وساعده على هذا القول جماعة من اصحابه ممن لارأي عنده ولا معرفة . فاصغى الملك الافضل الى هذا القول ، واعرض عن اصحاب ابيه ففارقه جماعة ... الخ . (مفرج الكروب ٣ / ١٠ ـ ١١) .

(٢) السلوك ١ / ١١٥ ومفرج الكروب ٣ / ١٠ ـ ١١

(٣) مقتبس من رسالة العماد المعروفة بالعتبى والعقبى اورده صاحب الروضتين ٢ / ٢٢٨

(٤) وفيات الاعيان ٥ / ٣٩٠

(٥) مقدمة الجامع الكبير ص ١١

(٦) كتاب الروضتين ٢ / ٢٢٨

(٧) تاريخ ابن الفرات ج ٤ الجزء الثاني ص ١٠٣ ـ ١٠٤

حاله ، واستمرّ ملكه . فان اخاه الملك العزيز كان يقنعه ان يقيم الملك الافضل الخطبة والسكة بدمشق له ، اذ هو صاحب الديار المصرية ، وعنده معظم العساكر الصلاحية . ولو ذل الملك الافضل وانقاد الى اخيه العزيز وارضاه باسم السلطة ، لما عارضه الملك العزيز في دمشق ولا بقاها عليه ، ولم يتمكن الملك العادل من الاستيلاء على ممالك اولاد اخيه . لكنه ترك رأي العقلاء ، وقبل ماأشار به عليه وزيره ضياء الدين بن الاثير ، فانه اشار عليه بان يعتصم بعمه العادل ويلتجىء اليه ويستجير به ويستنجد به على اخيه . وكان هذا من فاسد الرأي (١).

ولفهم هذه الاخطاء السياسية التي قيل ان ضياء الدين بن الاثير قد ارتكبها لا بدّ من استجلاء النصوص التأريخية للوقوف على تطور الاحداث وتسلسلها .

كان الافضل اكبر أخوته ، والمشار اليه ايام صلاح الدين ومن بعده ، وهو الذي جلس للعزاء بعد موت ابيه ، وصار هو السلطان الاكبر . أما اخوه العزيز عثمان فكان اصغر سناً وقد استقل بمصر بعد وفاة ابيه وكانت معه اكثر الجيوش الصلاحية .

شغل الافضل بلهوه وشربه ، وسلّم الامور لوزيره الجزري وحاجبه العجمي فأساءوا السيرة حتى سماه الناس « الملك النوام » . وبان من عجزه انه تخلى عن القدس ـ وكانت في ملكه ـ الى نواب الملك العزيز ، حذراً من تكاليفها واثقالها ، وبادر العزيز الى ارسال الاموال والجند الى القدس لحفظها ، فقوّى ذلك مركز العزيز واضعف مركز الافضل بين الناس .

وحين تتابع خروج اكابر الدولة الصلاحية من دمشق الى مصر ، واحتضنهم العزيز ودبت الوحشة بين الاخوين ، بلغ الفرنج ذلك فطمعوا في البلاد وحاضروا جبلة ثم ابتاعوها من حراسها .

وكانت نابلس واعمالها قد اوقف السلطان صلاح الدين ثلثها على مصالح القدس وباقيها على ابن الامير علي بن احمد المشطوب . فشاركه احد الامراء فيه فمدّوا ايديهم الى الوقف وساءت سيرتهم ، وتخوفوا من افكار الملك العزيز عليهم ، فلجأوا الى الافضل ، فافضل عليهم وسكن اليهم ، فتأثر الملك العزيز بذلك . وحين عجز الافضل عن استعادة ثغر جبيل من الفرنج . عمد الامراء الناصرية المتنقلون من دمشق الى القاهرة والذين بوأهم العزيز مراكز حساسة في الدولة الى الاتفاق على ان تكون كلمة الاسلام مجتمعة على تسلم العزيز مركز ابيه لانه المؤهل لاحياء سنّة

والى مثل هذا الرأي ذهب ابن واصل في مفرج الكروب ج ٣ ص ٤١ .

والده في الجود والبأس والكرم . وقالوا له : اذ توانيت استولت الفرنج على البلاد ، فخرج العزيز بعساكره من مصر قاصداً دمشق . وضاق صدر الافضل حين علم ، واجتمع بمن في خدمته من الامراء ، وكان من رأيه الموافقة على تسلطن اخيه ، وان يكون هو من بعض القائمين بين يديه تسكيناً للفتنة . فأشير عليه بغير الصواب وقيل له : انت الكبير واليك التدبير ، فجدّ واجتهد ، ولا يعلم اصحابك بهذا الخور الذي داخلك والجبن الذي نازلك ونحن بين يديك وكلنا عاقدون بالخناصر عليك .

فأخذ الافضل بهذا الرأي وبعث يستنجد بعمه العادل وباخيه الظاهر وباضحاب حماة وحمص وبعلبك وذلك في جمادي الآخرة من شهور سنة تسعين وخمسمائة . ووصل العزيز ووصل من استنجد بهم الافضل . واستطاع عمهما العادل ان يمنع الحرب ، حين كتب الى العزيز يسأله الاجتماع فتواعدا واجتمعا راكبين بصحراء المزة ، فعذله في اخيه واستنزله عما كان فيه ، فقال : عليّ رضاك واتباع هواك ، فقال له : نفّس عن البلد الخناق ، وكانت دمشق قد بليت منهم بما لا يطاق من قطع الانهار وقطف الثمار ، فانسحب العزيز بجيشه الى صوب داريا والاعوج . هذا ماذكره صاحب الروضتين (٢ / ٢٢٨) عن لقائهما . أما صاحب النجوم الزاهرة (٦ / ١٢١) فقد روى ان العادل قال للعزيز عند لقائهما : لاتخرب البيت وتدخل عليه الآفة ! والعدو وراءنا من كل جانب ، وقد اخذوا جبلة . فارجع الى مصر واحفظ عهد ابيك . وايضاً فلا تكسر حُرمة دمشق ، وتُطمع فيها كل أحد . ثم انتهى الامر الى المصالحة وتزوج العزيز « الخاتون » ابنة عمه العادل ، ورجع كل الى بلده في شعبان سنة ٥٦٠ ثم رجع الافضل الى عادته في اللهو وتسليم الاموراِلى وزيره وحاجبه . وكثر الشرّ ممن حول الافضل في حق الامراء والكبار ذوي الاقدار ، فانفوا من ذلك وازمعوا على الانفصال لسوءة تلك الحال . فممّن سار الى مصر : الامير عز الدين سامة صاحب كوكب وعجلون ، والأمير أيدمر بن السلّار والقاضي محيي الدين محمد بن عبدالله ابن ابي عصرون ، وحرضوه على اخيه وحظوه على انتزاع دمشق ، فقال له الامير أسامة : ان الله يسألك عن الرعية . هذا الرجل قد غرق في اللهو وشربه ، واستولى عليه الجزري وابن العجمي . ثم خوّفه القاضي ابن ابي عصرون بقوله : لاتسلم يوم القيامة .

قال ابن تغري بردي الاتابكي ، وبلغ الافضل قولُ أسامة وابن ابي عصرون فاقلع عما كان عليه ، وتاب وندم على تفريطه ، وعاشر العلماء والصلحاء ، وشرع يكتب مصحفاً بخطه ، وكان خطه في النهاية . فلم يُغن عند ذلك . وتحرك العزيز

يقصده ، فسار الافضل الى عمه العادل يستنجد به ، فانجده . كما تحالف مع أخيه الظاهر صاحب حلب ومع ابن عمه المنصور صاحب حماة .

وكان العادل يشير بصرف الوزير ضياء الدين ابن الاثير الجزري . وكان قد استولى على الافضل ، فلم يقبل الافضل ، فاغتمّ العادل لذلك .

وحدثت نفرة بين العادل والظاهر ، فكتب الظاهر الى العزيز يحثه على الاسراع في القدوم وخيمّ بالفوّار . وشرع العادل في تفكيك قوى العزيز دعماً للافضل ، فكاتب الامراء الاسدية في جيش العزيز وحثهم على تركه والالتحاق بالافضل . وراسل العادلُ العزيز وخوّفه من الأسدية وعرّفه ماانطوت عليه قلوبهم من الغل فكانوا اذا لقيهم عرفوا في وجهه التغير عليهم فرغبوا عنه ، وحسّنوا للأكراد مرافقتهم في الانصراف عنه ففعلوا ، وكان أمير امراء الاكراد ابو الهيجاء السمين ، فرحل ابو الهيجاء والمهرانية والاسدية عشية الاثنين رابع شوال سنة ٥٩١ هـ ، وكانوا اكثر العسكر وقصدوا دمشق والتحقوا بالافضل .

واظهر العزيز عدم المبالاة برحيلهم وقال ، صفونا من أكدارهم ، وبقي في خواصه مقيماً في تلك الليلة ثم رحل الى مصر عائداً . فجاء رسول ابي الهيجاء السمين الى العادل يعلمه برحيل العزيز خائفاً ويطلب منه ملاحقة العزيز وأخذه وتسلم ملك الديار المصرية . واتفق العادل مع الافضل على انتزاع مصر من العزيز وساروا بجيوشهم نحوها . واستناب الافضل بدمشق أخاه الأصغر قطب الدين موسى . وخاف العزيز من الأسدية الذين بالقاهرة ان يفعلوا فعل اخوانهم فيمنعوه من دخول البلد وكان أميرهم بهاء الدين قراقوش قد استنابه العزيز بالديار المصرية . فلما وصل العزيز تلقوه والى ذروة سلطنته رقوه . وتسلم ابوالهيجاء السمين القدس واعماله وما يجاوره من اعمال الساحل بأمر الافضل والعادل فرتب فيها نوابه واسكنها اصحابه ، وصحبهم الى الديار المصرية لمحالفة الاسدية . وساروا حتى نزلوا بلبيس وفيها جموع من الصلاحية يقودهم فخر الدين جهاركس وطائفة من الاكراد أميرهم هكدري بن يعلى الحميدي ومعهم العزيزية . فنازلهم جيش العادل والافضل وحلفاؤهم وكادت بلبيس أن تؤخذ . ثم ظهرت ندامة الاسدية وضعفت معونتهم وضوعفت مؤونتهم(١) فخاف العادل من مكرهم والعدول الى مستقرهم ، فأرسل الى القاضي الفاضل .. يستوفده للاستزارة ويسترشده بالاستشارة . وظهرت منه قرائن تدل على أنه لايريد انتزاع مصر من يد العزيز ، وامتنع القاضي الفاضل لاعتزاله

(١) قال ابن الفرات ٤ / ٢ ص ١٢١ ، وكان نزول الملك العادل والافضل عليها وزيادة النمل قد بلغت منتهاها واحتمت البلاد بما عمها من الماء . وكانت الاسعار عالية والعلف معدوماً ومنع النيل نقل العلف اليهم .

وانقطاعه الى داره فتضرع اليه العزيز واقسم عليه ، فخرج الى العادل ، فأحترمه واكرمه وتحدث معه بما قرره . وعاد الفاضل الى العزيز وتحدث معه ، فارسل العزيز ولديه الصغيرين مع خادم له برسالة ظاهرة ، مضمونها : « لاتقاتلوا المسلمين ولا تسفكوا دماءهم ، وقد انفذت ولديّ يكونان تحت كفالة عمي العادل ، وأنا انزل لكم عن البلاد وأمضي الى الغرب » . وكان ذلك بمشهد من الامراء ، فرقّ العادل وبكى من حضر . فقال العادل : معاذ الله ! ماوصل الامر الى هذا الحد .

وكان العادل قد قرّر مع القاضي الفاضل اعادة املاك الاسدية واقطاعاتهم اليهم ، وان يظل ابو الهيجاء والياً على القدس . ثم قال العادل للافضل : المصلحة ان تمضي الى اخيك وتصالحه ، ماعذرنا عند الله وعند الناس اذا فعلنا بابن اخينا ما لايليق . وكان العزيز ارسل يقول للعادل مع الخادم المقدم ذكره : « البلاد بلادك وانت السلطان ونحن رعيتك » . قال ابن الفرات : واتفقوا على ان كل من في يده شيء يبقى على ماهو عليه . وتسير العساكر مع العادل الى بلاد فلج ارسلان في أوان الربيع » :

قال ابن تغري بردي الاتابكي : ففهم الافضل ان العادل رجع عن يمينه ، وانه اتفق مع العزيز على اخذ البلاد منه ، لكنه لم يمكنه الكلام ، ومضى الى أخيه الملك العزيز واصطلحا ، وعاد الى دمشق . ودخل العزيز والعادل والاسدية الى القاهرة في الرابع من ذي الحجة . ووصل الافضل الى دمشق(١) غرة المحرم سنة ٥٩٢ وصار الساحل كله تحت حكمه فلازم صيامه وقيامه وقلل شرابه وطعامه وحسن شعاره واستوى ليله ونهاره . قال المقدسي في الروضتين : « ووزيره الجزري قد بلى الناس منه ببلايا وهو في غفلة عن تلك القضايا ، وكان يدخل اليه ويوهمه من قبل اقوام انهم عليه وانهم يميلون الى اخيه فيصدقه الافضل فيما يدعيه فصار يبلغ العادل عنه احوال ماتعجبه بل تغضبه ... » .

وقال ابن تغري بردي الاتابكي : « لما عاد الافضل الى دمشق ازداد وزيره الجزري من الافعال القبيحة ، والافضل يسمع منه ولا يخالفه ، فكتب قيماز النجمي وأعيان الدولة الى العادل يشكونه ، فأرسل العادل الى الافضل : « ارفع يد هذا الاحمق السيء التدبير القليل التوفيق » . فلم يلتفت » .

وقال ابن الفرات : « ولزم الملك الافضل الزهد والقناعة ، واقبل على العبادة ، والامور كلها مفوضة الى وزيره ، ضياء الدين بن الاثير الجزري ، وقد اختلت الاحوال به غاية الاختلال ، وكثر شاكوه ، وقل شاكروه » .

---

(١) انظر رسالة ابن الاثير كتبها للافضل وهو عائد الى دمشق (المقدسي ص ٢٩٧)

قال المقدسي : « وكان العادل بمصر مستوطناً للقصر . فوعد الجماعة بازالة يد الوزير الجزري وردّه الى بلاده . وقرر مع العزيز تسيير عسكره معه الى الشام ليمهد له قاعدة الملك في سائر بلاد الاسلام » .

ولقد حاول الملك الظاهر تسكين هذا الرهج الثائر فارسل من قبله أخاه الملك الزاهر مجير الدين داود بن صلاح الدين ومعه سابق الدين عثمان صاحب شيزر والقاضي يوسف ابن شداد . رُسُلاً الى اخيه العزيز . ولما انصرفوا من مصر . مرّوا بدمشق فاعلموا الملك الافضل بما ابرم من الامر فضاق صدره وطال فكره واستشار اصحابه فأشار عليه شيوخ الدولة بان يستقبل اخاه وعمه ويسلم لهما حكمه . وأشار ابن الاثير الجزري واصحابه بالتصميم على المخالفة وترك المجاملة والملاطفة(١) . ثم دخل عليه اخوه الملك الظافر خضر فشجّعه وصبّره وتولى تهيئة اسباب الدفاع ووصلت رسل الظاهر تعد بالمعونة .

قال عماد الدين الكاتب : لما كثرت الاخبار بمصر بما يعتمده ضياء الدين بن الاثير من الاحوال الرديئة والسيرة المذمومة بالشام . تحركت عزيمة الملك العادل للسفر بعساكر الملك العزيز . ووعد بازالة ضياء الدين بن الاثير وطرده عن البلاد واصلاح مافسد من الأحوال .

ولقد رفض بعض المؤرخين المنصفين مثل محمد بن سالم بن واصل (المتوفي سنة ٦٩٧) كلام العماد هذا وقال ، وعندي انه ربما ذكر ذلك تقية في ذلك الوقت وخوفاً من الملك العادل . والا فالذي اعتقده وبلغني من جهات عديدة . ان الملك العادل لما قدم الى دمشق نجدة للافضل . ورأى من ركة الملك الافضل مارأى . حدثته نفسه بالاستيلاء على دمشق وتملكها . وصار يعمل الحيلة في ذلك . ولما قصد الملك العزيز البلاد بعساكره . توصل الملك العادل الى تحصيل غرضه بايقاع الخلف بين الصلاحية والأسدية . وبين الاسدية والملك العزيز . ونفّر كلاً منهم من الآخر . وأوجب ذلك رجوع الملك العزيز الى مصر على الصورة التي ذكرناها . ولما تمّ له ذلك . حسُن للملك الافضل قصد الديار المصرية . واجتمعا بالخارجين على الملك العزيز . وكان قصد اولئك لحاق الملك العزيز ومنعه من الدخول الى الديار المصرية . ولم يكن ذلك في الباطن من هوى الملك العادل ولا اختياره . ولم يزل يثبطهم ويستوقفهم حتى

---

(١) في مفرج الكروب ٣ / ٥٩ « ان الافضل » كاد يقبل قول (شيوخ الدولة) ويصغي اليه . فدخل عليه وزيره ضياء الدين ابن الاثير فثناه عن هذا الرأي وصرفه عنه وقال له : انت اكبر الاخوة وافضلهم . وما ثم عجز وفي الغيب لله قضايا . وله ألطاف خفايا . ودمشق مدينة حصينة وأهلها يحبونك ويؤثرونك »

وصل الملك العزيز الى كرسي ملكه ، ووصل العادل والملك الافضل الى بلبيس وحصراها فلم يظن أحد الا ان الامر قد تم ، وان الملك العزيز قد تلاشى أمره بالكلية ، فحينئذٍ أراد العادل ان يقلد المنّه العظمى للعزيز ، بان ردّ الملك العزيز الى ملكه ، وأبقى عليه بلاده بعد ان وقّع الاشراف على أخذها ، فحينئذ استدعى القاضي الفاضل – كما ذكرنا – وقرر قواعد الصلح ، وردّ الملك الافضل الى بلاده ، ووصل الى مصر ، وقرّر قواعد الملك العزيز ورتب اموره ، وتمكن منه التمكن الكلي ، فحينئذٍ طلب منه في الباطن أن تكون دمشق له ، ويكون نائباً عنه بها ، ويعطى الملك الافضل موضعاً صغيراً بعد اخراجه من دمشق ، وتكون الخطبة والسكة للملك العزيز في الممالك الايوبية كلها ، ويكون هو السلطان الاعظم مكان أبيه ، فأجابه الملك العزيز الى ذلك ، وتحالفا واتفقا عليه ، لكن كان ذلك كله بينهما ، ولم يظهر للناس سرّه الا بعد وقوع ماوقع ... »

ومثل هذا الاستنتاج المنطقي يردّ التهمة عن ابن الاثير ، وقد اورده ابن الفرات ايضاً . وهو يكشف ان اخراج الافضل من الشام كان مقرراً بين العادل والعزيز باتفاق سرّي بينهما .

أما اقوال العماد الكاتب ، فقد ذهب ابن واصل وابن الفرات الى انها تقيّة من العادل . ونقول ، ان اتهامات العماد لابن الاثير موضع شبهة ولا يمكن التسليم بها بسبب الخصومة بينهما . فقد اورد ابن واصل مامثاله ، قال عماد الدين ، وجاءني الخبر ان وزيره قد قرّر عنده عند قرب العساكر من البلد نهب دوري واملاكي ، فاستأذنت الملك العزيز في الدخول الى البلد ، فاذن لي على كراهية ، فلما دخلت البلد اجتمعت بالملك الافضل ، وقلت له القول الافضل ، فأبى ان يسمع او ان يقبل ، وحرمت في حظي الثاني والاول » .

قال ابن واصل ، ولما تكاملت العساكر ببركة الجب ، سار العزيز والعادل بالجحافل والعساكر المتوافرة ، ولما وصلا الى الداروم ، وصل فلك الدين أخو الملك العادل لأمه رسولا من الافضل الى عمه بمشافهة منه ، فأبلغه الرسالة فاقبل عليه العزيز وانعم عليه . قال عماد الدين الكاتب ، فأقام فلك الدين هناك اياماً ، ثم عاد الى دمشق مثرياً بجود النقود وبدور البدَر ، وعاد حميد الورد والصدر ، واقمنا نترقب كتابه فنفذ من ذكر ان الملك الافضل قد أبى ونبا ، واستوثق وسوّر وخندق ، وأنه لايجنح الى السلم ، ويقول ، كما كفاني الله في الماضي يكفيني في المستقبل » .

ثم سار الملكان ، العادل والعزيز الى دمشق فنازلاها ، ولم يحدثا قتالاً وكتب الامراء بدمشق والاكابر متواصلة اليهما ، فجرت المخابرة بينهم وبين العزيز

والعادل . وفي السادس والعشرين من رجب سنة ٥٩٢ زحف العسكر على دمشق فما صدّهم صادّ ، ولا ردّهم راد ، ولم يقاتلهم غير الملك الظافر خضر بن الناصر ، فانه قاتل وثبت مع جماعة من عسكر الظاهر . ولم يعلم حقيقة المخابرة ، فلما لم ير معه من يقاتل ولىّ منهزماً وقد جرح .

وفتح المستحفظون الابواب للمهاجمين ، فدخل العزيز والعادل بجيوشهما . ثم أخرج الافضل وعياله الى صرخد بعد ان بيعت امواله وحيواناته وكتبه ومماليكه فلم توف بما عليه من دين .

وقام الافضل باخفاء ابن الاثير في صندوق من بعض صناديقه ، خوفاً عليه من القتل ، وكان قد ترقبه اقوام ليقتلوه فلم يظفروا به .

وكان العادل يبغض ابن الاثير لقسوة قلمه في مراسلته

قال عماد الدين : « ومن العجب ان الملك الافضل مع علمه بشؤم وزيره . وان كل ماهو فيه من النقص والنقض بادباره وسوء تدبيره ، ضمه اليه وترفرف بجناحه عليه ، فاخرجه في قماشه ، وسرّحه بريشه ورياشه ، وكان ادعي عليه بمال فأقر الملك الافضل بوصوله الى خزانته ، وبرّأه من حسابه وخيانته ، وانفصل الى الموصل بمال دمشق واعمالها ثلاث سنين ، وجمع آلافاً مؤلّفه ، ولم يفرّق الافضلَ منها مئين » .

ثم قال عماد الدين فيما روى ابن واصل : « وعهدي بقوم دخلوا عليّ متأسفين على سلامته ، واستقامة أمره في ظعنه واقامته ، فقلت : انما سألنا الله تعالى كفاية شره وسوءه لاسواه ، فقد ابعده الله فلا قرّب نواه » .

تلك وجهة نظر العماد الكاتب ، وهي غير محايدة كما أسلفنا ، للخصومة الثابتة بين الرجلين . ولان العقل يرفض هذه الرواية بشأن الاموال اذ كيف يهرب شخص مختفياً داخل صندوق والخصوم تطارده ، ومخدومه قد صُفّيت أمواله وزال سلطانه ، ثم نتصور ان هذا الهارب كان يحمل معه اموال دمشق واعمالها لثلاث سنين ؟! ألم يكن هذا المال الكثير في حاجة الى جمال تحمله وحراس تحرسه وهو يقطع به الفيافي نحو الموصل ؟

ثم من اين جاءت هذه التهمة وما الدليل الذي يوثقها ؟؟ ابن واصل في مفرج الكروب (٣ / ٦٥) يوردها منقولة عن العماد الكاتب دون تعليق وبالنص الذي اوردناه .

وابو شامة المقدسي في الروضتين (٢ / ٢٣١) يوردها منقولة عن رسالة العماد الكاتب المفقودة والمعروفة بالعتبى والعقبى .

وابن الفرات سقطت ورقات من تاريخه في هذا الموضع من احداث سنة ٥٩٢ فلم يوردها .

وابن تغري بردي الاتابكي ذكرها باختصار في النجوم الزاهرة (٦ / ١٢٥) منقولة عن العماد الكاتب الاصفهاني .

كذلك اوردها سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان (٨ / ٤٤٢) باختصار ناقلاً القصة عن العماد الكاتب .

مصدر هذه التهمة المشينة واحد من كل هذه المراجع التاريخية ، وهو العماد الكاتب . وحين نعرف ما بين العماد وابن الاثير من خصومة فان هذا الاتهام يصبح موضع شك وشبهة .

على الصعيد الآخر نجد في كتابنا هذا نصاً فريداً(١) يعرض فيه ابن الاثير قصة هربه عبر الصحراء وحيداً بلا رفيق ولا صاحب بعد ان فتحت دمشق بسيف الكيد لا بسيف القتال ، ومن استبطان هذا النص نجد ان كاتبه لا يأسى على مافقده من مال وجاه كبيرين ولكنه يأسى لفراق مخدومه الافضل الذي قدمه على اصحابه وان كان متأخر الصحة ، وغادره من برّه في وطن وان كان مقيماً في غربة ، وبسط له قلباً ولساناً ويداً ، وأفسد نظره فلم ير بعده أحداً . والرسالة مرسلة لاخيه في الموصل ـ وهو المبارك مجد الدين على الاكثر ، لصلته الطيبة به ، ولما ذكره الذهبي من وجود القطيعة التامة بين ضياء الدين وأخيه عز الدين المؤرخ ـ والرسالة مؤرخة في الرابع والعشرين من رجب عام ٥٩٢ وكانت دمشق قد فتحت لثلاث بقين من رجب . ولان هذه الرسالة تعكس صورة امينة لفترة حرجة من حياة ضياء الدين ، رأينا ان نقتبس بعض فقراتها ، قال ، « ... لما فتح البلد رماني الاعداء عن يد واحدة ، واخذوني باكباد حارة واغراض باردة ، وما نقموا عليّ الا اني حفظت وأضاعوا ، وعصيت شيطان النفاق واطاعوا » .

وفي هذا اشارة الى وفائه للافضل في الشدة وانه لم يخامر عليه ولا تواطأ مع خصومه ممن فتحوا الابواب للمهاجمين .

حتى قال ، « ثم لم يزل بي سعيهم حتى اخذوا عليّ المسالك ، ونصبوا لي المهالك ، ولو اجتمع الخلق ان يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا على ذلك . فتوكلت على الله ونعم الوكيل ، وخرجت وقلت ، عسى الله أن يهديني سواء السبيل » . وفي هذا اشارة الى ايمانه العميق بالله وتوكله عليه .

وقال ، « واجمعت المسير في يوم طوّلهُ ترقب الوقوع في حبائل الارصاد ، وقصّرهُ الفكر في زكوب لجة البر بغير قرين ولا هاد » .

وفي هذا اشارة الى انه لم يكن معه رفيق سفر ولا دليل يدله الطريق . فكيف يتأتى له وهو في مثل تلك الحالة أن ينقل معه اموال دمشق واعمالها لثلاث سنين !
وقال : « ثم هوّن ذلك نفسٌ لم تكن على زكوب الاخطار ضنينة ، وعزيمة اذا عنّ لها بحر الاهوال كانت له سفينة ، وهمة يقصر عندها المدى المتطاول ولا ينظر عاقبة فيما يحاول ، فسرت غير متكثر برفيق ولا صاحب ، ولا مخلد الى طيب طعام ولين جانب ، وخضت مفاوز تكذب فيها العين والاذن ، وتشفق منها الابدان والبدن » .
وهذا يؤكد انفراده في سفره هذا وجلده وقوة فؤاده . حتى قال : « فكم مفازة خددت خدها ، وهاجرة فللت بالسير حدها ، وكم ليل شطّت غياهبه ، وخشنت مراكبه ، وطال حتى ماتغور كواكبه ، فلا ظل الا ظلّ ذابل او جواد ، ولا سير الا ظهر ربوة او بطن واد ، ولقد وطئت ارضاً لاعهد لها بخفٍّ ولا حافر ، ووردتُ مياهاً ولا عهد لها بوارد ولا صادر ، فلم أحللْ وضيناً ولا غرضاً ، ولا سأمت طولاً ولا عرضاً ، ولم ارح ركابي الا ريثما نأكل علالة ، ونتقمم من بقايا الزاد حثالة . فتناثرت تناثر نضيج التمر ، فلكل طائر منها حظ وبكل دارٍ منها أثر . حتى لقد خفت ان يصبح ريقي فتقاً ، واغدو كالمنبتّ الذي لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . لكن رقبت اسباب المخافة ، واشفقت من نفاذ الزاد لبعد المسافة ، فاخذتها بالاعمال والدؤوب ، وألفتُ بين اشباحها وبين السهوب ، وما زلت على ذلك مراحاً ومغدى ، ومعاداً ومبدا ، وكلما نفذت من الفلوات سداً رأيت أمامي سدا ، حتى ظننت الارض تسير مع الركاب ، وقلت تشابهت الصوى بالصوى والشعاب بالشعاب ، ثم وردت الفرات أجرُّ الركاب ، وكأنما تمشي على أبصارها ، وفي الاكباد حرارة اوام لاتفي حمته باطفاء نارها ... » وفي هذا اشارة الى ماعاناه من مشاق السفر وحيداً عبر الصحراء لارفيق له سوى رمحه وجواده ، يقطع ارضين لاعهد لها بسائر ولا بخُفّ ولا حافر .

حتى اذا وصل الخابور تضاعف الهم وطالبته النفس بالعودة وجزع وحزن وفزع الى دموعه وهو في وحدته وغربته . ولم يأس على مافقد من مال وجاه ، بل كان أساه على فراق مخدومه الافضل .

حتى قال : « وزاد ذلك ماوجدته بأرض الخابور من حرّ ملهب الاوار ، لايفي منه ظلّ شجرة ولا ظلّ جدار . ورأيته به من وجوه كأنما عرضت على العذاب ، او أخرجت من تحت التراب ، وقد نسجت لها الهواجر براقع من قار ، ونفضت عليها الاسقام غبرة معصفرة الازار ، فاعتضت بنارٍ عن جنة ، وتبدلت عن ناس بجِنّة ... »
وفي هذا تصريح بالحالة البائسة التي كانت عليها جماهير الناس في الخابور تفتك بها الامراض والاسقام والاوبئة .

ثم هو يكشف لاخيه عن قوة نفسه رغم عظم المصيبة فيقول ، وتلك النفس بحمد الله محكمة المريرة ، تزهى بشبيبة عزم واكتهال بصيرة ، ولم يورثها صدأ الخطوب الا صقالاً ، ولا زادها ضيق الأيام الا مجالاً ، ثم يصَرح بعزمه على الاقامة بسنجار ليكون بها غريباً ، عسى الله ان يكون لدعائه مجيباً .

آثاره :

اولاً : الآثار المطبوعة :

١ ـ المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر :

هذا الكتاب من أمهات الكتب المصنفة في البلاغة العربية . وهو من أسباب شهرة ضياء الدين بن الاثير . وقد تصدى لنقده ابن أبي الحديد في كتابه « الفلك الدائر على المثل السائر » المطبوع في ذيل طبعة الدكتورين طبانة والحوفي وانتصر لابن الاثير محمود بن الحسين الركني السنجاري وصنف كتاباً سماه « نشر المثل السائر وطي الفلك الدائر » .

كما انتصر له ايضاً عبد العزيز بن عيسى بكتاب سماه « قطع الدابر عن الفلك الدائر » . ولا نعرف مصير هذين الكتابين .

ووقف خليل بن ايبك الصفدي في صف خصوم ابن الاثير فصنف كتابه المعروف « نصرة الثائر على المثل السائر » وقد وصلنا وطبع بتحقيق محمد على سلطاني .

ولقد طبع المثل السائر طبعات عدة أجودها طبعة الدكتورين احمد الحوفي وبدوي طبانة ، وهي في أربعة اجزاء (القاهرة ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٥٩ ـ ١٩٦٢) .

٢ ـ الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور :

نشرة المجمع العلمي العراقي « عام ١٩٥٦ ـ ١٣٧٥ هـ بتحقيق الدكتورين مصطفى جواد وجميل سعيد . وهو في أنواع علم البيان . وقد اعتمد المحققان فيه على مخطوطة دار الكتب المصرية المرقمة ٢٧٠ بلاغة ، وهي كثيرة التصحيف وفاتهما الوقوف على نسخة مكتبة (خدا بخش بتنة فوهي) فهي تعود للقرن السابع الهجري وخطها نفيس مشكول .

٣ ـ الوشي المرقوم في حل المنظوم :

طبع هذا الكتاب طبعة غير علمية في بيروت بمطبعة « ثمرات الفنون » عام ١٢٩٨ هـ . ورغم مرور قرن وزيادة على هذه الطبعة وتعدد مخطوطات هذا الكتاب فلم يطبع طبعة اخرى .

وقد علمنا ان الدكتور جميل سعيد قد حققه ودفعه الى مطبعة المجمع العلمي العراقي ويتوقع صدوره قريباً .

٤ ـ رسائل ابن الاثير : سماها ابن خلكان ٥ / ٣٩٢ « ديوان ترسل » وانه في عدة مجلدات والمختار منه في مجلد واحد » . وقد نشر . الاستاذ انيس المقدسي في بيروت سنة ١٩٥٩ مجموعة من رسائله ضمت مئة وتسع وستين رسالة . واعتمد في نشرها على مخطوطة مؤرخة في سنة ٦٥٥ هـ محفوظة في مكتبة احمد الثالث بالاستانة تحت رقم ٢٦٣٠ . وجدير بالذكر انه ليس بين هذه المجموعة من رسائل ابن الاثير وبين المجموعة التي ننشرها اليوم أيّ اشتراك أو تكرار في الرسائل أو في المضمون . والراجح عندنا ان مانشره المقدسي وما ننشره نحن اليوم اجزاء من ديوان ترسله الذي أشار اليه ابن خلكان او اجزاء من « المختار من رسائله » والله العالم .

٥ ـ الاستدراك في الرد على رسالة ابن الدهان :

حققه الدكتور حفني محمد شرف ، وطبع بمطبعة الرسالة في القاهرة سنة ١٩٥٨ .

وابن الدهان كان قد ألف رسالة في بيان مآخذ المتنبي من ابي تمام سماها « المآخذ الكندية من المعاني الطائية » وكان لغوياً نحوياً لاصلة له بنقد الشعر . فرد عليه ابن الاثير بكتابه هذا الذي تضمن مؤاخذاته لابن الدهان ، واستدراكه على حافات ابن الدهان من مآخذ المتنبي .

٦ ـ مناظرة بين الخريف والربيع ، منها قطعة حفظها النويري في نهاية الأرب ١ / ١٧٥ ـ ١٧٦ .

آثاره المخطوطة :

١ ـ كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب وهو كتابنا هذا وسيأتي هذا الحديث عنه .

٢ ـ البرهان في علم البيان ، ذكر بركلمان ان منه مخطوطة في برلين برقم ٧٢٤٨ . وذكره البغدادي في هدية العارفين ٢ / ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .

٣ ـ المفتاح المنشأ في حديقة الانشاء :

كرّسه للحديث عن صناعة الكتابة . منه مخطوطة بمكتبة بلدية

الاسكندرية واخرى بدار الكتب المصرية برقم القاهرة ثان ٣ / ٣٦٦ (وهي نسخة مصورة رقمها ٥٠٧٠ أدب) .

٤ ـ مؤنس الوحدة : مجموع من الاشعار صنعها لصلاح الدين بن تنكر .

وانتقى فيه مختارات لشعراء من العصر العباسي ورتبه حسب الاغراض الشعرية . منه نسخة فريده في كوبريللي بالاستانة برقم ١٤٠٠ وعنها مصورة بدار الكتب المصرية (بالقاهرة ثان ٣ / ٣٢٢) .

٥ ـ رسالة الازهار :

ومنها مخطوطات في المتحف البريطاني وفي جامعة كمبردج وفي باريس ومكتبة الدحداح وفي اسعد افندي بالاستانة ضمن بعض المجاميع الادبية .

وكان الدكتور عبد الهادي محبوبة قد اعلن في نشرة اخبار التراث العربي (التي كان يصدرها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) بتاريخ ١ / ٣ / ١٩٧٣ انه يعنى بنشرها وتحقيقها . الا ان شيئاً من ذلك لم يصدر حتى اليوم .

آثاره المفقودة :

١ ـ المعاني المخترعة في صناعة الانشاء : سماه ابن واصل في مفرج الكروب (٣ / ١٠) المعاني المبتدعة . وبالعنوان الاول ذكره ابن خلكان في الوفيات ٥ / ٣٩٢ وقال عنه : هو نهاية في بابه . وذكر البغدادي في هدية العارفين ٢ / ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .

٢ ـ مجموع اختار فيه شعر أبي تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي : ذكره ابن خلكان في الوفيات ٥ / ٣٩٢ ووصفه بانه في مجلد واحد كبير ، وحفظه مفيد . وقال ابو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربل « نقلت من خطه في آخر هذا الكتاب المختار مامثاله :

تمتّع به علقاً نفيساً فانه اخـ ـتيار بصير بالامور حكيم

أطاعته انواع البلاغة فـاهتدى الى الشعر من نَهْجٍ اليه قويم

٣ ـ الادعية المائة :

ذكره في كتابه « المثل السائر » اذ قال :

« وكنت ألفّت كتاباً في ذكر ادعية مخصوصة ، ضمنته مائة دعاء ، مما توضع في الكتب السلطانيات والاحوانات ، وضمنت على نفسي ان اودع كل دعاء منها معنى آية من القرآن ، أو خبر من الاخبار النبوية ، اومعنى بيت سائر »

٤ ـ المجرد من الاخبار النبوية :

ذكره في « المثل السائر » ١ / ١٩١ حين قال :

« وكنت جرَّدتُ من الاخبار النبوية كتاباً يشتمل على ثلاثة آلاف خبر ، كلها تدخل في الاستعمال ، ومازلت أواظب مطالعته مدة تزيد على عشر سنين ، فكنت أنهي مطالعته في كل اسبوع مرة . حتى دار على ناظري وخاطري مايزيد على خمسمائة مرة ، وصار محفوظاً لايشذ عني منه شيءٌ . وهذا الذي اوردته هاهنا في حل معاني الاخبار هو من هناك .

٥ ـ المجرد من امثال الميداني :

ذكره في المثل السائر ١ / ٦١ حين قال :

« وكنت جرّدتُ من كتاب الامثال للميداني أوراقاً خفيفة تشتمل على الحسن من الامثال الذي يدخل في باب الاستعمال » .

٦ ـ عمود المعاني :

ذكره ابن الاثير في كتابه الاستدراك ص ١١ ـ ١٢ ، فقال : « وقد الفت في ذلك ـ جريان الحكم في اعمدة المعاني وما يخرج من شعبها ـ كتاباً ، وسميته « عمود المعاني » وجعلته مقصوراً على ضروب المعاني الموجودة في النظم والنثر ، وما فيها من الاعمدة المطروقة . وهذا كتاب تعبت في تأليفه زمناً طويلاً ، وأنا ضنين به » .

ونقول بعد هذا : ان الخسارة بفقدان هذا الكتاب جسيمة وبالغة .

٧ ـ السرقات الشعرية :

ذكره ابن الاثير في « المثل السائر » ٣ / ٢٢٢ اذ قال :

« واعلم ان علماء البيان قد تكلموا في السرقات الشعرية فاكثروا ، وكنت الفت فيها كتاباً وقسمته ثلاثة اقسام : نسخاً وسلخاً ومسخاً ... » .

٨ ـ رسالة في اوصاف مصر : ذكرها ابن خلكان في الوفيات ٥ / ٣٩٥ . ذكرها البغدادي في هدية العارفين ٢ / ٤٩٢ ـ ٤٩٣ .

٩ ـ رسالة في الضاد والظاء :

ذكرها البغدادي في هدية العارفين ٢ / ٤٩٢ ـ ٤٩٣

على ان مانذكره اليوم في حقل المفقودات قد يظفر به باحث في مستقبل الايام ، فيضيء شمعة جديدة في محراب ابن الاثير الخالد .

تصويب اوهام : ولقد اخطأ جلّة من الكتاب المعاصرين في آثار ضياء الدين بن الاثير فنسبوا اليه ماليس له . من ذلك خطأ وقع فيه الدكتوران مصطفى جواد وجميل سعيد اذ عدّا كتاب « المرصع في الادبيات » المطبوع في القسطنطينية سنة ١٣٠٤ هـ وفي المانيا سنة ١٨٩٦ من مصنفاته .(١) كما وقع في الخطأ ذاته الدكتور عمر فروخ (٢).

والصواب : ان هذا الكتاب من مصنفات اخيه ابي السعادات مجد الدين المبارك ابن الاثير. وقد طبعه اولاً المستشرق الالماني سيبولد في ويمار سنة ١٨٩٦ . واعاد تحقيقه ونشره الدكتور ابراهيم السامرائي في بغداد عام ١٩٧١ .

ومن ذلك كتاب « كنز البلاغة » الذي نسبه اليه عمر رضا كحالة في معجم المؤلفين (٣). والصواب ان هذا الكتاب كما ذكر السبكي هو لعماد الدين ابن الاثير الحلبي ؛ ومن ذلك الوهم الكبير الذي وقع فيه الدكتور محمود ياسين أحمد(٤) حين خلط بين الشرف محمد وبين ابيه نصر الله بن محمد ، فنسب لضياء الدين بن الاثير كتاب ابيه الشرف محمد ، وهو المجموع الذي جمعه للملك الاشرف وذكر فيه جملة من نظمه ونثره ورسائل ابيه . ونص عبارة الدكتور محمود ياسين : « وقدم له محمد بن محمد بن عبد الكريم ضياء الدين ابن الاثير (ت ٦٣٧ هـ / ١٢٤٠ م) جملة من نظمه ونثره ورسائل ابيه وجعلها على شكل كتاب » .

والخلط في هذا الكلام متعدد الجوانب : فالشرف محمد ، اسمه محمد بن نصر الله بن محمد ووفاته كانت سنة ٦٢٢ هـ . والمجموع الذي اهدي للملك الاشرف صنفه الشرف محمد وليس ضياء الدين بن الاثير.

وذكر الاستاذ محمد بن عبدالله الحمدان لابن الاثير كتابين احدهما بعنوان « البديع » والآخر باسم « كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب » .

والصواب انهما مخطوطتان لكتاب واحد .

---

(١) الجامع الكبير ص ٣٦ (المقدمة) .

(٢) تاريخ الادب العربي ٣ / ٥٤١ .

(٣) معجم المؤلفين ج ١٣ ص ٩٨

(٤) الايوبيون في شمال الشام والجزيرة ص ٤١٥ .

كما ذكر الدكتور محمد زغلول سلام(١) كتاباً لابن الاثير فيه منتخبات من الاحاديث وهذا الكتاب هو نفسه كتاب « الاخبار النبوية » الذي أشار اليه ابن الاثير في المثل السائر وفي الوشي المرقوم.

كما نُسِبَ له مخطوط بعنوان « القول الفائق الاديب بعتبى وليد وذكرى حبيب » ، وهذا الكتاب ليس له لان مصنفه متقدم فهو ينقل عن رجال من القرن الثالث واول الرابع الهجريين(٢).

وبعد : فهذه الآثار القلمية الكثيرة التي ابدعها ضياء الدين ابن الاثير. ماذا كان صداها عند قدامى مؤرخي الادب ؟ وما هي المكانة الفكرية التي تبوأها مبدعها ؟

هذا مانترك الجواب عليه للمؤرخين انفسهم.

وصفه محمد بن سالم بن واصل (المتوفى سنة ٦٩٧ هـ) بقوله : « وكان فاضلاً بالادب وعلم البديع ، ومن تصانيفه « المثل السائر ، المشهور ، وله الترسل البليغ البديع »(٣).

وصفه مؤرخ الاسلام الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨ هـ) بانه « الكاتب البليغ صاحب المثل السائر . انتهت اليه رياسة الانشاء والترسل »(٤).

ووصفه الملك الاشرف الغساني بانه « الكاتب البليغ صاحب كتاب المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ، وكان بارعاً في فنون الادب كاتباً بليغاً ، وصدراً نبيلاً عالماً متفنناً في علم الكتابة مصدراً على الانشاء وكتابة الرسائل في المعاني المخترعة واليه انتهى علم الكتابة في زمانه ، وبه ختم فن البلاغة ، وله عدة تصانيف حسنة مفيدة ، وله رسائل مدونة ، وكان قليل النظم »(٥).

ووصفه محمد بن علي المحمودي المعروف بابن الصابوني (المتوفى سنة ٦٨٠ هـ) بانه « كان فريد دهره ، ووجيه عصره في صناعة الكتابة والانشاء ، وله التصانيف البديعة ، والرسائل الصنيعة ، خُتم به هذا الشأن ، وسار ذكره في جميع الاقطار والبلدان .. »(٦)

---

(١) ضياء الدين بن الاثير وجهوده في النقد ص ٦٨

(٢) بنو الاثير الفرسان الثلاثة ص ١٥٦ .

(٣) مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ٤ / ١٩٨ .

(٤) العبر في خبر من غبر ٥ / ١٥٦ .

(٥) العسجد المسبوك ص ٤٩٦ .

(٦) تكملة اكمال الاكمال ص ٤ ـ ٥

ووصفه ابن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١ هـ) بقوله : « ولضياء الدين من التصانيف الدالة على غزارة فضله وتحقيق نبله . كتابه الذي سماه « المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر » ، وهو في مجلدين ، جمع فيه فأوعب ، ولم يترك شيئاً يتعلق بفن الكتابة الآ ذكره .... حتى قال : وله أيضاً ديوان ترسل في عدة مجلدات ..... وله كل معنى مليح في الترسل ... ومحاسنه كثيرة .. »( ) وذكره ابو البركات ابن المستوفى في « تاريخ اربل » وبالغ في الثناء عليه( ) .

ووصفه مصنف الحوادث الجامعة بانه : « كان كاتباً عالماً فاضلاً متفنناً في علم الكتابــة ، مقتدراً عل الانشاء » . (٣)

وقال عنه قطب الدين موسى بن محمد اليونيني (المتوفى سنة ٧٢٦ هـ) : « صنّف التصانيف الدالة على غزارة علمه وفضله منها المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر جمع فيه فاوعب ، فلما فرغ من تأليفه كتبه الناس عنه ... حتى قال : كان له تصانيف كثيرة وتواليف حسنة وترسل كثير أجاد فيه(٤) » ونعته ياقوت الحموي بانه امام(٥) .

ولعل مما تقدم مايكشف ويشفّ عن المكانة العلمية والادبية الرفيعة التي تبوأها ابن الاثير في زمنه ، بعد أن جمع مؤرخوه على ان علم الكتابة قد انتهى اليه في زمنه ، وان به ختم فن البلاغة .

---

(١) وفيات الاعيان ٥ / ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ .

(٢) ترجمته مفقودة من تاريخ اربل ، والعبارة نقلتها عن وفيات الاعيان ٥ / ٣٩٦

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٣٦.

(٤) ذيل مرآة الزمان ١ / ٦٤ ــ ٦٥ .

(٥) معجم البلدان (مادة جزيرة ابن عمر) .

كتاب كفاية الطالب
في نقد كلام الشاعر والكاتب

يمثل كتاب كفاية الطالب لابن الاثير مرحلة من مراحل اجتهاده . وفترة متأخرة من فترات تأليفه . فقد بدا فيه المؤلف مستوعباً لفنون البلاغة . مقتدراً على اختيار نماذجها الجيدة . متحكماً في الصيغ البلاغية التي يقدمها في كل باب . على الرغم من اعتماده المباشر على كتب البلاغيين الذين سبقوه ويبدو ان تجربته البلاغية . وانصرافه الى علومها اكّد في نفسه حقيقة الانصراف الى وضع كتاب ينتفع منه الدارسون . فكان هذا الكتاب غايته في هذا الباب . وقد اتجه فيه الى التسهيل والابتعاد عن الحدّة التي عهدناها فيه في كتابه المثل السائر . وقد كرس جهوده في الاستشهاد بالابيات المعروفة والنماذج المختارة ..

ان ظاهرة اعتماد المؤلف على كتاب العمدة واضحة وملحوظة حتى انه كان ينقل نقلاً حرفياً في بعض المواضع . اما النماذج الشعرية التي كان يستشهد بها فتكاد تكون مماثلة الى حدّ بعيد لاستشهادات صاحب العمدة وسوف نشير الى هذا التشابه في هوامش التحقيق . وقد اكدت لنا قراءة المخطوط وبعض المصادر التي اعتمدت الكتاب على ان هذا الكتاب قد الف بعد المثل السائر لانه انفرد بايراد ابواب جديدة لم يتطرق اليها منها ابواب النسيب والمديح والافتخار والرثاء والعتاب والهجاء والوعيد والاعتذار والوصف . والملاحظ ان الابواب التي عرض لها في هذا الكتاب هي الابواب المذكورة في كتاب العمدة وانها تمثل اغراضاً شعرية وابواباً من ابواب الاختبارات وهي ليست من ابواب البلاغة .

ولعلّ الملاحظة الاخرى التي تؤكد ان كتاب كفاية الطالب الف بعد المثل السائر هو ماذكره ابن معصوم في انوار الربيع حيث قال : قال ابن الاثير في المثل السائر ... ثم يذكر انه تراجع عن هذا الرأي في كفاية الطالب .. والمعروف ان ابن معصوم اعتمد على هذا الكتاب اعتماداً كبيراً . ونقل منه صفحات كاملة كثيرة يمكن الرجوع اليها وفق الاجزاء وهي نقول حرفية وردت في الجزء الاول : الصفحة ٣٨٢ وفي الجزء الثاني . الصفحات : ٣٢ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ١٥٩ ، ١٦٩ وفي الجزء الخامس : الصفحات : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ــ ١٦٢ .

حاول ابن الأثير أن يؤكد اصالة البديع ويؤكد وقوعه للقديم والحديث بالطبع ولم يستغرقه شاعر قديم ولا حديث غالباً . وفي هذا التوجه كان يثير مسألة الابداع الذي لا يقتصر على عصر ولا ينفرد به انسان . وانما هو حالة يمكن ان تظهر في كل عصر وعند كل انسان وبذلك يقتضي طريق ابن قتيبة الذي تحدث في مقدمته

النقدية في الشعر والشعراء عن منهجه في الاختيار الذي لم يقدم القديم لقدمه ولم يؤخر المتأخر لتأخره .. وهي حالة ادركها النقاد القدامى حتى اصبحت عند كثير منهم منهجاً يُسلك ، وسبيلاً ينهج .. وكانت مسألة البديع تتحكم في ضوابطه النقدية بشكل واضح فالشعر ـ كما يقول ـ ليس كله استعارة وبديعاً كشعر ابي تمام ، ولا أمثالاً وحكماً كشعر صالح بن عبد القدوس ، وانما تكون هذه الاشياء كالحلي للانسان فلا ينبغي أن يُعرّى منها ككثير من شعر اشجع . ولكن هذا لايحول دون تميّز كل شاعر بطريقة تغلب عليه ، او اسلوب يُعرف به ، وهي حالات وجدت في نفوس الشعراء قبولاً ، فاستجابت لها عواطفهم ، وتعددت عليها طباعهم ، فشهروا بها وهنا يفرد المؤلف الشعراء بابواب عرفوا بها فأبو نواس انقاد طبعه الى الخمر وابن المعتز الى التشبيه وديك الجن الى المراثي والبحتري الى اللطف والصنوبري الى ذكر الطير والنور وابو الطيب الى الامثال وذم الزمان وهكذا يستمر في توزيع الشعراء وهي اشارات تؤكد تحليلاته الشعرية ودراساته التي انتهت الى هذه الخصائص واستقرت عند هذه الاحكام التي صنف بموجبها الشعراء وهي احكام قد تكون لها مبرراتها في ضوابط المؤلف ..

وكانت للمؤلف وجهات نظر في موضوع البلاغة ـ وهو بذلك يقتفي آثار البلاغيين القدامى كالجاحظ ـ فالبلاغة أصلها في العرب لها أدواتها ووسائلها التي يفتقر المولد الى اكتسابها لتعينه عليها ، وتوصله اليها . وهنا يقف المؤلف عند هذه الحقيقة التي لايمكن ان تغيب عن الأصالة المتمثلة في اتقان الاعراب والتصريف والعروض والقوافي والتوسع في اللفظ بحفظ اللغة ، وتخصيص مااتفقت حروفه لفظاً ووزناً ، أو لفظاً دون وَزْن ، واختلفت معانيه ، ومعرفة المقصور والممدود والسماعي وفَعْلْتُ وأفعلت ..

والبلاغة وجه من وجوه البيان الذي عرفت به اللغة العربية لأنها توليدٌ للمعاني ، واستحداث لدلالات جديدة واستعمالات لألفاظ متقاربة أو متشابهة ، اثراءً للغة ، وتوسيعاً لمجالات استخدامها ، وتحسيناً لألفاظها وتراكيبها . وهي تحمل في كل جملة معنىً ، وتؤدي وظيفة ، وتخدم غرضاً . وقد اعطت هذه الخصيصة للغة العربية وجوهاً من المقارنات الجمالية النادرة ، ومكنتَ القادرين على استيعابها من تكبير أحجام الدائرة التي تتحرك فيها اللفظة ، واثراء مفرداتهم التي لايجدون ضيراً من استخدامها في مواقع متقاربة ، وهي الى جانب هذا الوعاء الجمالي الذي أغنى الدلالة العربية . فهي صورة من صور تقريب المعنى في الذهن ، وتوحيد مساحة المقارنة في مجال التضاد . واحكام السيطرة على حدود الحروف المستخدمة في اطار التوليد المقصود في المعنى والمبنى . وهنا كانت قدرة الشعراء او الكتاب وابداعاتهم

تتجلى في استيعاب هذا المحيط الواسع . والأحاطة الشاملة بمفردات التداخل الفني لتقديم النص المطلوب . وفي حدود الثراء اللغوي المطلوب والذي يتابع ابواب الكتاب يجد فنيّة الأبواب واضحة في تقسيمات المؤلف وانها اقرب الى الأسماء المنمقة التي توحي بمعاني التجميل فهي كما جاءت في الكتاب موزعة على الوجه الآتي ..

أبواب الكتاب

يضم الكتاب واحداً وستين باباً هي :

١) البديع
٢) البلاغة
٣) أدب الشاعر
٤) الارتجال والبديهة
٥) الفواتح والخواتم
٦) النسيب
٧) المديح
٨) الافتخار
٩) الاقتضاء
١٠) العتاب
١١) الوعيد والانذار
١٢) الهجاء
١٣) الاعتذار
١٤) الرثاء
١٥) الوصف
١٦) الاختراع
١٧) الاشتراك
١٨) الموارد‌ة
١٩) السرقات
٢٠) المطابقة
٢١) التجنيس
٢٢) مااختلط فيه التجنيس والتطبيق
٢٣) الترديد
٢٤) التصدير
٢٥) المقابلة
٢٦) التقسيم
٢٧) التطريز
٢٨) التفويف
٢٩) المجاز
٣٠) الاستعارة
٣١) التمثيل
٣٢) المثل السائر
٣٣) التشبيه
٣٤) المذهب الكلامي
٣٥) التشكيك
٣٦) الاشارة
٣٧) التجاوز
٣٨) المساواة
٣٩) التذييل
٤٠) التسهيم
٤١) التفسير
٤٢) النفي
٤٣) القسم
٤٤) الهزل الذي يراد به الجد
٤٥) الاستطراد
٤٦) التفريع
٤٧) الالتفات
٤٨) الاستثناء
٤٩) التتميم
٥٠) نفي الشيء بايجابه

٥١) السلب والايجاب
٥٢) العكس والتبديل
٥٣) المبالغة
٥٤) الايغال
٥٥) الغلو
٥٦) الحشو
٥٧) الاستدعاء
٥٨) الاطراد
٥٩) التكرير
٦٠) التضمين
٦١) باب يشتمل على انواع من عيوب الشعر

فهي ابواب تقرب في نماذجها من كتب الاختيارات وخاصة ماجاء منها في ابواب المعاني ، لأنه اختار لها من الابيات السائرة والشواهد المعروفة ماوضع الكتاب في مصاف تلك الاختيارات ، كما حاول ان يوفق في منتخباته بين الشعراء . وان اختلفت عصورهم ، وتباينت طبقاتهم ، وهو بهذا يبني كتابه وفق نظريته التي ذكرها في بعض ابوابه وخاصة مايتصل منها بمواضع الأبداع الذي لاينفرد فيه شاعر دون آخر ، ولا يخص طبقة دون أخرى ، ولا يقف عند عصر دون آخر

ويضع ابن الاثير قواعد اخلاقية وخُلقية للشاعر تتصل بسلوكه النفسي وعلاقته الاجتماعية ليكون وجهاً من الوجوه ، أو نموذجاً من النماذج ، لأن الشاعر في عرفه ـ وهو امتداد قديم لمفهوم الشاعر ـ صوت أصيل ، وحالة مطلوبة ، وصفة انسانية يقتدي بها ، لأنه من المستحب في الشاعر ان يكون حَسن الاخلاق ، حلو الشمائل ، مأمون الجانب ، طليق الوجه ، طلق اليدين .. فان اتصف بذلك كان أملأ في العيون وألوط بالقلوب . كما حاول ان يحدد خصائص لكل غرض ، وضوابط لكل فن من فنون الشعر يتناسب معه ، لأن لكل مقام مقالاً كما يعبر عنه المؤلف ، فهو يخاطب الناس على قدر طبقاتهم وتعلقاتهم ، فان نسبَ ذَلَّ وخضع ، وان مدحَ أطرى واسمع ، وان هجا أقلَّ وأوجعَ ، وانْ فَخَر خبَّ ووضَع ، وان عاتب خفض ورفع ، وان استعطف حسَّن ورَجَّع ، ويُحسن الفواتح والخواتم ، والمطالع والمقاطع .

واذا كان الشاعر في نظر ابن الأثير محكوماً بضوابط ، وملتزماً بخصائص ، فان الاغراض الشعرية التي يعالجها لايمكن ان تخرج عن ذات الضوابط لئلا تُصبح اطناباً لامبرر له ، وذماً لاموجب لتكريره . فالمدح له أوصافه التي ينفرد بها كالعقل والعفة والعدل او ماشارك فيه بعضه كالشجاعة وما تفرع منها ، كثقابة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والصدع بالحجمة والعلم والحلم . وهنا تتأكد حقيقة الاغراض الشعرية التي تعالج بها خصائص الممدوح ، وتعرف بها حقيقته وهي خصائص لها دلالتها في البناء الشخصي والاخلاقي والاجتماعي والفكري ، واذا احسن الشاعر اختيارها ، ووفق الى الوصول اليها كان مديحه موضع اعتزاز ، وشعره مكان تقدير ، وهنا كانت تتفق الاهداف التي سعى اليها ابن الاثير في تحديد السمات

التي يمكن ان يقسم بها الشاعر والمعاني التي يطرقها في كل باب لتاتي وحدة الهدف متفقة . وغاية الفن موفقة . وهو ماكان النقد العربي يسعى اليه في كثير من اتجاهاته ليضع النص في موضعه بعد ان يمسح عن وجهه شوائب الكذب وامارات التزييف . وحالات المبالغة غير النافعة .

ووحدة الموضوع التي تعد من المسائل النقدية الأساسية ، التي أشار اليها النقاد القدامى وتحدث عنها الجاحظ وابن قتيبة باسهاب وتناولها الحاتمي في حلية المحاضرة(١) كانت موضع اهتمام ابن الاثير في كتابه هذا فأولاها اهمية خاصة باعتبارها عنصراً اساسياً من عناصر بناء القصيدة وهي وحدة تتصل بالفكر والبناء والتواصل ، وتتفق من حيث التكوين بالغرض الذي يُعبر عنه الشاعر . ووحدة الموضوع هذه بقيت تأخذ مجالها في الدراسات النقدية القديمة بعد ان تحدثوا عن كل جزء من اجزاء القصيدة بما يناسبه وحلّلوا كل جانب من جوانبها بما فسّر اسباب الترابط ، وأوجد مبررات تعدّد الاغراض في داخل القصيدة .

ان نظرة ابن الاثير الى هذه المسألة ، وتأكيده عليها بقوله : ومن حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده ، متصلاً به كالذي تقدم ، فان القصيدة كخلق الانسان في اتصال اعضائه ، فمتى انفصل واحد عن الآخر ، أو باينه غادرَ بالجسم عاهةً تتخون محاسنه ، وتُعفى معالم جماله ... ان هذه النظرة تعد استمراراً لتأكيد الفكرة الأصيلة ، وتوثيقاً لوحدة الفكر العربي الذي توحدت فيه الموضوعات ، واتصلت الاغراض ، وتناسقت في حدود أطره الصور التكميلية .

مخطوطتا الكتاب :

اعتمدنا في تحقيق الكتاب على نسختين هما :

أولاً ـ مخطوطة محمد سرور الصبان بمكة المكرمة :

وهي المخطوطة التي جعلناها أصلاً لنفاستها وقدمها ، خطها نسخي اعتيادي واضح من خطوط القرن السابع الهجري ظنا . وقد كتبت لأبواب الكتاب بقلم الثلث الغليظ ، كما في المصورة . تقع هذه النسخة في مئة ورقة ، وفي كل صفحة ١٣ سطراً . مقاسها ١٧ × ٢٥ . وهي غير مرقمة .

وقد تفضل مشكوراً الاستاذ الكريم عبد العزيز الرفاعي باهدائنا مصورتها فاعطى مثلاً رائعاً جديراً بأن يذكر فيشكر ، فجزاه الله تعالى عن العلم وأهله خير الجزاء .

---

(١) نظريات رائدة في تراثنا النقدي . الاستاذ هلال ناجي مجلة البصرة العدد ١٣

ثانياً ـ مخطوطة الجامعة التونسية :

كتبت هذه النسخة بالخط الاعتيادي ، وكانت أسماء الأبواب متميزة بغلظ قلمها . يرقى تاريخ نسخها الى سنة ٩٩٠ هـ .

تقع هذه النسخة في ستين ورقة ، في كل صفحة ٢٣ سطراً ، مقاسها ١٥ × ٢١ ، ورقمها ٤٣٧٢ (أدب) وهي في مجموع يحوي كتباً أخرى . وقد انتقلت هذه المخطوطة الى المكتبة الوطنية بتونس .

وقد رسمت على صفحة العنوان كتابات بأيد مختلفة كما في المصورة المثبتة .

وقد تفضلت الاستاذة الفاضلة سعاد عمراني مسؤولة قسم المخطوطات بدار الكتب الوطنية في تونس بالبحث عنها وتسهيل أمر تصويرها ، فلها منا باقة شكر عطرة على ماأسدت وقدمت .

منهجنا في التحقيق :

١) جعلنا نسخة مكة المكرمة أصلاً لقدمها أولاً ووضوح خطها .

٢) انتفعنا من النسخة التونسية في المقابلة واضافة ماسقط من النسخة الأصل ، وحصرنا هذه الاضافات بين قوسين مربعين [ ]

٣) خرجنا الأبيات الشعرية التي أوردها المؤلف من الدواوين المطبوعة ماوسعنا الجهد . أما الشعراء الذين لم تطبع لهم دواوين فقد خرجنا شعرهم من المصادر القديمة ، وأشرنا الى بعض الاختلاف في الرواية ، وأما القصائد الطويلة التي فيها خلاف كثير في أبياتها فقد اكتفينا بالاشارة الى وجود الخلاف خشية الاطالة .

٤) أضفنا كلمات يقتضيها السياق معتمدين في ذلك على أصول قديمة أخذ عنها المؤلف كالعمدة أو أخذت عن المؤلف كأنوار الربيع .

٥) أشرنا الى المصادر البلاغية التي تناولت أبواب الكتاب للافادة منها عند المراجعة .

٦) عنينا بضبط الشعر وما يحتمل اللبس من الألفاظ .

٧) أثبتنا أرقام المخطوطة ، ورمزنا لوجه الورقة بـ (أ) ولظهرها بـ (ب) .

كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب

تأليف الصاحب الصدر الفاضل ضياء الدين نصر الله

محمد بن عبد الكريم بن الأثير الجزري

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر واعن

الحمد لله العزيز الجبار والصلاة على سيدنا محمد النبي المختار وعلى آله ورضي الله عن أصحابه الأبرار

باب البديع

ويشتمل على أنواع كثيرة

اعلم ان أصل البديع النادر الغريب ومنه بديع السماوات لأنه أنشأها على غير مثال سابق والبديع من الشعر ما سبق اليه الشاعر ولم يسبق الى نظيره او ما يقرب منه او ما يدل عليه فلذلك سمي علماً لتلك هذه الأنواع بأسمائها واطلقوا لفظة البديع على الجميع نظراً الى الأصل وقد ذكروا انواعاً للمثالب كما ذكروا للمناقب لأن الضد يبرز محاسن ضده او ليعلم طريقها فيجتنب وهو يقع للقديم والحديث بالطبع ولم يستغرقه شاعر قديم ولا حديث غالباً وانما استنبطه جمعهم من جميع اشعارهم وبفاضلوا

في كثرة الانواع وجودتها بالنسبة الى القرائح ثم سلك الاخر فيه مسلك الاول حتى كثر وصنف فيه كتب ور اكثر المتاخرين الى تكسبه فلا يصدق عليه اسم البديع الا الا باعتبار الأصل لما ذكر

فصل

وهو في الشعر نبذ تستحسن ونكت تستطرف مع القلة وفي الندرة فاذا اكثر دل على الكلفة ولا يحسن ان يكون الشعر كله استعارة و كشعر ابي تمام ولا امثالا وحكما كشعر صالح بن عبد القدوس ومثله الأشباه للشعر كالحلي للانسان فلا ينبغي ان يعري منها كثير من شعره اجمع على انه لابد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه وينقاد اليها طبعه كابي نواس في الخمر وابن المعتز في التشبيه وديك الجن في المراثي والبحتري في الطف والصنوبري في ذكر الطير والنور وابي الطيب في الامثال وذم الزمان واما ابن الرومي فاولى باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتنانه وقد غلب عليه الهجاء

تذكر راملدحه مع الجمع بين الحا والها في كلمه وهما من حروف الحلق

قال هو خارج عن حد الاعتدال تأثر كل القدما وزعم الآخرون

فما تركيب الشيء في غير موضعه كقول الكميت

وقد رأينا بها حورا منعمة بيضا تكامل فيها الدل والشنب

ثم العظال في القوافي التضمين حكاه الخليل

تم الكتاب والحمد لله وحده

ترى لي بقادمة الطرف حيث ... والمال حفظ ولو ... نداك

لا يشربون دماءهم بأكفهم إن الدماء الغاليات تكال

٥

[illegible] كم اشتريت [illegible] البال [illegible] الله

بسكه

كأنني البدر يبعي الشرق والفلك الأعلى بعارض

[illegible]

[illegible]

كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب

تأليف الصاحب الصدر الفاضل
أبي الفتح نصر الله بن [illegible]
عبد الكريم ابن [illegible]
الجزري
رحمه الله
تعالى

قال ان بذل الجهد وغاية الجود وقليل من الحبيب
خير من كثير من العيب وجهد المقل خير من عذر المقل
وعصفور في الكف خير من كركي في الجو ومن لم يجد للجسيم
رعى الهشيم ومن لم يحسن [illegible] فلا يعتق ومن لم يجد ماء تيمم

وعيب [illegible] [illegible]
اتقل اولي [illegible] ان عدموا ذلك او ملوه
فان خير الخلق [illegible] او القيتم ما شئتم فاملوه

الحمد لله اشهد [illegible] مولدنا موفق [illegible] الملك [illegible]
وناشر [illegible] [illegible] بعد اذكر [illegible] والمعتني بنشر [illegible]
ورمع لوايه والمك [illegible] في [illegible] ببره [illegible] الزيادة
[illegible] ودر [illegible] [illegible] وهو [illegible]
باب [illegible] [illegible] [illegible] دولته [illegible]
الملك [illegible] انه [illegible] المبارك [illegible]
الطالب على كل [illegible] الا [illegible] به [illegible] [illegible]

[illegible] الزيتونة [illegible] مشتهلا عن [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم [illegible]

الحمد لله [illegible] والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المختار وعلى آله وصحابته [illegible]

باب [illegible] البديع [illegible]

[illegible] علم البديع [illegible]

[illegible] وقد ذكر [illegible]

[illegible]

[illegible] ثم [illegible]

[illegible] ولكن اكثر المتأخرين [illegible]

فصل [illegible]

[illegible] الشعر [illegible]

[illegible]

[illegible]

• فلما بدا الشعر في وجنته • فشى الظلام على النور •

• ولاح شعر في وجنته • فشبه النمل على السكر •

واستعمال السجع ونترك من سابقة ... الى الكفا بما انحسه عليها ونكون سببا بما لم يعلمه ... ومنها ما يشق على الاولى ... لا يراد •

كالتصنيف والمديح والتأليف والتوشيح والمواعظ ... ونصيحة تحسن ... لفظا ووزنا او لفظا ووزنا ولحققت معانيه وصحت المقصود المدونة السامع به

وصلت واصلت ... على المعنى ولكنه ... ما كان من ... الدرج على سبيل الاحتجاج والتمثيل وما عملت الغزل ونحو ذلك فيما يحتاج اليه وقد ... من البلاغة ان يصور الباطل

في صورة الحق والحق في صورة الباطل كهذا ليس بشيء لانه لا يثبت مثلا ما ثابت ... الحكم الفاضل على سبيل المغالطة في حق الممثل اذا اجاد لا وقد نالت ... او تفضيلها كانه يرى الشيء على غير حقيقته تخييلا ... ومن ذلك ما ...

فلانا ... عمرو بن الاهتم ... الزبرقان بن بدر ... فقال صدقت ... هذا ... المصر ... فقال فلان ... اهل ... باسمهم ... مبعثهم ... وكان ... الامير ... ومن اجله ...

وضرب هذا الباب ... وليس ... الا انه ... ولا ... الباطل في صورة الحق ولا الحق في صورة الباطل ... وصف ... الحكم ... عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الزبرقان كان ... وقال لنا انه ... ان من البيان لسحرا ...

عليه ... قال ... الحق ... رسول الله ... بالشعر ... فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا ... بعد ذلك

وقال آخر

فأصبحت بعد خط بهجتها ° كأن قفرا رسومها قلما

تقديره فأصبحت بعد بهجتها قفرا ... وقول الفرزدق

وما مثله في الناس إلا مملكا ° أبو أمه حي أبوه يقاربه

ذلك الرماني بسببه الاشكال فلا بد للتفسير من الاخلال بالتقديم
والتأخير وما أشبه ذلك وسلوك الطريق الأبعد وإتباع المتكلف
وكل ذلك في بيت الفرزدق فالتفسير من أجل سوء الترتيب
لأن التقدير وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه يريد
الملك هشام بن عبد الملك والممدوح هو إبراهيم بن هشام خال هشام
بن عبد الملك وأما سلوك الطريق الأبعد فقوله أبو أمه أبوه وكان
يجزيه أن يقول خاله وأما إتباع الاعتراض فقوله حي لأنه يطلق
على القبيلة وعلى أحد من سائر الحيوان قال ... وإذا اعتبرنا أبياتنا كما
بينها الآخرة من هذه الأسباب الثلاثة ومن أسباب المعاظلة والتعقيد
المعاظلة عند قدامة سوء الاستعارة وهو مشتق من التداخل والتراكب
ومنه تعاظل الجراد والكلاب وأنشد بيت أوس بن حجر

وذات هدم عار نواشرها ° تصمت بالماء تولبا جدعا

فسماه استعارة به منه لأنه جعل الطفل تولبا والتولب ولد الحمار
والتعقيد سوء الكلام واضطرابه من قولهم رجل معقد الخلق إذا كان
هو بلا واضطراب وزعم بعضهم أن التعقيد والمعاظلة تداخل
الحروف وتركيبها كقول كعب بن زهير

تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت ° كأنه منهل بالراح معلول

ومن ... التعقيد قول حبيب

بحوم منزاسعه اسحه والرها مرحمتها المتلشر وحمد لك

يا آمنه كرما اسمه [illegible] وتمت زكاة وعاد حروف المطلق
وقائله [illegible] لا تزال مادرك السابر وعد احرون
انها تركيب الشي [illegible] كقولك [illegible] الكبت ما
وتمامه [illegible] سعادة كاملها العدل والعدله
والنقاد الالتوانى المستعين حكاه الكليل ثم الكتاب بحمده وعونه
وصلى الله على من لا نبي بعده وكان الفراغ من تحصيله وكتابته
في عاشر ربيع الاول سنة تسعين وثمانمايه
غفر الله لمالكه ولقاريه
بالمغفرة ولمن نظر فيه
ولكاتبه ولجميع
المسلمين
آمين

آ

من المقامات السادسة والعشرين رسالة حروف احدى كلمتيها
يعمها النقط وحروف الاخرى لم تعجم قط الكرم ثبت
الله جيش سعودك يزين واللؤم غض الدهر جفن
حسودك يشين والاروع يثيب والمعور يخيب والحلاحل
يضيف والماحل يخيف والسمح يغذي والمحك يقذي والعطا
[illegible] والمطال [illegible] والدعا [illegible] والمدح [illegible] والحر [illegible] والا
[illegible] و [illegible] دي [illegible] وحرمة [illegible] لا [illegible]
من الاعين [illegible] الاصين والحر الاسـ[illegible] و [illegible]
راحة [illegible] و [illegible] وغدك يبقي وراوك [illegible] وحملك د

(١ ب) بسم الله الرحمن الرحيم ربِّ اعِنْ(١) الحمدُ للهِ العزيزِ الجبارِ والصلاة (والسلام)(٢) على سيدنا محمد النبيِّ المختار وعلى آله ورضي اللهُ عن أصحابهِ الأبرار(٣)

باب البديع

ويشتمل على انواع كثيرةٍ

اعلمْ أنَّ أصلَ البديع : النادِرُ الغريبُ الغريبُ .(٤) ومنه : « بديعُ السمواتِ »(٥) . لأنهُ أنشأهُنَّ على غيرِ مثالٍ سابقٍ .

والبديعُ من الشعر ماسَبَقَ اليه الشاعرُ ، ولم يسبق الى نظيرهِ أو مايقربُ منه أو مايدلُ عليه .

فلذلك سمَّى علماءُ البيانِ هذه الانواعَ بأسماء ، وأطلقوا لفظة البديع على الجميع نظراً الى الأصلِ .

وقد ذكروا(٦) أنواعاً للمثالب كما ذكروا للمناقب ، لأنَّ الضِدَّ يُبرِزُ محاسنَ ضدِّهِ ، أو ليُعْلَم طريقُها فيُجْتنَب . وهو يقعُ للقديمِ والحديثِ بالطبع ، ولم يَسْتَغْرِقْهُ شاعرٌ قديمٌ ولا حديثٌ غالباً ، وانمّا استُنْبِط جميعُهُ مِن جميع أشعارهم ، ويتفاضلون (٢ أ) في كثرةِ الأنواعِ وجودتِها بالنسبة الى القرائح . ثم سلكَ الآخرُ فيه مَسْلَكَ الأوَّلِ حتى كَثُرَ وصُنِّفَ فيه كُتُبٌ . ورَكَنَ أكثرُ المتأخرين الى تكسُّبِهِ فلا يَصْدُقُ عليه اسمُ البديعِ الآنَ الاّ باعتبارِ الأصلِ لِما ذُكِرَ .

فصل

وهو في الشعر نُبَذٌ تُستحسَنُ(٧) ونُكَتٌ تُسْتَطْرَفُ مع القِلَّةِ وفي الندرةِ . فاذا كَثُرَ دَلَّ على الكلفةِ ، ولا يَحْسُنُ أنْ يكونَ الشعرُ كُلُّهُ استعارةً وبديعاً ، كشعر أبي تمام ، ولا أمثالاً وحِكَماً كشعرِ صالح بن عبد القُدوس . وهذه الأشياءُ للشعرِ كالحلي للانسان ، فلا ينبغي أنْ يُعَرَّى منها ككثيرٍ من شعرِ أشْجَع(٨) .

---

(١) ساقطة من ت ومكانها ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليماً دائماً آمين .

(٢) من ت .

(٣) ت ، وعلى آله وأصحابه الابرار

(٤) ت ، والغريب .

(٥) البقرة ١١٧ ، الأنعام ١٠١ .

(٦) ت ، ذكراً

(٧) من ت . وفي الأصل ، يستحسن .

(٨) أشجع السلمي ، شاعر عباسي ، توفي نحو ١٩٥ هـ . (الاعلام ١ / ٣٣٢) .

على أنَّهُ لابُدَّ لكلِّ شاعرٍ من طريقةٍ تغلِبُ عليه وينقادُ اليها طَبْعَهُ كأبي نُواسٍ في الخَمْرِ. وابن المعتزِ في التشبيه، وديك الجِنِّ في المراثي، والبحتري في اللطفِ. والصنوبريّ في ذِكْرِ الطَّيْرِ والنَّوْرِ. وأبي الطَيِّبِ في الأمثال وذَمِّ الزمانِ.

وأمَّا ابن الرومي فأَوْلىَ باسمِ شاعرٍ لكثرةِ اختراعِهِ وحُسْنِ افتنانِهِ، وقد غلبَ عليه الهجاءُ (٢ ب) حتى قيل: أَهْجَى من ابن الرومي.

وليسَ هجاؤهُ بأجود من مَدْحِهِ ولا أكْثر، ولكنَّ قليل الشَّرِّ كثير. وستُذْكَرُ أسماءُ هذه الأنواعِ وحدودُها وأمثلةٌ تدلُّ على نظائرِها والخِلافُ الذي وقع في التسمية(١) وفروقٌ بينَ(٢) مايَقَعُ فيه اللُّبْسُ منها على مااصطلحَ عليه علماءُ هذه الصناعةِ ليُقاس عليها انْ شاءَ اللّهُ.

باب البلاغةِ(٣)

البلاغةُ اهداء المعنى الى القلبِ في أحسنِ صورةٍ من اللفظِ مع الايجازِ غيرِ المُخِلِّ. والاطناب غير المُمِلِّ، مِن غيرِ تَعَبٍ على المُخاطِبِ. وأنشد المبرّدُ في وصفِ خطيبٍ:

طَبيبٌ بداءِ فنونِ الكلا ... مِ لَمْ يَعْيَ يوماً ولم يَهْذِرِ
فانْ هو أطْنَبَ في خُطْبَةٍ ... قَضَى للمُطِيلِ على المُنْزِرِ
وانْ هو أوجزَ في خُطْبَةٍ ... قَضَى للمُقِلِّ على المُكْثِرِ(٤)

وأصلُها في العربِ الطَّبعُ. وتتركبُ من بسائِطَ يفتقرُ المولدُ الى اكتسابِها لتُعينَهُ عليها وتُوصِلَهُ اليها وتكونَ ميزاناً لها. فمنها ماتجبُ مَعْرِفَتُهُ. (٣ أ) ومنها ماتُسْتَحَبُ. فالأوّلُ: اتقانُ الاعرابِ والتصريفِ والعروضِ والقوافي والتوسُّعِ في اللفظِ بحفظِ اللغةِ وتخصيصِ مااتفقَتْ حُروفُه لفظاً ووزناً أو لفظاً دونَ وَزْنٍ واختلفتْ معانيه ومعرفة المقصورِ والممدود والسَّاعِيَ وفَعَلْتُ وأفعلتُ مختلفي المعنى ونحو ذلك. والثاني: معرفةُ أسماءِ البديع على سبيلِ الاجمالِ والتفصيلِ وساعاتِ القولِ ونحو ذلك مما يُحتاجُ اليه.

---

(١) ت: التشبيه.
ساقطة من ت.
(٢) ينظر ماقيل في معنى البلاغة: البيان والتبيين ١ / ٨٨، الرسالة العذراء ٤٤، العقد الفريد ٤ / ١٨٩، النكت
٣ في اعجاز القرآن ٧٥، زهر الآداب ١٠٣، العمدة ١ / ٢٤١.

وقالَ بعضُهم : أَحْسَنُ البلاغةِ أنْ يُصَوَّرَ الباطلُ في صورةِ الحقِّ والحقُّ في صورةِ الباطلِ(١).

وهذا ليسَ بشيءٍ ، لأنَّهُ لايثبتُ عَقْلاً . وانمّا يقعُ ذلك من الخَصْمِ الفاضلِ على سبيلِ الاغلُوطَةِ في حقِّ المفضول اذا تجادلا وتحدّثا لضَعْفِ عقلِهِ أو تحصيلِهِ أو لضَعْفِهما ، فكأنَّهُ يَرى الشيءَ على غيرِ حقيقتِهِ ، مُتخيِّلاً مأوهَمَهُ الخَصْمُ . وغَرَّ مَنْ قالَ هذا قولُ غَيلانَ الضَبّيّ(٢) ، وقَدْ مَرَّ مَعَ ابنِ عامرٍ(٣) بنهرِ أمِّ عبدِ اللهِ الذي يَشُقُّ البصرةَ . فقالَ عبدُ اللهِ : ماأصْلَحَ هذا النَّهْرَ لأهلِ (٣٠ ب) هذا المِصْرِ ! فقالَ غيلانُ أجلْ . يتعلّمُ العَوْمَ بِهِ صِبيانُهم ويكونُ لشفاهِهِم(٤) ، ومسيلِ مياهِهِم ، ويأتيهم بميرتهم . ثُمَّ مَرَّ يُسايرُ زياداً عليه ، وكانَ قد عادَى ابنَ عامرٍ فقال : ماأضَرَّ هذا النَّهْرَ لأهلِ هذا المِصْرِ ! فقالَ : أجلْ أيُّها الأميرُ تَنِزُّ منهُ دُورُهُم ، وتَغْرَقُ فيه(٥) صِبيانُهُم ، ومِن أجْلِهِ يكثُرُ بعوضُهم(٦).

وقد عِيبَ هذا البيانُ ونَحْوُهُ ، وعُدَّ اسهاباً ، وبَعْضُهُم عَدَّهُ نِفاقاً .

وليسَ كذلك ، لأنَّهُ ماأسْهبَ ولا نافَقَ ولا صَوَّرَ الباطِلَ في صورةِ الحقِّ ، ولا الحقَّ في صورةِ الباطِلِ . وانمّا وَصَفَ مناقِبَهُ تارةً ومثالِبَهُ أُخرى . كما فَعَلَ عَمْرو بن الأهتمِ(٧) بينَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ عليه السلامُ ، وقد سَألَهُ عن الزِّبْرِقانِ بنِ بَدْرٍ ، فأثنى عليهِ خَيْراً ، وقالَ : مانِعٌ لحَوْزَتِهِ ، مُطاعٌ في عشيرتِهِ . فلم يرضَ بذلك ، وقال : أمَا انَّهُ قد عَلِمَ أكثرَ مما قالَ ولكن حَسَدَني شَرَفي ، وفي روايةٍ : مكاني منك . يُخاطِبُ النبيَّ صلّى اللهُ عليه . فأثنَى عليه عَمْرٌو شرّاً ، وقال : أمَا لَئِنْ قالَ ماقالَ . لقد (٤ أ) علمتهُ ضَيِّقَ الصَّدْرِ ، زَمِرَ(٨) المروءةِ ، أحمقَ الأدبِ ، لئيمَ الخالِ ، حديثَ الغِنَى ، ثُمَّ قال : واللهِ يارسولَ اللهِ ماكذبتُ عليه في الأوّلِ ، ولقد صدقتُ في الآخِرِ . ولكن أرضاني فقلتُ بالرضا ، وأسخطني فقلتُ بالسُّخطِ ، فقالَ صلّى اللهُ عليه : (انَّ مِن البيانِ لسِحْراً)(٩) . قالَ أبو عُبَيد (١٠)، كأنَّ المعنى –

العمدة ١ / ٢٤٧ .

٢ كان سيد بني ضبة بالبصرة (الاشتقاق ١٩٤) .

(٣) هو عبدالله بن عامر ، ولاه عثمان البصرة ، توفي سنة ٥٩ هـ . (المعارف ٣٢٠ ، الوزراء والكتاب ١٤٨) .

(٤) في الممتع والعمدة : لسقياهم .

(٥) من ت . وفي الأصل : فيهم .

(٦) القصة في البيان والتبيين ١ / ٣٩٤ ، الممتع ٣١١ ، العمدة ١ / ٢٤٧ .

(٧) هو عمرو بن سنان ، مخضرم ، توفي سنة ٥٧ هـ (الأعلام ٥ / ٢٤٧) .

(٨) في الأصل و ت : من . والصواب ماأثبتناه . وزمر : قليل . (المسند ١ / ٢٦٩ ، فتح الباري ١٠ / ١٩٤) .

(٩) الأمثال ٣٧ ، جمهرة الأمثال ١ / ١٣ ، مجمع الأمثال ١ / ٧ .

(١٠) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، توفي سنة ٢٢٤ هـ . (مراتب النحويين ٩٣ ، انباه الرواة ٣ / ١٢) .

واللّهُ أعْلَمُ ـ أنَّهُ يبلغُ مِن بيانِهِ أنَّهُ يمدحُ الانسانَ فَيَصْدُقُ فيه حتى يَصْرِفَ القلوبَ الى قولِهِ ، ثم يذمُّهُ فيصدُقُ فيه حتى يصرفَ القلوبَ الى قولِهِ الآخرِ . فكأنَّهُ سَحَرَ السامعينَ بذلكَ .

وأهلُ هذه الصناعةِ يُعَبِّرونَ عن البلاغةِ بالبيانِ ، امّا لاتحادِ معناهما أو على سبيلِ المجازِ ، لأنَّهُ نوعٌ منها الاّ أنَّهُ أخصُّ ، لأنَّ كلَّ بيانٍ بلاغةٌ ، وليسَ كلُّ بلاغةٍ بياناً .

وقال الرُّمّانيّ (١) : البيانُ (٢) احضارُ المعنى للنفسِ بسرعةِ ادراكٍ .

قوله : (بسرعة) احترازٌ من الدّلالةِ لئلّا يلتبسَ بها ، لأنّها احضارُ المعنى للنفسِ وانْ كان بابطاءٍ .

ويُقالُ لكلِّ شيءٍ عِمادٌ ، والروحُ (٤٠ ب) عمادُ البدنِ . والعِلْمُ عمادُ الروحِ . والبيانُ عمادُ العلمِ .

ولا يتأتىَ البيانُ الاّ لِمَنْ قد ألقى بصحراءِ (٣) الأدبِ بَعاعَهُ فانقادَتْ اليه ازمّتُهُ حينَ مدَّ اليها باعَهُ .

باب أدب الشاعر (٤)

يُسْتَحَبُّ للشاعرِ أنْ يكونَ حَسَنَ الأخلاقِ ، حُلْوَ الشمائلِ مأمونَ الجانبِ ، طَليقَ الوَجْهِ ، طَلْقَ اليدينِ ، والاّ هو كما قالَ ابن أبي فَنَنٍ (٥) :

وانَّ أحَقَّ الناسِ باللُّوْمِ شاعِرٌ   يلومُ على البُخْلِ الرجالَ ويَبْخَلُ

فإنْ اتَّصَفَ بذلك كانَ أمْلأ في العيونِ ، وألْوَطَ بالقلوبِ .

يُسْتَحَبُّ له أنْ يُكثِرَ من حفظِ شِعْرِ العربِ لاشتمالِهِ على ذِكْرِ أخبارِهم وآثارِهم ، وأنسابِهم وأحسابِهم ، وفي ذلك تقويةٌ لطبعِهِ ، وبه يعرفُ المقاصِدَ ، ويسهلُ عليه اللفظُ ، ويتسعُ المذهبُ ، (فانَّهُ) (٦) إذا كانَ له طبْعٌ وأخَلَّ بذلكَ فربمّا طَلَبَ مَعْنى

---

(١) النكت في اعجاز القرآن ١٠٦ . والرماني هو علي بن عيسى ، توفي سنة ٣٨٦ هـ . (انباه الرواة ٢ / ٢٩٤ ، وفيات الأعيان ٣ / ٢٩٩) .

(٢) ساقطة من ت .

(٣) ت ، بضجر .

(٤) العمدة ١ / ١٩٦ . وقد نقل ابن معصوم هذا الباب في كتابه أنوار الربيع ٥ / ١٦٠ .

(٥) أحمد بن أبي فنن ، شاعر عباسي (طبقات الشعراء ٣٩٦ ، معجم الادباء ١٦ / ١٨٥) . والبيت في العمدة ١ / ١٩٦ .

(٦) من أنوار الربيع ٥ / ١٦١ نقلاً عن الكفاية .

فلا يَصِلُ اليهِ (٢٥) وهو ماثِلٌ بينَ يَدَيْهِ لضَعْفِ آلتِهِ ، كالمُقْعَدِ يجدُ في نفسِهِ القُوَّةَ على النهوضِ فلا تُعينُهُ آلتُهُ .

وسُئِلَ رؤبةُ عن الفَحْلِ من الشعراء فقالَ : هو الراويةُ . يُريدُ أنَّهُ اذا رَوَى(١) استَفْحَلَ .

قال ابنُ حَبيب(٢) : لأنَّهُ يجمعُ الى جَيِّدِ شِعْرِهِ مَعْرفَةَ جَيِّدِ شِعْرِ غيرِهِ ، فلا يحملُ نَفسَهُ الاَّ على بصيرةٍ .

وقالَ رؤبةُ[٣] في صِفةِ شاعِرٍ :

لقد خَشِيتُ أنْ يكونَ ساحِراً
راويةً مَرًّا ومَرًّا شاعِرا

فاستَعْظَمَ حالَهُ حتى قَرَنَها بالسِّحْرِ .

وكانَ امرؤُ القيسِ راويةَ أبي دُواد(٤) الايادِيّ ، مع فَضْلِ نَحيزَتِهِ ، وقُوَّةِ غريزَتِهِ .

وكانَ زُهَيْرٌ راويةَ أوْسِ بنِ حَجَرٍ وطُفَيْلٍ الغَنَوِيّ .

وكانَ الحُطيئَةُ راويةَ زُهَيْرٍ .

وكانَ الفَرَزْدَقُ على فَضْلِهِ يروي للحُطيئَةِ كثيراً .

وكانَ كُثَيِّرٌ راويةَ جَميلٍ ، ولم يكن بدونِ الفَرَزْدَقِ وجَريرٍ ، بَلْ كانَ يُقَدَّمُ عليهما عند أهْلِ الحِجازِ .

ولا يَسْتَغْنِي عن تَصَفُّحِ أشعارِ المُحْدَثينَ المُجيدينَ لِما فيها مِنْ حلاوةِ اللفظِ ، وقُرْبِ المأخَذِ ، واشاراتِ (٥ ب) المُلَحِ ، ووجوهِ البديعِ ، وأنْ يكونَ مُتَصَرِّفاً في أنواعِ الشعرِ ، من جِدٍ وهَزْلٍ ، وحُلْوٍ وجزلٍ ، ومَدْحٍ وهجاءٍ ، ورِثاءٍ وافتخارٍ واعتذارٍ . فانْ كانَ كذلكَ لم يُمَلَّ شِعْرُهُ . فيُحْكَمُ لَهُ بالتَّصَرُّفِ والتَّقَدُّمِ .

وقد ادَّعَى ذلكَ حبيبٌ(٦) في القصيدةِ الواحدةِ فقالَ :

الجِدُّ والهَزْلُ في تَوشيعِ لُحْمَتِها والنُّبْلُ والسُّخْفُ والأشْجانُ والطَرَبُ

(١) ت ، اروى .

(٢) هو يونس بن حبيب كما في العمدة ١ / ١٩٧ .

(٣) أخل بهما ديوانه . وهماله في العمدة ١ / ٢٧ ، ١٩٧ .

(٤) في النسختين ، داود . والصواب ماأثبتنا .

(٥) ت ، زهيرا .

(٦) ديوانه ١ / ٢٥٨ .

وقال اسماعيلُ بنُ القاسمِ أبو عَتاهيةَ : (١)

لا يُصْلِحُ النَفْسَ اذْ كانَتْ مُرَكَّبَةً الاّ التصرُّفُ مِنْ حالٍ الى حالِ

فَصْلٌ

والشعرُ : قولٌ موزونٌ مُقفّى ، دالٌّ على مَعْنىً ، مُفْتَقِرٌ الى نِيَّةٍ .

ويَنْقَسِمُ ثلاثةَ أقسامٍ : جَيِّدٌ ومتوسِّطٌ ورديءٌ .

فالجيِّدُ (٢) ماكانَتْ ألفاظُهُ حُلْوَةً ، ومخارِجُهُ سَهْلَةً ، وقوافِيهِ سلسَةً مألوفةً . ووَزْنُهُ حَسَناً تقبلُهُ النفسُ ، سالماً (٦ أ) من الزِّحافِ .

واعْلَمْ أنَّ اللفظَ كالصورةِ ، والمعنى كالروحِ ، فإنِ اتفقا وَقَعَ(٣) الكمالُ ، وإنِ اختلفا وَقَعَ النَّقْصُ . وأحْسَنُ الالفاظِ ثلاثةٌ : التطبيقُ والتجنيسُ والمقابلةُ . وأحسنُ المعاني ثلاثةٌ : الاستِعارةُ والتشبيهُ والمَثَلُ ، فَعَليكَ بها على سبيلِ الاقتصادِ .

والرديء معروفٌ . والمُتَوسِّطُ ماتَرَدَّدَ بينهما . فينبغي أنْ يرغبَ الشاعرُ في الحلاوةِ واللطافةِ والجزالةِ والفخامةِ . ويتجنَّبَ السوقيَّ القَريبَ(٤)، والحُوشيَّ الغَريبَ ، كما قالَ بعضُهم(٥) :

عليكَ بأوساطِ الأمورِ فانَّها نجاةٌ ولا تَرْكَبْ ذلولاً ولا صَعْباً

وَسَيُذْكَرُ لذلكَ نظائِرُ ليُقاس عليها .

فَصْلٌ

وينبغي أنْ يُحصِّلَ المعنى قبلَ اللَّفْظِ ، والقوافيَ قبلَ الأبياتِ ، ويكتبُ كلُّ لَفْظٍ يَسْنَحُ ، وكلَّ معنى يُلْمَحُ ، ويترنمَ بالشعرِ وهو يَصْنَعُهُ ، ويقصدُ عَمَلَهُ وقتَ السَّحَرِ وهو خالٍ من الهَمِّ ، لأنَّ النفسَ تكونُ قد أخَذَتْ (٦ ب) حَظَّها(٦) من الراحةِ ، ويجعل شهوتَهُ لقولِ الشعرِ التوصُّلَ الى حُسْنِ نظمِهِ فانَّها نِعْمَ المُعِينُ ، ويكون كأنَّهُ خَيَّاطٌ يقطعُ الثيابَ على مقاديرِ الأجسامِ فيُحْسِنُ التأتّي والسياسةَ ، ويعرفُ أغراضَ المُخاطَبِ كائناً مَنْ كانَ ، لانَّ لكلِّ مقامٍ مقالاً ، فيخاطبُ الناسَ على قَدْرِ طبقاتِهِم وتعلُّقاتِهِم . فانْ نَسَبَ ذَلَّ وخَضَعَ ، وانْ مَدَحَ أطْرَى واسمعَ ، وانْ هجا أقلَّ وأوْجَعَ .

---

(١) ديوانه ٣٢١ ، وفيه : ان كانت مصرفة الاّ التنقل .

(٢) من هنا الى آخر الفصل نقله ابن معصوم في أنوار الربيع ٥ / ١٥٨ .

(٣) ت : كان .

(٤) ساقطة من ت .

(٥) بلا عزو في فصل المقال ٣١٧ وبهجة المجالس ١ / ٢١٨ .

(٦) ت : حقها .

وانْ فَخَر خَبَّ(١) ووَضَع . وانْ عاتبَ خَفَضَ ورفَعَ . وان استعطف حَنَّ ورَجَّعَ . ويُحسنُ الفواتحَ والخواتِمَ . والمطالعَ والمقاطِعَ . ويُلطِّفُ الخروجَ الى المدحِ والهجاءِ . لأنَّ حُسْنَ الافتتاحِ داعيةُ الانشراحِ . وخاتِمَةَ الكلامِ أبقى في السَّمْعِ وألْصَقُ بالنفسِ لقُرْبِ العهدِ بها .فتَقَعُ من الأسماعِ والقلوبِ على حَسْبِها . ولكافة الخروجِ أشَدُّ ارتياحاً للممدوحِ . ويتفقَّدُ خاطِرَهُ بالمذاكرة . فانّها تقدحُ زِنادَهُ . وتُشُبُّ (٧ أ) اتِّقادَهُ . وتُفَجِّر عيونَ المعاني . وتثبت قواعدَ المباني . وبمطالعةِ الأشعارِ وترنُّم جَيِّدها فانّهما يُولِّدانِ الشَّهْوَةَ .

وقيل : ماستُدْعِي شاردُ الشعرِ بمثلِ الماءِ الجاري . والشرفِ العالي . والمكانِ الخالي . وتَمَلِّي الحالي . يُرادُ : الحالي من الرَّوْضِ . ويُسْتَحَبُّ له أنْ يُكثِرَ النظرَ في شعره فيُسْقِطَ الردىء منه . وكان الحُطَيْئَةُ يقولُ : خَيْرُ الشعرِ الحَوْليُّ المُحَكَّكُ . اقتداءً بمذهبِ زُهيرٍ وأوْسٍ وطُفَيلٍ(٣) .

ولله أبو أحمد يحيى بن عليّ المنجم حيثُ يقولُ :(٤)

رُبَّ شعرٍ نَقَدْتُهُ مثلَ ماينـ ـقُدُ رأسُ الصيارفِ الدِّينارا
ثم أرْسَلْتُهُ فكانَتْ معانيـ ـه وألفاظُهُ معاً أبْكارا
لو تأتّى لِقالةِ الشعرِ ماأسْـ ـقِطَ مِنْهُ خَلَوْا به الأشْعارا (٥)
انَّ خَيْرَ الكلامِ مايستعير النـ ـاسُ منه ولم يَكُنْ مُسْتَعارا(٦)

ويُكْرَهُ للشاعرِ أنْ يكونَ مُعْجَباً بنفسِهِ . مُثْنِياً على شِعرِهِ . وانْ كانَ مجيداً . إلاّ أنْ يُريدَ تَرغيبَ ممدوحٍ أو تَرْهيبَهُ . فقد جُوِّزَ لَهُ (٧ ب) ذلكَ مُسامَحَةً .

---

(١) في النسختين : جب . والصواب : حبّ . أي طال وارتفع . كما في العمدة ١ / ١٩٩ وأنوار الربيع ٥ / ١٥٨ .

(٢) من أول الفصل الى هنا نقله ابن معصوم في أنوار الربيع ٥ / ١٥٩ .

(٣) العمدة ١ / ٢٠١ .

(٤) معجم الشعراء ٤٩٤ . العمدة ٢ / ١٠٥ . وابن المنجم من الادباء المؤلفين . توفي سنة ٣٠٠ هـ . (معجم الشعراء ٤٩٤ . تاريخ بغداد ١٤ / ٢٣٠) .

(٥) من ت . وفي الأصل : لقالت .

(٦) سقط هذا البيت من ت .

بابُ الإرتجالِ والبَدِيهَة

واشتقاقُ البديهةِ من : بَدَهَ . بمعنى : بَدَأ . فأبدِلتِ الهمزةُ هاءً . لأنهما من مَخْرجٍ . وقالوا : لهنَّكَ تفعَلُ كذا . أي : لأنَّكَ .

والارتجالُ مأخوذٌ من السهولةِ والانصبابِ . ومنه : شَعْرٌ رَجْلٌ . اذا كانَ سَبْطاً مُسْتَرْسِلاً . وقيلَ : مِن ارتجالِ البئرِ . وهو أنْ تَنْزلَ(٢) اليها بالرِّجْلِ من غيرِ حَبْلٍ .

والبديهةُ تكونُ بعدَ الفِكْرِ . والارتجال ماكانَ تَدفُّقاً وانهمالاً . كالذي صَنَعَ الفَرَزْدَقُ . وقد دَفَعَ اليه سُليمانُ بنُ عبد الملك أسيراً من الرومِ ليقتلَهُ . فَدَسَّ عليه بعضُ بني عَبسٍ سَيْفاً كَهاماً فَنَبا حينَ ضَرَبَ به . وضَحِكَ سليمانُ . فقال الفرزدقُ(٣) يعتذرُ لنفسِهِ ويُعَيِّرُ بني عَبسٍ بنُبُوِّ سيفِ وَرقاء بن زهيرٍ عن رأسِ خالد بن جَعْفَرٍ :

فإنْ يكُ سيفٌ (خانَ) أو قَدَرٌ أتى ... لتأخِيرِ نَفْسٍ حَيْنُها غيرُ شاهِدِ
فَسيفُ بني عَبْسٍ وقد ضَرَبُوا (بِهِ) ... نَبَا بيَدَيْ وَرْقاء عن(٤) رأسِ خالِدِ
كذاكَ سيوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظُباتُها ... ويقطَعْنَ أحياناً مناطَ القلائِدِ
(٨ أ) ولو شِئْتُ قَدَّ السيفُ مابينَ أنفِهِ ... الى عَلَقٍ بينَ الشراسيفِ جاسِدِ

ثم جَلَسَ وهو يقول :(٥)

لانَقْتُلُ الأسْرَى(٦) ولكِنْ نَفُكُّهُم ... اذا أُثْقِلَ(٧) الأعناقَ حَمْلُ المَغارِمِ

وكقولِ مُرَّة بن محكان السعدي(٨)، وقد أمَرَ مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ أسَدِيّاً بقتلِهِ :(٩)

بني أسَدٍ انْ تقتلوني تُحارِبوا ... تميماً اذا الحربُ العَوانُ اشمَعَلَّتِ
ولستُ وانْ كانَتْ اليَّ حَبيبةً ... بباكٍ على الدنيا اذا ماتَوَلَّتِ

(١) العمدة ١ / ١٨٩-١٩٠ . جوهر الكنز ٤٣٩ .

(٢) ت : ينزل .

(٣) ديوانه ١٨٦ . ٢١٣ . وما بين القوسين منه . وقد سقطا من النسختين .

(٤) ت : من .

ولو رَوَى في هذا خَوْلاً على أمْنٍ ودَعَةٍ وفرطِ شهوةٍ وشدَّةِ حَمِيَّةٍ لما زادَ عليه. وذلكَ لأنَّ الشاعرَ اذا كانَ ساكِنَ الجأشِ قَوِيَّ الغريزةِ كانَ شِعْرُهُ في الرُوِيَّةِ والبَديهةِ والارتجالِ سواء آمناً وخائفاً بدليل اتحاد طريقتهِ على اختلافِ الأحوالِ المؤثرة.

ومن أنواع الارتجال نوعٌ يُسَمَّى المُوارَبَة

وأصلُها من الارْبِ، وهو المكْرُ والخديعةُ. يُقالُ، أرِبْتُ بكذا (٨ ب) اذا مكرتَ به وخدعتَهُ. وهي أنْ يقولَ الشاعرُ شيئاً في مَدْحٍ أو هَجْوٍ أو نَسيبٍ، فانْ أنكِرَ عليه شيءٌ أو عثر عليه المهجُوَ غَيَّرَ المعنى بحركةٍ الى مايتخلَّصُ به أو غيرَّ لفظةً أو أكثر كقول عِتْبان الحَرُوريِّ[1]:

فإنْ يَكُ منكم كانَ مروانُ وابنُهُ　　　وعمرٌو ومنكُم هاشمٌ وحبيبُ
فمِنا حُصَيْنٌ والبُطَيْنُ وقَعْنَبٌ　　　ومِـنا أمِـيرُ المؤمـنـيـنَ شَـبِـيـبُ

ثم ظَفِرَ به هشامُ بنُ عبدالملكِ فقالَ له: أنْتَ القائلُ:

ومِنّا أميرُ المؤمنين شبيبُ

فقال: انّما قلتُ: ومِنّا أميرَ المومنين. فتخلَّصَ بُعُدولِهِ عن الخبر الى النداء. وهذه الموار بةُ لطيفةٌ جدّاً.

ولمّا بَلَغَ المأمونَ أنَّ قاضيَ دمشقَ قالَ:

برئتُ من الاسلامِ انْ كانَ كلُّما　　　أتاكَ بِهِ الواشونَ عنّي كما قالُوا

أنكرَ عليه وقالَ: قاضٍ لاتكونُ له يمينٌ الاَّ بالبراءةِ من الاسلام (٩ أ) لاتسعُ الاستعانةَ بِهِ في الدماءِ والفروجِ والأموالِ، وأمَرَ باشخاصِهِ. فلَمّا دَخَلَ عليه سألَهُ عن البيتِ. فقال: انما قلتُ: حُرِمْتُ مَنايَ منكَ.

وقيلَ: انَّ السَيِّدَةَ سُكَيْنَةَ لَمّا سَمِعَتْ قولَ نُصَيبٍ: (٢)

أهيمُ بدَعْدٍ ماحَيِيتُ فانْ أمُتْ　　　فياكبِدا مَنْ ذا يَهيمُ بها بَعْدِي

قالت له: اهتَمَمْتَ بمَنْ يدخلُ عليها مِثْلَ ذراعِ البكرِ، فقالَ: انما قلتُ: فياكبدا ممنْ يهيمُ.

---

(١) شعر الخوارج ١٨٢. وعتبان بن أصيلة (ويقال، وصيلة)، من شعراء الخوارج. (من نسب الى أمه من الشعراء ٩٥، الاشتقاق ٣٥٩، معجم الشعراء ١٠٩).

(٢) شعره، ٨٤، وفيه، فواحزنا.

ولما أنشدَ الأخطلُ (١) عبد الملك بن مروان ؛

لقد أوقَعَ الجحَّافُ بالبِشْرِ وَقْعَةً ... الى الله منها المُشْتَكى والمُعوَّلُ
فانْ لاتُغَيِّرها قُرَيْشٌ بمُلكِها ... يكُنْ عن قُرَيْشٍ مُسْتَمازٌ ومَزْحَلُ

قالَ له ؛ الى أيْنَ يا بنَ اللَّخْناءِ ؟ فقالَ ، الى النارِ . فقال ، أما (٢) واللهِ لو قلتَ غيرَها لأمرتُ بأخذِ مافيه عيناكَ .

وحكَى ابنُ دُرَيْدٍ ، (٣) أنَّ أعرابيًا سَبَّ رجلًا فقال ؛ لَمَحَ أمَّهُ . فقدِّمَ الى السلطانِ فقال ؛ انَّما قُلتُ ، مَلَجَ . فَدَرأَ عنه الحَدُّ . قال أبو بكرٍ ؛ لَمَحَها ؛ أتاها ، ومَلَجَها ، رَضِعَها .

(٩ ب) ومن أنواعِهِ : الاجازةُ والتمليطُ (٤)

واشتقاق الاجازة هنا مِن معنى الاجازة في السَّقْي . يُقالُ ، أجازَ فلانٌ فلانًا ، اذا سقاهُ . فكأنَّ الشاعرَ يُزيلُ بها صَدَأ الشكِ في قريحتِهِ عن قلبِ صاحبِهِ أو يبرد حرارتَهُ لقيامِهِ عنه بمعنى تَعَذَّرَ عليه . واللفظةُ فصيحةٌ . ويجوز أنْ يكونَ من ؛ أجَزْتُ عن فلانٍ الكأسَ ، اذا تركتَهُ وسقيتَ غيرَه .

قال ابن السِّكِّيت ، يقال للذي يَرِدُ على الماء فيستقي ؛ مُستجيزٌ (٥) . قالَ القطاميُّ (٦) ؛

وقالوا فُقَيْمٌ قَيِّمُ الماء فاستجزْ ... عُبادَةَ انَّ المُسْتَجيزَ على قُتْرِ

قال ابو جعفر ؛ أصلُ الجائزة أنْ يعطى الرجلُ مايُجيزُهُ ليذهبَ الى وجهِته . وكان الرجلُ اذا وَرَدَ الماءَ قالَ لقيِّمه ؛ أجزْني ، اي اعطني ماءً حتى اذهبَ لوجهتي فأجوزَ عنكَ (٧) . ثم كَثُرَ حتى جُعلتِ الجائزةُ عَطِيَّةٌ . قال الراجزُ ؛ (٨)

يا قَيِّمَ الماء فَدَتْكَ نَفْسي
أحسِنْ جوازي وأقِلَّ حَبْسي

(١) ديوانه ١١ . وفيه ، مستماز ومزحل . وينظر ، عيار الشعر ٩٣ ، الممتع ٤٩٤ .
(٢) في النسختين ، أم .
(٣) تنظر ، جمهرة اللغة ٢ / ١١١ ، ١٩٠ .
(٤) العمدة ٢ / ٨٩ .
(٥) ت ، مجيز . وقول ابن السكيت في العمدة ٢ / ٩٠ .
(٦) ديوانه ٧٣ . وعلى قتر ، على ناحية وحرف .
(٧) الفاخر ٢٤٤ ، الزاهر ٢ / ١٦ .
(٨) بلا عزو في الفاخر ٢٤٤ ، الزاهر ٢ / ١٦ ، اساس البلاغة (جوز)

وهي بناءُ الشاعرِ بيتاً أو قَسِيماً على ماقبلَهُ . قالَ حسَّانُ بن ثابتٍ(١) وقد (١٠ أ) أرِقَ ذاتَ ليلةٍ :

متاريك أذنابِ الأمورِ اذا اعتَرَتْ أخَذْنا الفروعَ(٢) واجتنبنا أصولَها

وأحبل . فقالت ابنتهُ : يأبَتِ . ألا أجيز عنكَ . فقال : أو عندكِ ذاك ؟ قالت : بلَى . قالَ : فافعلي . فقالت :

مقاويلِ للمعروفِ خُرْسٌ عن الخَنا كِرامٌ يُعاطُونَ العشيرةَ سُولَها

فَحَمِيَ الشيخُ عندَ(٣) ذلكَ . فقالَ :

وقافيةٍ مثلِ السّنانِ وَرِثْتُها تناوَلتُ مِن جَوّ السماءِ نُزُولَها

فقالت ابنته :

براها الذي لا ينطِقُ الشعرَ عندَهُ ويعجزُ عن أمثالِها أنْ يَقُولَها

(١٠ ب) وقالَ بَعْضُهم لأبي العتاهيةِ(٤) : أجِزْ :

بَرَدَ الماءُ وطابا

فقال :

حَبَّذا الماء شرابا

وقد يُجازُ القسيمُ ببيتٍ ونصفٍ كقولِ الرشيدِ للشعراء . أجيزوا :

المُلكُ للهِ وَحْدَه

فقالَ الجَمّازُ :(٥)

وللخليفةِ بَعْدَه

وللمُحِبِّ اذا ما حبيبُهُ باتَ عِنْدَه

وأما التمليطُ فاشتقاقه من أحد شيئين : امَّا مِن المِلاطَيْنِ ، وهما العضُدان عند ابن السكيت . وقالَ غيرُه : هما جانبا السَّنامِ من مَرَدِّ الكَتِفَيْنِ ، قال جَريرٌ :(٦)

ظَلِلْنَ حَوالَيْ خِدْرِ أسماءَ وانتَحَى بأسْماءَ مَوَّارُ المِلاطينِ أرْوَحُ

فكأنَّ كلَّ قَسيمٍ مِلاطٌ ، أي جانبٌ من البيت . وامَّا من المَلاطِ ، وهو الطينُ الذي يدخلُ في البناءِ يُمْلَطُ به الحائطُ مَلْطاً حتى يصيرَ شيئاً واحداً . وهذا عند ابن رشيق(٧) أجودُ من الأوَّلِ .

---

(١) ديوانه ١ / ٢٩٣ .

(٢) ت : بفروع .

(٣) (٢٣) ت : عن .

(٤) ديوانه ٤٨٦ . وينظر : العمدة ٢ / ٩٠ . بدائع البدائه ٦٥ .

(٥) شاعر عباسي . توفي سنة ٢٥٠ هـ . (طبقات الشعراء ٣٧٣ . تاريخ بغداد ٣ / ١٢٥) .

(٦) ديوانه ٨٣٥ .

(٧) العمدة ٢ / ٩٢ .

وأمّا المَلْطُ فهو (١١ أ) الذي لا يُبالي ماصَنَعَ . والأمْلَطُ : وهو الذي لاشَعَرَ عليه في جَسَدِهِ . فليس لاشتقاقه منهما وَجْهٌ .

قالَ امرؤ القيس للّتوءَم اليشكريّ : انْ كنتَ شاعراً كما تقولُ فَمَلِّطْ أنصافَ ماأقولُ وأجِزْها . قال : نَعَمْ . فقال امرؤُ القيس : (١)

أحارِ تَرَى بُرَيْقاً لاحَ وَهْناً

فقالَ التُّوْءَمُ : كنارِ مَجُوسَ تَسْتَعِرُ استِعارا (٢)

فقالَ امرؤُ القيس : أرِقتُ له ونامَ أبو شُرَيْح

فقالَ التوءَمُ : اذا ماقلتُ قد هَدَأ استطارا

فقال امرؤُ القيس : كأنّ هَزِيزَهُ بوراءِ غَيْبِ

فقال التوءَمُ : عِشارٌ وُلَّهٌ لاقَتْ عِشارا

وقد تُمَلِّطُ(٣) الأبياتَ جماعةٌ . حُكِيَ أنَّ أبا نُواسٍ وابنَ الأحنفِ والخليعَ ومسلماً خرجوا في مُتَنزهٍ لهم ومعهم يحيى بنُ المُعَلّى . فقامَ يُصَلّي بهم . فنسيَ الحمدَ وقرأ : « قُلْ هُوَ اللهُ أحدٌ »(٤) فأُرْتِجَ عليه في نصفها . فقال أبو نُواس : أجيزوا :

أكْثَرَ يحيى غَلَطاً   في قُلْ هُوَ اللهُ أحَد

فقال عباسٌ :

قامَ طويلًا ساهياً (١١ ب) حتى اذا أعيا سَجَدْ

فقال صريعٌ :

يزحرُ في مِحرابِهِ   زَحيرَ حُبْلَى بوَلَدْ

فقال الحُسَينُ : (٥)

كأنما لِسانُهُ   شُدَّ بحَبْلٍ مِن مَسَدْ

وأنْشَدَ ابنُ رشيقٍ(٦) هذه الأبيات على سبيلِ الاستملاح لها والاطرافِ بها وقيل : هذا الذي يعجز . فقال : هَلّا قالوا بَعْدَ الأولِ :

---

(١) ديوانه ١٤٧ . وينظر : العمدة ١ / ٢٠٢ و ٢ / ٢ / ٩١ . بدائع البدائه ١٦٨ .

(٢) في النسختين : يستمر .

(٣) ت : يملط .

(٤) الاخلاص ١ .

(٥) في النسختين : الحسن . وهو تحريف . وينظر : ديوانه ٤١ .

(٦) العمدة ١ / ٩٢ .

ونَسيَ الحمدَ فما مُرَّتْ له على خَلَدْ

فقيل له : لمن البيتُ ؟ فقالَ : لابن وَقْتِهِ .(١) وهذا مليحٌ جداً لأنَّهُ حَكى الحالَ حقيقةً .

باب الفواتِح والخواتِم

والمطالع(٢) والمقاطع وبراعة الاستهلال والتخلص(٣)

الفواتحُ أوائلُ القصائدِ ، والخواتِمُ أواخرُها . وحُسْنُ الابتداء دليلٌ على البيان ، وكذلك حُسْنُ الانتهاءِ . ولم يَقَعْ خلافٌ في أنَّ حُسْنَ الابتداءاتِ قول امرىء القيس(٤) :

قِفا نَبْكِ من ذكرى حَبيبٍ ومنزلِ

لأنَّهُ وَقَفَ واستوقَفَ وَبَكى واستبكى وذَكَرَ الحبيبَ والمنزلَ في نصفِ بيتٍ .

ومِن أحْسَنِها قولُ أشْجَعَ(٥) : (١٢ أ)

قَصْرٌ عليه تَحِيَّةٌ وسلامُ نَشرتْ عَلَيْهِ جَمالَها الأيامُ

وينبغي أن يحترس الشاعر في ابتداءاتِهِ مما يُتَطَيَّرَ منه ويُسْتَجْفَى ، خاصةً في المدائح والتهاني . وأُنكِرَ على أبي نُواس(٦) قولُهُ :

أَرَبْعَ البِلَى انَّ الشحوبَ لبادِي

فلمّا انتهى الى قوله :(٧)

سلامٌ على الدنيا اذا مافُقِدْتُمُ بني بَرْمَكٍ من رائحين وغادِي

استحكمَ تطيُّرهُمُ ، وقيلَ : انَّهم نُكِبوا بعد ذلك بقليل .(٨)

وأنْ يحترسَ مما يُتأوَّلُ عليهِ ويُبادَرُ بالجَبهِ(٩) اليه ، كما قيل لأبي تمام(١٠) حين أنْشَدَ :

---

(١) العمدة ١ / ٩١ ـ ٩٢ ، بدائع البدائه ٢٣١ .

(٢) (والمطالع) ، ساقطة من ت .

(٣) ينظر ، الصناعتين ٤٥١ ، العمدة ١ / ٢١٥ ، البديع في نقد الشعر ٢٨٥ ـ ٢٨٨ ، تحرير التحبير ٤٣٣ ، الطراز ٢ / ٢٦٦ ، شرح عقود الجمان ١٧٣ .

(٤) ديوانه ٨ ، وعجزه ، بسقط اللوى بين الدخولِ فحومل

(٥) ديوانه ٢٥٢ ، وفيه ، نثرت .

(٦) ديوانه ٣٨٤ ، وعجزه ، عليك واني لم أخنك ودادي

(٧) ديوانه ٣٨٨

(٨) عيار الشعر ١٢٢ .

(٩) الجبه الاستقبال بالمكروه .

١٠ ديوانه ١ / ١٩٨ ، وعجزه ، أذيلت مصونات الدموع السواكب .

على مِثلها من أرْبُعٍ وملاعبِ
لَعْنَةُ اللهِ ولعنةُ اللاعنين .

وأنْشَدَ الجَعْدِيُّ[1] بعضَ الملوكِ :

لَبِسْتُ أناساً فأفنيتُهُم ‏ ‏ ‏ وأفْنَيْتُ بعدَ أناسٍ أناسا

فقال : ذلك لشؤمكَ .

ويُسْتَحَبُّ أنْ تكونَ خاتمةُ القصيدةِ حُلواً يُؤذِنُ النفسَ بانقضائها لئلا تكون كالبتراء . فمن أحْسَنِ الخواتِمِ قولُ تأبط شرّاً(٢) : (١٢ ب)

لتَقْرَعَنَّ عليَّ السنَّ من نَدَمٍ ‏ ‏ ‏ اذا تَذَكَّرْتَ يوماً بَعْضَ أخلاقِي

وقولُ زُهَيْرٍ(٣) :

واعلمُ مافي اليومِ والأمسِ قَبْلَهُ ‏ ‏ ‏ ولكنني عن عِلْمِ مافي غَدٍ عَمِي

ومن أنواع الفواتح : براعةُ الاستهلالِ

وهو أنْ يبتدىء الشاعرُ بما يدُلُّ على غَرَضِهِ كقولِ الخنساءِ(٤) :

وما بَلَغَتْ كفُّ امرىءٍ متطاولاً ‏ ‏ ‏ مِنَ المجدِ إلاّ والذي نِلْتَ أطْوَلُ
وما بَلَغَ المُهْدُونَ للناسِ مِدْحَةً ‏ ‏ ‏ وإنْ أطنبُوا إلاّ الذي فيكَ أفْضَلُ

ودخلَ الأخطلُ على معاويةَ فقال : انيّ مدحتُكَ فاسْمَعْ . فقال : انْ كُنْتَ شَبَّهْتَني بالحيَّةِ والصَّقْرِ فلاحاجةَ لي فيه . وانْ كنتَ قُلْتَ كما قالتِ الخنساءُ في أخيها ، وأنشدَ هذين البيتين ، فهاتِ ، فأنْشَدَهُ :

اذا مُتُّ ماتَ الجودُ وانقطعَ النَّدَى ‏ ‏ ‏ ولم يَبْقَ الاّ من قليلٍ مُصَرَّدِ(٥)

(١٣ أ) فقال : مازدتني على أنْ نَعَيْتَ اليّ نفسي .

والمطالعُ : أوائلُ الأبياتِ ، والمقاطِعُ : أواخرُها .

وأشارَ قُدامةُ(٦) الى أنّ المقاطِعَ أواخِرُ أجزاء البيتِ . وقيل : المطالعُ : أوائلُ الوصول ، والمقاطعُ : أواخرُ الفُصولِ . والفَصْلُ : آخِرُ جزء من القسم الأوّلِ ، والوَصْلُ : أوّلُ جزء يَليهِ من القسمِ الثاني(٧) .

---

(١) ديوانه ٧٧ .
(٢) شعره : ١١٢ .
(٣) ديوانه ٢٩ .
(٤) ديوانها ٦٠ .
(٥) ديوانه ٣٨١ نقلا عن مجموعة المعاني .
(٦) ينظر : نقد الشعر ٣٨ .
٧ العمدة ١ / ٢١٥ .

ومعنى قولهم : (حَسَنُ المقاطِعِ جَيِّدُ المطالع) : أنْ يكونَ مَقْطَعُ البيتِ ، وهو القافيةُ ، متمكِناً غيرَ قَلِقٍ ولا مُتَعَلِّقٍ بغيرِه . فهذا حُسْنُهُ . ومَطْلَعُهُ ، وهو أوَّلُهُ ، دالاً على مابَعْدَهُ كالتصدير وما شاكَلَهُ . ويحتَمِلُ أنَّ المرادَ به : حُسْنُ ابتداء القصيدةِ وجَوْدَةُ انتهائِها(١).

وبَراعةُ التخلُصِ : أنْ يكونَ التَّشبيبُ والخروجُ في بيتٍ ، كقولِ أبي سَعْدٍ(٢):

وذي هَيَفٍ كالبدْرِ سكرانَ ناظرٍ مُـغَرْبَدَهُ لـكِـنْ بـقـلـبـي خُـمارُهُ
تَناءَيتُ عن مغناه مَعْ شَغْفي بِهِ رجاءَ نَدَى المنصورِ عَزَّ انتصارُهُ

(١٣ب) وقولَ عليّ بن الجهم(٣):

ولَمّا أنْ تـجـلّى قالَ صَـحْـبـي أضَوْءُ الصبح أم وَجْهُ الامام

وقال محمد بن وهيب(٤):

مازالَ يُـلـثِـمُـنـي مراشِـفَـهُ ويـعُـلُّـنـي الابريـقُ والـقَدَحُ
حـتى اسـتردَّ الـلـيـلُ خِـلْـعَـتَـهُ وبدا خلال سوادِهِ وَضَـحُ
وبدا الـصـبـاحُ كأنَّ غُرَّتَـهُ وَجْـهُ الـخـلـيـفةِ حينَ يُـمْـتَدَحُ

باب النسيب(٥)

النَّسيبُ والتغزلُ والتشبيبُ بمعنىً واحدٍ . وأمّا الغزلُ فهو إلْفُ النساءِ والتخلُّقُ بما يوافِقُهُنَّ .

قالَ ابنُ دُرَيْدٍ(٦): نَسَبْتُ في الشعر نسيباً مثل : شَبَّبْتُ تشبيباً .

واشتقاقُ التشبيبِ يجوزُ أنْ يكونَ من : شَبَّ الصَّبِيُّ ، أو من : شَبَّ الفَرَسُ ، أو من : شَبَّ الرجلُ النارَ والحَرْبَ . وأصلُ الجميع الارتفاعُ . يُقالُ ذلكَ للصَّبِيِّ اذا ارتفعَ عن حالِ الطفوليَّةِ ، وللفرسِ اذا رفَعَ يَدَيْه وقامَ (١٤أ) على رِجْلَيْهِ ، وللرجلِ اذا رفَعَ سَنَا النارِ بالايقادِ . فكأنَّ الشاعرَ رفَعَ هذه فاستبانَتْ للناسِ بوصفِهِ .

---

(١) العمدة ١ / ٢١٦ .

(٢) ت : أبي سعيد .

(٣) ديوانه ٨ .

(٤) شاعر عباسي ، توفي نحو ٢٢٥ هـ . (طبقات الشعراء ٣١٠ . الأغاني ١٩ / ٧٤) . والأبيات في الأغاني ١٩ / ٨٨ - ٨٩ وسر الفصاحة ٣١٦ ومعاهد التنصيص ١ / ٢٢٠ .

(٥) العمدة ٢ / ١١٦ ، جوهر الكنز ٤٥١ .

(٦) جمهرة اللغة ١ / ٢٩٠ .

ومِن حُكْمِ النسيبِ الذي يفتتحُ به الشاعرُ كلامَهُ أنْ يكونَ ممزوجاً بما بعدَهُ مُتَّصِلًا به ، كالذي تقدَّمَ . فانَّ القصيدةَ كخَلْقِ الانسانِ في اتصالِ اعضائِه . فمتى انفصلَ واحدٌ عن الآخرِ أو بايَنَهُ غادَرَ بالجسم عاهةً تتخوَّنُ محاسِنَهُ وتُعَفّي معالِمَ جمالِه . فينبغي للحاذِقِ أنْ يتجنَّبَ شوائبَ النُّقْصانِ ويسلُكَ مَحَجَّةَ الاحسانِ . وحَقُّهُ أنْ يكونَ حُلْوَ الألفاظِ سَهْلَها ، قريبَ المعاني رَسْلَها ، ظاهرَ الماءِ ، ليِّنَ الأثناءِ ، رَطْبَ المَكْسَرِ ، شفّافَ الجَوْهَرِ ، يُطرِبُ الحزينَ ، ويستخِفُّ الرَّصينَ ، كقولِ كُثَيِّر(١)

وأدْنَيتِني حتى اذا ما سَبَيْتِني ... بقولٍ يُحِلُّ(٢) العُصْمَ سَهْلَ الأباطِحِ

تجافَيْتِ عنّي حينَ لاليَ حِيلَةٌ ... وغادرتِ ماغادَرْتِ بينَ الجوانِحِ

قيلَ ، انَّ جريراً سايَرَ راويةَ كُثَيِّر(٣) قاصدينَ الشامَ ، فطربَ وقالَ : (١٤٠ ب) أنشِدْني لأخي بني مليح(٤) ، يعني كُثَيِّراً ، فلمَّا انتهى الى هذينِ البَيْتَيْنِ قال : لولا أنَّهُ لايَحْسُنُ بشيخٍ مثلي النَّخِيرُ لَنَخرْتُ حتى يسمعَ هشامٌ على سَريرِه(٥).

ومِن أغْزَلِ ماقالت العربُ قول أبي صَخْرٍ(٦):

فيا حُبُّها زِدْني جَوىً كلَّ ليلةٍ ... ويا سَلْوَةَ الأيّامِ موعدُكِ الحَشْرُ

ومِنْ جَيِّدِ نَسيبِ العربِ قولُ بَعْضِهِم :(٧)

قَليلةُ لحمِ الناظرين يَزينُها ... شبابٌ ومخفوضٌ من العيشِ باردُ

أرادَتْ لِتَنْتاشَ الرُّواقَ فلم تَقُمْ ... اليهِ ولكنْ طَأطَأتْهُ الولائِدُ

تَناهى الى لهوِ الحديثِ كأنّها ... أخو سَقْطَةٍ قد أسلَمَتْهُ العوائِدُ

وأنواعُ التشبيبِ كثيرةٌ ، والذي أنْشِدَ ونَحوُهُ من أفضلِ مذاهبِ العربِ . وللمُحْدَثينَ طريقٌ غيرها كثيرةُ الأنواعِ ، ومن مُختارِها ماناسَبَ قولَ مُسْلِمٍ :(٨)

---

(١) ينظر ، ديوانه ٥٣٦ . وقد نسب أيضاً الى المجنون .

(٢) من ت . وفي الأصل ، يجل .

(٣) ت ، كثيراً .

(٤) من ت . وفي الاصل ، ملح .

(٥) امالي القالي ٢ / ٢٢٨ .

(٦) شرح أشعار الهذليين ٩٥٨ . وفي الأصل ، ومن أغزل ماقالت العرب . وقيل بل أغزل قول أبي صخر . وما أثبتناه من ت .

(٧) هو العباس بن مرداس ، ديوانه ١١٦ .

(٨) ديوانه ٣٤ .

أحِبُّ التي صدَّتْ وقالتِ لِتِرْبِها دَعيهِ الثُرَيَّا منه أقْرَبُ من وَصْلي
أماتَتْ وأحْيَتْ مُهْجَتي فَهْي عندها مُعلَّقةٌ بينَ المواعِيدِ (١) والمَطْلِ
(١٥ أ) وما نلتُ منها نائلاً غيرَ أنّني بشَجْوِ المحبينَ الألى سَلفُوا قَبلي
بَلى رُبَّما وَكَّلتُ عيني بنَظْرَةٍ اليها تزيدُ القَلْبَ خَبْلاً على خَبْلِ

ومِن أحسنِ مالَهمَ قولُ أبي نواس (٢) ،

كأنَّ ثيابَهُ أطْلَعْنَ من أزْرارِهِ قَمَرا
يزيدُكَ وَجْهُهُ حُسْناً اذا مازدْتَهُ نَظَرا
بِعَيْنٍ خالطَ التَّفْتِيرُ من أجفانِها الحَوَرا
وخَدٍّ سابريٍّ لَوْ تَصَوَّبَ ماؤُهُ قَطَرا

وقالَ البحتريُّ ، ويكادُ يكونُ أرقَّهم نسيباً وأملحَهُم طريقةً ،

ردَدْنَ ما خُفِّفَتْ منه الخُصورُ الى مافي المآزرِ فاستَقْبلْنَ أرْدافا
إذا نَضَوْنَ شُفوفَ الرَّيْطِ آوِنَةً قشَرْنَ عن لُؤْلُؤِ البَحْرَيْنِ أصْدافا

وقال أبو تَمام ، وقلَّ ما يوجَدُ نسيبٌ حُلْوٌ ،

أرامَةُ كُنْتِ مألَفَ كُلِّ رِيمٍ لو استمتَعْتِ بالأُنْسِ القَديمِ
أدارَ البؤسِ حَبَّبَكِ التصابي إليَّ فصرْتِ جَنَّاتِ النَّعيمِ
(١٥ ب) وممَّا ضَرَّمَ البُرَحَاءَ أنّي شكوتُ فما شَكوتُ الى رَحيمِ

ومن مَليحِهِ قولُ أبي الطيِّبِ ،

ودُسْنا بأخْفافِ المَطِيِّ تُرابَها فما زِلْتُ أستشفي بلثمِ المناسمِ
ديارُ اللَّواتي دارُهُنَّ عزيزةٌ بسُمْرِ القَنا يَحْفَظْنَ لا بالتمائمِ
حِسانُ التثني يَنْقُشُ الوشيُ مِثْلَهُ إذا مِسْنَ في أجْسامِهِنَّ النواعِمِ
ويَبْسِمْنَ عن دُرٍّ تَقَلَّدْنَ مِثْلَهُ كأن التراقي وُشِّحَتْ بالمباسِمِ

---

(١١) في النسختين ، المواعد .

(١٢) ديوانه ٧٥٢ .

وقد خفَّتْ أسماءٌ على ألسِنَةِ الشعراء فاكثروا استعمالها لإقامةِ الوزنِ لاهوًى . نحو ، ليلى وسلمى وهندْ ودَعْد وعَلْوَةَ وزينب وجُمْل ونُعم ، وماأشبه ذلك . قال مالك بن زُغْبَة ،

وما كانَ طِبِّي حُبُّها غيرَ أنَّهُ   يـقامُ بسـلْـمى لـلـقوافي صُدُورُها (١)

وأمّا بُثينةُ وعَزَّةُ فحماهما (٢) جميلٌ وكُثَيِّرٌ أوكادا ، حتى كأنّما حُرِّماعلى الشعراء

واذا كانتِ اللفظةُ أحلى كانَ ذكُرها في الشعر أشْهى . إلاَّ أنْ تكون حقيقةٌ ولم يجِدِ الشاعرُ في الكنية مندوحةٌ فحينئذٍ (١٦ أ) يُعْذَرُ .

وقد يأتي الشاعرُ في القصيدة بأسماء كثيرةٍ إقامةً للوزنِ وتَحْلِيَةً للنسيبِ ، كقول جرير ، (٣)

أَجَدَّ رواحُ القومِ بَلْ لاتَ رَوَّحوا   بَلى كلُّ مَنْ يُغنَى بجُمْلٍ مُبَرَّحُ
صَحَا القلبُ عن سلمى وقد بَرَّحَتْ به   وما كانَ يَلْقى من تُماضِرَ أبْرَحُ

ثـــــــــم قال ،

إذا سايَرتْ أسماءُ يوماً ظعائِنـاً   فأسماءُ مِنْ تلكَ الظَّعائِنِ أمْلَحُ
ظَلِلْنَ حواليْ خدر أسماءَ وانتحى   بأسماءَ مؤارُ الملاطيْنِ أرْوَحُ
تقولُ سُلَيْمَى ليسَ في الصُّرْمِ راحَةٌ   بَلى إنَّ بعضَ الصُّرْمِ أشفى وأرْوَحُ

وقد استُثْقِلَ قولُ السيدِ الحِمْيَريّ (٤) ،

ولَقَدْ يكونُ بها أوانِسُ كالدُّمَى   هِنْدٌ وعَلْوَةُ ،والرَّبابُ وبَوْزَعُ

من اجل (بوزع) .

وقيل ، انَّ عبدالملك بن مروان أنكَرَ هذه اللفظةَ على جرير، فلا غَرْوَ أنْ يُسْتَثْقَلَ من السيِّد .

(١) الاختيارين ١٤٨ .
(٢) في النسختين ، فحما . وما أثبتناه من العمدة ٢ / ٢٢ .
(٣) ديوانه ٨٣٤ ــ ٨٣٥ وفيه ، أم لاتزوج ... مبَرّح .
(٤) ديوانه ٢٦٨ ، وفيه ، ولقد تكون .

ويُسْتَحَبُّ للشاعرِ أنْ (١٦ ب) يقتصِدَ في التشبيبِ اذا مَدَحَ لِئلّا يشغل الألفاظ العذبةَ والمعانيَ اللطيفةَ بِهِ . قيل : ان شاعراً مَدَحَ نَصْرَ بن سيارٍ بأرجُوزةٍ فيها مائةُ بيتٍ نسيباً وعشرةُ أبياتٍ مديحاً . فقال له : واللهِ ماأبْقَيْتَ كَلِمَةً عَذْبَةً ولا معنىً لطيفاً الاّ وقد شَغَلْتَهُ عن مديحي بنَسيبِكَ . فانْ أرَدْتَ مديحي فاقْتَصِدْ في النَّسيبِ . فغدا عليه فأنْشَدَهُ :

هَلْ تَعْرِفُ الدارَ لأمِّ العَمْرِ　　　دَعْ ذا وَحَبِّرْ مِدْحَةً في نَصْرِ (١)

فقال له نَصْرٌ : لاذاكَ ولا هذا . ولكنْ بَيْنَ الأمْرَيْنِ .

ويُكْرَهُ للشاعرِ اذا نَسَبَ أنْ يتعاطى قُدْرَةً أو يفتخِرَ اذا كانَ النسيبُ حقيقةً . فانْ كان مجازاً في بَسْطِ القصائدِ فلا بأسَ بذلك .

وعِيبَ على الفرزدقِ (٢) قَوْلُهُ :

ياأُخْتَ ناجيَةَ بنِ سامَةَ انَّني　　　أخْشَى عليكِ بَنِيَّ انْ طَلَبُوا دَمي

وعلى عَبّاس (٢٤) قَوْلُهُ :

فانْ تقتلوني لاتفوتوا بمُهْجَتي　　　مصاليتَ قومي من حَنيفَةَ أو عِجْلِ

(١٧ أ) وسَمِعَ ابن أبي عتيقٍ قولَ ابنِ أبي ربيعة : (٢٥)

بينما يَنْعَتْنَني أبْصَرْنَني　　　بينَ قِيدِ المِيلِ يَعْدو بي الأغَرْ
قالتِ الكبرى : أتعرِفْنَ الفَتى　　　قالتِ الوسْطى : نَعَمْ هذا عَمَرْ
قالتِ الصُّغْرى وقَدْ تَيَّمْتُها　　　قد عرفناهُ وهل يَخْفى القَمَرْ

فقالَ له : لم تُشَبِّبْ بِهِنَّ . وانَّما شَبَّبْتَ بنَفْسِكَ . وانَّما كانَ ينبغي لكَ أنْ تقول : قالتْ لي فقلتُ لها . فوَضَعْتُ خَدِّي فوطئَتْ عليه .

والعادةُ في العربِ أنْ يكونَ الشاعِرُ متغزِّلاً مُتَماوِتاً ظاهِرَ الرغبةِ والطلبِ . وهذا دليلٌ على كرمِ نَحيزَتِها . والعَجَمُ بالضدِّ .

ولمَّا سَمِعَ كُثَيِّرٌ (٢٧) قولَ ابنِ أبي ربيعةَ : (٢٨)

---

(١) بلا عزو في الشعر والشعراء ٧٦ والعمدة ٢ / ١٢٣ وفيهما : وحبِّر مدحة . وفي رواية الخبر خلاف .

(٢) ديوانه ٧٧٨ .

(٣) ديوانه ٢٠٩ . ورواية الصدر فيه : ولو كنتم ممن يقاد لما ونت . ورواية ابن الأثير مطابقة لرواية الشعر والشعراء ٨٢٧ والموشح ٤٤٦ .

(٤) ديوانه ١٥١ مع خلاف في الرواية .

(٥) ت : تشببت .

(٦) ت : فلما سمع ابن كثير .

(٧) ديوانه ١٤٥ مع خلاف في الرواية الأبيات .

قالَتْ لها اختُها تُعاتِبُها   لنُفسِدنَّ الطوافَ في عُمَرِ
قومي تَصَدَّيْ لَهُ لأبصِرَهُ   ثم اغمزيهِ ياأُخْتُ في خَفَرِ
قالَتْ لها قد غَمزْتُهُ فأبَى   ثم استطارَتْ تَشُدُّ (١) في أثري

قال : أهكذا يُقالُ للمرأةِ ؟ انما تُوصَفُ بأنَّها مطلوبةٌ مُتَمَنِّعَةٌ . (١٧ ب) ودَخَلَ بعضُ الكُتّابِ على عليِّ بنِ عبدِالله بنِ جَعْفَر بن ابراهيم الجَعْفَريّ ، وهو محبوسٌ ، فقال : أيْنَ هذا الجعفريّ الذي يَتَذَيَّثُ في شعرِه ؟ قال عليّ : فعلمتُ أنَّهُ يريدُني لقولي :

ولَمّا بدا لي أنَّها لاتُحِبُّني   وأنَّ هواها ليسَ عني بِمُنْجَلِي
تمنيتُ أنْ تهوى سِوايَ لعلَّها   تذوقُ مراراتِ الهوى فترقَّ لي

فقلتُ : أنا هو جُعِلْتُ فِداك . أنا الذي أقولُ في الغيرة :

رُبَّما سَرَّني صُدُودُكِ عَنّي   وطِلابيكِ وامتناعُكِ منّي
حَذَراً أنْ أكونَ مِفْتاحَ غَيْرِي   فاذا ماخَلَوْتُ كُنْتِ التمنّي (٢)

بابُ المديح (٣)

سَبيلُ الشاعرِ – اذا مَدَحَ مَلِكاً – أنْ يَقْصِدَ الافصاح والاشادةَ بذِكْرِه ، وأنْ يجعلَ ألفاظَهُ نَقيَّةً غيرَ مُبْتَذَلَةٍ ولا سُوقيَّةٍ ، ومعانيَهُ جَزْلَةً ، ويجتنب التقصيرَ والتطويلَ ، لأنَّ للملوكِ سآمَةً غالباً ، ورُبَّما عابوا من أجلِها مالا يُعابُ . وهذا مذهبُ جريرٍ على (١٨ أ) الاطلاقِ ، لأنَّهُ قال : (يابَنِيَّ اذا مدحتُم فلا تُطيلُوا المُمادَحَةَ ، فانَّهُ يُنْسَى أوَّلُها ، ولا يُحْفَظُ آخِرُها ، واذا هجوتُم فخالِفُوا) . ولا يُبالِ كيفَ قالَ في المَلِكِ ، ولا كيفَ أطْنَبَ ، وذلكَ محمودٌ وسواهُ المذمومُ واذا مَدَحَ كاتباً عملَ طاقَتَهُ .

وينبغي أنْ تُراعَى أغراضُ الممدوحِ على كلِّ حالٍ ، كائناً مَنْ كانَ ، ظاهِراً أو باطِناً ، لأنَّ ذلكَ يُؤلِفُ بينَ القلوبِ ، ويُساعِدُ على بلوغِ الطِلْبةِ ، فانْ كانَ المَمْدوحُ سُوقَةً فتجاوَزَ بِهِ خُطَّتَهُ ، كانَ كَمَنْ نَقَصَهُ منها ، والصوابُ أنْ يَصِفَ كلَّ انسانٍ بما يليقُ به ، ولا يُعْطيه وَصْفَ غيرِه ، فيَصِفُ الكاتبَ بالشجاعةِ ، والقاضي بالحَمِيَّةِ والمهابةِ الاّ أنْ تصحبَهُ (٤) قرينةٌ تَدُلُّ على صوابِ الرأيِ فيهِ ، فانْ لم تصحَبْهُ وعُمِلَ كانَ خَطَأً .

---

(١) كذا في النسختين . وفي الديوان : تشتد .

(٢) الخبر والابيات في العمدة ٢ / ١٢٤ .

(٣) العمدة ٢ / ١٢٨ ، جوهر الكنز ٢٤٧ .

(٤) من ت . وفي الأصل : يصحبه .

وأفْضَلُ مامُدِحَ به الانسانُ ماتَفرَّدَ به عن سائِرِ الحيوانِ كالعَقْلِ والعِفَّةِ والعَدْلِ ، أو ماشارَكَ فيه بَعْضَهُ كالشجاعَةِ . وما تَفرَّعَ من ذلكَ وتركَّبَ(؛) كقولِ زُهَيْرٍ :(١) (١٨ ب)

أخي ثِقَةٍ لاتُهْلِكُ الخَمْرُ مالَهُ ولكنَّهُ قد يُهْلِكُ المالَ نائِلُه

لأنَّهُ وَصَفَهُ بالعِفَّةِ لقِلَّةِ امْعانِهِ في اللذاتِ وأنَّهُ لايُنْفِدُ فيها « ماله »(٢) . وبالسخاءِ لاهلاكِهِ مالَهُ في النوالِ وانحرافِهِ عن اللَّذاتِ . وذلكَ هو العَدْلُ . ثم قالَ :(٣)

تَراهُ اذا ماجِئْتَهُ مُتَهَلِّلاً كأنَّكَ مُعْطِيه الذي أنْتَ سائِلُهْ

أراد : أنَّ فَرَحَهُ بما يُعطي أكثرُ من فَرَحِهِ بما يأخذُ . فزاد في وصفِ السخاءِ بأن جَعَلَهُ يَهشُّ . ولا يَلحقُهُ « مَضَضٌ »(٤) . ولا تَكَرُّهٌ لفِعْلِهِ . ثم قالَ :(٥) :

فَمَنْ مِثْلُ حِصْنٍ في الحروبِ ومِثْلُهُ لانكارِ خَصْمٍ أو لخَصْمٍ يُجادِلُهْ

فوَصَفَهُ في هذا بالشجاعةِ والعَقْلِ . فاستوفى الصفات الأربعَ(٦) التي هي فضائِلُ الانسانِ .

وقالَ أبو سَعْدٍ فجاءَ بالأربعةِ في بيتٍ فذكر الأربعةَ في بيت :(٧)

فلو سابقَ الاملاكَ عَقْلاً وعفَّةً وَعدْلاً وبأساً بَذَّ ساداتِهم سَبْقَا

(١٩ أ) وأمَّا ماتفَرَّعَ منها فكَعَدِّ أنواعِها . وكلٌّ داخِلٌ في جُمْلَتِها . مِثْلَ أنْ تَذْكَرَ ثقابَةَ المعرفةِ والحياءَ والبيانَ والسياسةَ والصَّدْعَ بالحجةِ والعِلمَ والحِلمَ ونحوَ ذلكَ . وهو من أقسامِ العَقْلِ . وكذِكْرِ القناعةِ وقِلَّةِ السهوة وطهارة الأردانِ ونحو ذلك . وهو من أقسامِ العِفَّةِ . وذِكْرُ الحمايةِ والأخذِ بالثأرِ والدفاع عن الجارِ والنكايةِ في العدوّ وقتلِ الأقرانِ والمهابةِ والسيرِ في المهامِهِ الموحِشَةِ . ونحو ذلكَ . وهو من أقسامِ الشجاعةِ . وذِكْرُ السماحةِ والانظلامِ والتغابُنِ والتبرُّعِ بالنائلِ واجابةِ السائلِ وقرى الأضياف . ونحوُ ذلكَ . وهو من أقسامِ العَدْلِ .

---

(١) ديوانه ١٤١ .

(٢) من العمدة ٢ / ١٣١ وبها يستقيم النص .

(٣) ديوانه ١٤٢ وفيه : تعطيه .

(٤) من العمدة ، وبها يستقيم النص .

(٥) ديوانه ١٤٣ وفيه ، لانكار ضيم أو لأمر يحاوله .

(٦) من ت . وفي الأصل ، الأربعة .

(٧) كذا في النسختين .

وأمّا تركيبُ بَعْضِها مع بَعْضٍ فيَحْدُثُ منه ستّةُ أقسامٍ : يحدثُ عن تركيبِ العقلِ مع الشجاعةِ الصبرُ على الملمات ونوازلُ الخُطوبِ والوفاءُ بالايعادِ . ونحوُ ذلكَ . وعن تركيبِ العقلِ مع (١٩ ب) العِفّةِ التنزهُ والرغبةُ عن المسألةِ والاقتصارُ على أدنى معيشةٍ . ونحوُ ذلكَ . وعن تركيبِ الشجاعةِ مع العِفّةِ انكارُ الفواحشِ والغَيْرةُ على الحُرَمِ . ونحوُ ذلكَ . وعن تركيبِ السخاءِ مع العِفّةِ الاسعافُ بالقُوتِ والايثارُ على النفسِ . ونحوُ ذلك .

ولا يُمْدَحُ الرجلُ بآبائِهِ الاّ على سبيلِ التبعيّةِ بَعْدَ أنْ يُمْدَحَ بنفسِهِ مِثْلُ أنْ يُجْعَلَ أنّهُ يشرُفُ بآبائِهِ ، وآباؤه تزداد بِهِ شرَفاً ليكونَ لكلٍّ حَظٌّ في المدحِ ، لأنَّ شَرَفَ الولدِ يَعُمُّ القبيلةَ ، وللوالدِ منه الحَظُّ الأوْفَرُ . وشرف الوالدِ وانْ كانَ ينتقلُ الى ولدِهِ كمالِهِ ، فانّهُ اذا أهملَهُ ضاعَ . وللهِ القائلُ :

لَبِسْنا المجدَ عن آباءِ صِدْقٍ ... أسأنا في ديارهم الصَّنيعا
اذا الحَسَبُ الكريمُ تواكَلَتْهُ ... ولاةُ السوءِ أوْشَكَ أنْ يضيعا

ومن المدحِ المنصوصِ عليه قولُ زُهَيْرٍ :(٢) (٢٠ أ)

وفيهم مقاماتٌ حِسانٌ وجُوهُها ... وأنْدِيةٌ يُنتابُها القولُ والفعلُ
فان جِئْتَهُمْ ألْفَيْتَ حولَ بيوتِهم ... مجالسَ قد يُشفَى بأحلامِها الجَهْلُ
على مُكْثِريِهمْ رزْقُ مَنْ يعتريهمُ ... وعندَ المُقِلّينَ السماحةُ والبَذْلُ
سَعَى بَعْدَهُم قومٌ لكي يُدرِكُوهُمُ ... فلم يَفْعلوا ولم يُليموا ولم يألُوا
فما كانَ مِنْ خيْرٍ أتَوْهُ فانّما ... توارَثَهُ آباءُ آبائِهِم قَبْلُ
وهَلْ يُنْبِتُ الخَطِّيَّ الاّ وَشِيجُهُ ... وتُغْرَسُ الاّ في منابِتِها النَّخْلُ

وتُمدحُ الملوك بالاغراقِ والتفضيلِ بما لايتَّسعُ غيرُهُم لبَذْلِهِ . كقولِ أبي العتاهيةِ :(٣)

فَتًى ماالستفادَ المالَ الاّ أفادَهُ ... سواهُ كأنَّ المالَ في كَفِّهِ حلْمُ
اذا ابتسَمَ المهديُّ قالتْ يمينُهُ ... ألا مَنْ أتانا زائِراً فَلَهُ الحُكْمُ

وأفْضَلُ(٤) مامُدِحَ به القائدُ الجودُ والشجاعةُ وما تفرَّعَ منهما كالتخرقِ في الهِباتِ والافراطِ في النجدَةِ وسُرْعَةِ البَطْشِ . كقولِ مروان بن أبي حَفْصَة :(٥) (٢٠

(١) بلا عزو في عيون الأخبار ٤ / ١١٣ والزهرة ٢ / ١٦٢ .
(٢) ديوانه ١١٣ – ١١٥ وفيه ، يُنْتابها مكان بنيانها ، وحق مكان رزق ، ويلاموا مكان يليموا .
(٣) ديوانه ٦٣١ وفيه ، نادتْ يمينه
(٤) من ت . وفي الأصل . فأفضل .
(٥) شعره / ٨٩ .

تـشـابـه يوماهُ عـلـيـنا فأشـكلا فلا نحنُ ندري أيَّ يَوْمَيْهِ أفْضَلُ
أيومُ نَداهُ الغَمْرِ أمْ يومُ باسه وما منهما الأ أغرُّ مُحَجَّلُ

ويُمْدَحُ الكاتبُ والوزيرُ بالعَدْلِ ، والعِفَّةِ والعَقْلِ ، وما تفرَّعَ منهما وتَركَّب ، كحُسْنِ الرَّوِيةِ ، وسُرْعَةِ الخاطِرِ بالصوابِ ، وشِدَّةِ الحَزْمِ ، وجودةِ النظرِ للملك ، والنيابَةِ في المُعْضِلاتِ بالرأي أو الذاتِ ، أو بهما كقولِ أبي نُواس : (١)

اذا نابَـهُ أمْرٌ فامَّا كـفـيـتَـهُ وامَّا عَـلَـيْـهِ بالـكَـفِـيِّ تُـشِـيرُ

وبأنَّهُ محمودُ السيرة ، حسنُ السياسةِ ، لطيفُ الحسِّ ، خبيرٌ بطرقِ البلاغةِ والخطِ ، مُتَفَنّنٌ في العلوم .

ويُمْدَحُ القاضي بالفضائلِ الثلاثِ ، وما تفرَّعَ منها وتركَّبَ ، كالانصافِ ، وتقريبِ البعيدِ في الحقِّ ، وتبعيدِ القريبِ ، والأخذِ للضعيفِ من القوي ، والمساواةِ بين الفقير والغنيِّ ، وانبساطِ الوجهِ ، ولينِ الجانبِ ، وقِلَّةِ المبالاةِ في اقامةِ الحدود واستخراجِ الحقوقِ ، والورع ، والتحرُّج ، (٢) ونحو ذلك .

ويُمدَحُ (٢١ أ) صاحبُ المظالمِ بما يَمْدَحُ به القاضي . ولا وَجْهَ لمدح مَنْ دونَ هذه الطبقات . فانْ دَعَتْ اليهِ ضرورةٌ مُدِحَ كلُّ انسانٍ بالفضلِ في صناعته ، والمعرفة بطريقتهِ . وانْ أضيفَ الى ماذُكِرَ فضائل عَرَضِيَّةٌ كالجمالِ والأُبَّهَةِ وبَسْطِ الخُلُقِ وسَعَةِ الدنيا وكثرة العشيرة ، فلا بأسَ .

ومِن الشعراء مَنْ يُجْمِلُ المدحَ (٣) ويبلُغُ الارادةَ مع الاجادةِ والبُعْدِ عن الاكثارِ والدخولِ في الاختصارِ ، كقولِ الحُطيئَةِ : (٤)

نزورُ فَتًى يُعطي على الحمدِ مالَهُ ومَنْ يُعْطِ أثمانَ المحامِدِ يُحْمَدِ
يَرَى البُخْلَ لايُبقي على المرء مالَهُ ويعلمُ أنَّ المرءَ غَيْرُ مُخَلَّدِ
كَـسوبٌ ومِـتْلافٌ اذا ماسألْـتَـهُ تَـهَـلَّـلَ واهـتزَّ اهتزاز المُـهَـنَّـدِ
متى تأتِهِ تعشو الى ضَوْءِ نارِهِ تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عِنْدَها خَيْرُ مُوقِدِ

(٢١ ب) صَرَّفَ في أبياتِهِ هذِهِ أنواعَ المديح ، وأتَى بجُمَّاعِ الوصفِ وجُمْلَةِ المدحِ (٥) على سبيلِ الاختصارِ في البيتِ الأخيرِ . ومثلُهُ قولُ الشَّمَّاخ : (٦)

---

(١) ديوانه ٤٢١ وفيه ، اذا عاله .

(٢) العمدة ٢ / ١٣٥ .

(٣) ت ، المديح .

(٤) ديوانه ١٦١ وفيه ، نزور امرأ يؤتى . والشح مكان المرء في البيت الثاني .

(٥) ت ، المديح .

(٦) ديوانه ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

رأيــــتُ عَرابَةَ الأوْســـيَّ يـــســـمو الى الخيراتِ مُنْقَطِعَ القَرِينِ
اذا ماراية رُفِـــعَـــــتْ لَمـــجْدٍ تَـلــقّاها عَرابَةُ بالـــيــمـــيــنِ

ومِن أفْضَلِ مامُدِحَ به الملوك قولُ ابن هَرْمَةَ : (١)

له لحظاتٌ عن حِفافَيْ (٢) سريرِهِ اذا كَرَّها فيها عِقابٌ ونائِلُ
فأمُّ الذي أمَّنْتَ آمنةُ الرَّدى وأمُّ الذي أوْعَدْتَ بالثكل ثاكلُ

ومِن أجودِ ماللمولَّدين قولُ أبي نُواس : (٣)

أنْتَ الذي تأخذُ الدنيا بحُجْزَتِهِ اذا الزمانُ على أبنائه(٤) كَلَحا
وكُـلْـتَ بالدهرِ عَـيْـناً غَـيْرَ غافِـلَةٍ مِن جُودِ كَفِّكَ يأسو(٥) كُلَّما جَرَحا

وحَكَى الحاتميُّ (٦) عن محمد بن عبد الواحد(٧) عن أحمد بن يحيى(٨) قالَ : سمعتُ ابن الأعرابيَّ يقولُ : أمْدَحُ بيتٍ قالَهُ مُوَلَّدٌ قول أبي نواس : (٩)

تَغَطَّيْتُ من دهري بظِلِّ جَناحِهِ فَعَيْني تَرَى دهري وليسَ يراني
(٢٢أ) فلو تسأل الأحداثُ ماإسمي مادَرَتْ وأيْنَ مكاني ماعَرَفْنَ مكاني

والصوابُ أن يقالَ فيه انْصافاً لااخِلافاً : انَّهُ ذَهَبَ مذهباً لطيفاً يُخَرَّجُ له فيه العُذْرُ والتأويلُ ، لأنَّ الذي وصف صفة الخمولِ بعينِها ، لاسيَّما على روايةِ مَنْ رَوَى :

---

(١) ديوانه ١٦٨ .
(٢) ت : خفافي .
(٣) ديوانه ٢٧٦ وفيه : على أولاده .
(٤) من ت . وفي الأصل : أنيابه .
(٥) ت : تأسوا .
(٦) حلية المحاضرة ١ / ٢٤٢
(٧) هو أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلب . توفي سنة ٣٤٥ هـ (انباه الرواة ٣ / ١٧١) .
(٨) هو أبو العباس ثعلب . توفي سنة ٢٩١ هـ .
(٩) ديوانه ٥٣٩ .

ويُستَحبُ للشاعِر أنْ يقتصِدَ في التشبيبِ . مَدَحَ أبو العتاهية عُمَرَ بن العلاءِ(١) فأعطاهُ سبعينَ ألفَ درهمٍ وخَلَعَ عليه حتى لم يستطع القيامَ ، فغارَ الشعراءُ ، فجمعهم ثم قالَ : عجباً لكم مَعْشَرَ الشعراء ماأشَدَّ حَسدَ بَعضكُم لبَعْضٍ . انَّ أحدَكُم يأتينا ليمدحنا فيُشَبِّبُ في قصيدتِه بصديقتِهِ بخمسينَ بيتاً فما يَبْلُغُنا حتى تذهبَ لذاذةُ مَدْحِهِ ورَوْنَقُ شعرِه . وقد أتى أبو العتاهية(٢) فشبَّبَ بأبياتٍ يسيرةٍ ، ثم قالَ :

انّي أمِنْتُ من الزمانِ وصَرْفِهِ	لّما عَلِقْتُ مِن الأمير حِبالا
لو يستطيعُ الناسُ من اجلالِهِ	لحَذَوْا له حُرَّ الوجوهِ نِعالا
(٢٣ ب) انَّ المطايا تشتكيكَ لأنَّها	قَطَعَتْ اليكَ سَباسِباً ورِمالا
فاذا وَرَدْنَ بنا وَرَدْنَ خَفائِفاً	واذا رَجَعْنَ بِنا رَجَعْنَ ثِقالا

ومن أبرعِهِ وأبْدَعِهِ قولُ ابراهيم بن العباس الصولي :(٣)

لِفَضْلِ بنِ سَهْلٍ يَدٌ	تقاصَرَ عنها المَثَلْ
فباطِنُها للندى	وظاهِرُها للقُبَلْ
ونائِلُها للغِنى	وسَطْوَتُها للأجَلْ

وأخذَ ابنُ الرومي(٤) هذا المعنى فأحْسَنَ تناولَهُ فقالَ :

مُقَبَّلُ ظَهرِ الكفِّ وَهّابُ بطنِها	له راحةٌ فيها الحطيمُ وزَمْزَمُ
فظاهِرُها للناسِ رُكْنٌ مُعَظَّمٌ	وباطِنُها عَيْنٌ مِن الجُودِ عَيْلَمُ(٥)

وهذا وانْ كانَتْ فيه زيادةٌ فالأوّلُ أخفُّ وزناً وأرشق لفظاً ومَعْنًى .

وقالَ أبو عمرو : بيتُ جَريرٍ :(٦)

ألَسْتُم خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا	وأنْدَى العالمينَ بُطونَ راحِ

---

(١) العمدة ٢ / ١٣٣ .

(٢) ديوانه ٦٠٥ ـ ٦٠٦ وفيه : من الزمان وريبه . فاذا اتين بنا أتين مخفة .

(٣) ديوانه ١٣٦ .

(٤) زهر الآداب ٣٠٢ . وينظر : ديوان المعاني ٢ / ٢١٥ .

(٥) في النسختين : غيلم : بالغين ، وهو تصحيف . والعيلم : البحر .

(٦) ديوانه ٨٩ . وتنظر : العمدة ٢ / ١٣٩ .

وقيل : بَلْ قولُ الأخْطَلِ :(١) (٢٣ أ)

شُمْسُ العداوةِ حتى يُسْتَقَادَ لهم — وأعْظَمُ الناسِ أحلاماً اذا قَدَرُوا

وقيل : بَلْ قولُ أبي الطَّمَحانِ القَيْنيِّ :(٢)

أضاءَتْ لهم أحسابُهُمْ وَوُجوهُهُم — دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الجَزْعَ ثاقِبُهْ

ولَمَّا حَضَرَتِ الحطيئةَ الوفاةُ قال : أبلغوا الأنصارَ أنَّ أخاهُمُ أمْدَحُ الناسِ حيثُ يقولُ :(٣)

يُغْشَوْنَ حتى ماتَهِرُّ كِلابُهُمْ — لا يسألونَ عن السوادِ المُقْبِلِ

قال الأصمعي : أخْلَبُ الشعر قولُ حمزةَ بنِ بيضٍ :(٤)

تقولُ لي والعيونُ هاجِعةٌ — أقِمْ علينا فلم أقِمِ
أيَّ الوجوهِ انتجعتَ قلت لها — لأيِّ وَجْهٍ الاَّ الى الحكَمِ
متى يَقُلْ حاجِبا سُرادِقِهِ — هذا ابنُ بيضٍ بالبابِ يبتسِمِ
قد كنتُ أسْلَمْتُ فيكَ مُقْتبلاً — فهاتِ اذْ حَلَّ أعْطِني سَلَمِي

ومِنْ أحسنِ المدحِ قَوْلُ مروان بن أبي حَفْصَةَ(٥) يمدحُ مَعْنَ بنَ زائدةَ:

(٢٣ ب) نِعْمَ المُناخُ لراغبٍ ولراهبٍ — مما تُصيبُ جوائحُ الأزْمانِ
مَعن بنُ زائِدَةَ الذي زيدت به — شَرَفاً على شَرَفٍ بنو شيبانِ
انْ عُدَّ أيامُ اللقاءِ فانَّما — يوماهُ يومُ نَدًى ويومُ طِعانِ

(١) ديوانه ١٠٤ .
(٢) شرح ديوان الحماسة (م) ١٥٩٨ و (ت) ٤ / ١٥٠ .
(٣) ديوان حسان بن ثابت ١ / ٧٤ .
(٤) العمدة ٢ / ١٤١ .
(٥) شعره / ١٠٦ ـ ١٠٧ مع خلاف في الرواية . والرهج : الغبار . والسنابك : أطراف الحوافر .

يكسو الأسِرَّةَ والمنابِرَ بَهْجَةً ويزيُنها بجهارة وَبيانِ
تمضي أسنَّتُهُ ويُسْفِرُ وَجْهُهُ في الحربِ عندَ تَغيُّرِ الألوانِ
نفسي فِداكَ أبا الوليدِ اذا بَدَا رَهَجُ السَّنابِكِ والرماحُ دَواني

ومِن الشعراء مَنْ ينقلُ المديحَ مِن رجُلٍ الى آخر . وكانَ ذلكَ دأبَ البحتريّ ، وفَعَلَهُ أبو تمّام(١) في قصائدَ يسيرة ، منها :
(قدْكَ اتئب) ، نقلها عن يحيى بن ثابت الى محمد بن حسّان .

فأمّا مَنْ قالَ : (هُنَّ بناتي أنكِحُهُنَّ مَنْ شِئْتُ) فمعذورٌ مالَمْ يُثِبْ . فانْ أثيبَ كانَ نقلُها بعدَ ذلكَ قِلّةَ وفاءٍ ، وفرْطَ خيانةٍ .

ولا يُمْدَحُ الملكُ ببعضِ مايتجهُ لغيرِهِ من الرؤساءِ . كقولِ الأحوصِ(٢) يمدحُ عبدَ الملكِ :

وأراكَ تَفْعَلُ ماتقولُ وبَعْضُهُم مَذِقُ الحديثِ يقولُ مالا يَفْعَلُ

(٢٤ أ) عِيبَ عليه لأنَّ الملوكَ لاتُمْدَحُ بما لايلزمُها فعلُهُ كما تُمْدَحُ العامّةُ . وانْ كانَ فضيلةً . وانّما تُمدحُ بالاغراقِ .

وعِيبَ على كُثَيِّرٍ :(٣)

رأيتُ ابن ليلى يَعْتَري صُلْبَ مالِهِ مسائلُ شَتّى من غنيٍّ ومُصْرِمِ
مسائلُ انْ تُوجَدْ لديكَ تَجُدْ بِها يداكَ وانْ تُظْلَمْ بها تَتَظَلّمِ

لأن هذا انّما يُقالُ لِمَنْ دونَ الخليفة والملكِ . وانّما أخذه من قولِ زُهَيْرٍ(٤) في هَرم بن سنان ، وليس بملك :

هو الجوادُ الذي يُعطيكَ نائِلَهُ عفواً ويُظْلَمُ أحياناً فيَظّلِمُ

(١) ديوانه ١ / ٢٠ والبيت فيه :
قدك اتئب أربيت في الغلواء كم تعذلون وأنتم سجرائي
(٢) شعره / ١٦٠ .
(٣) ديوانه ٣٠١ ، وفيه : لديه ... يداه .
(٤) ديوانه ١٥٢ .

وعيبَ على الأخطلِ(١) قولَهُ في عبدالملك بنِ مروان :

وقد جَعَلَ اللهُ الكفايةَ منهُمُ لأرْوعَ لاعاري الخِوانِ ولا جَدْبِ

وقيل : لو مَدَحَ بهذا حَرَسِيّاً لعبدالملك لكانَ قد قَصَّرَ به .

وعلى البحتري(٢) قَوْلَهُ :

لاالعَذْلُ يَرْدَعُهُ ولا الـ ـتعنيفُ عن كَرَمٍ يَصُدُّهْ

في المُعْتَزّ بالله . وقيل : مَنْ ذا يُعَنِّفُ الخليفةَ على الكرمِ أو يَصُدُّهُ ؟ هذا بالهجو أوْلى منه بالمدح .

وقد كَرِهَ الحُذّاقُ أنْ تُمْدَحَ الملوكُ (٢٤ ب) بما يُناسِبُ قولَ موسى :(٣)

ليسَ فيما بدا لنا منكَ عَيْبٌ عابَهُ الناسُ غيْرَ أنَّكَ فاني
أنتَ نِعْمَ المتاعُ لو كُنْتَ تبقى غَيْرَ أنْ لابقاءَ للانسانِ

وقيل : انَّ سليمانَ بن عبدالملك خَرَجَ من الحمامِ يُريدُ الصلاةَ . ونَظرَ في المرآةِ فأعجَبهُ جمالُهُ . فَتَلَقَّتْهُ احدى حَظاياه وتبعتْهُ . فقال لها :

كيفَ تَرَيْنَني ؟(٤) فتمثلَتْ بالبيتين . فتطيَّرَ منهما ورَجعَ . فحُمَّ . وماتَ ليلتَهُ تلكَ .(٥)

بابُ الافتخار(٦)

وهو المدحُ نفسُهُ . الاّ أنَّ الشاعرَ يخصُّ بِهِ نفسَه وقَوْمَهُ . وكلُّ ماحَسُنَ في المدح حَسُنَ فيهِ . وكلُّ ماقَبُحَ في المدح قَبُحَ فيه . كقول بَكْر بن النَّطّاح الحَنَفي :(٧)

(١) ديوانه ٢١ . ورواية البيت في النسختين : لاعاري الخوان ولا جافي .

(٢) ديوانه ٦١٤ .

(٣) شعره / ٤٤ (العدد السابع من مجلة البلاغ ١٩٧٨) . وموسى شهوات شاعر أموي مشهور . (خزانة الأدب للبغدادي ١ / ١٤٤) .

(٤) ت : تريني .

(٥) العمدة ٢ / ١٣٦ .

(٦) العمدة ٢ / ١٤٣ ، جوهر الكنز ٥١٥ .

(٧) شعره / ٣٢ وفيه : بشدة بأس . لنلهو بالسيوم .

ومَنْ يَفْتَقِرْ منا يَعِشْ بُحسامِهِ ... ومَنْ يَفْتَقِرْ من سائرِ الناسِ يَسْأَلِ
ونحنُ وُصِفْنا دونَ كلِّ قَبِيلَةٍ ... بِبأسٍ شديدٍ في الكتابِ المُنَزَّلِ
وانا لنلهو بالخروب كما لَهتْ ... فَتاةٌ بِعِقْدٍ أو سِخابِ قَرَنْفُلِ

(٢٥ أ) قوله ، (ونحن وصفنا في الكتاب) يعنى قولَهُ تعالى ، « قُلْ للمُخْلِفينَ من الأعرابِ ستُدْعَوْنَ الى قَوْمٍ أولي بأسٍ شديدٍ »(١) . فدُعُوا في خلافةِ أبي بكر الى قتالِ أهلِ الردَّةِ من بني حنيفة . وطَلَبَهُ الرشيد بسببِ هذا الشعرِ(٢) أشَدَّ طلبٍ ، وقال ، كيفَ يفتخرُ على مُضَر ومنهم(٣) رسولُ اللهِ صلى الله عليه خيرُ البَشَرِ ؟ وهذا افتخارٌ بالشجاعةِ(٤) خاصةً .

ومنْ جَيِّدِهِ قَوْلُ السَمَوْءَلِ(٥) ،

تُعَيِّرُنا أنّا قليلٌ عَدِيدُنا ... فقلتُ لها انَّ الكرامَ قَلِيلُ
وما قَلَّ مَنْ كانَتْ بقاياهُ مِثْلَنا ... شَبابٌ تَسامَى للعُلَى وكهولُ
وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليل

والقصيدةُ مشهورةٌ .

ومن أبياتِهِ قولُ الفَرَزْدَقِ(٦) ،

انَّ الذي سَمَكَ السماءَ بَنَى لنا ... بَيْتاً دعائِمُهُ أعَزُّ وأطْوَلُ

وقولُ جَرير(٧) ،

اذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تَمِيمٍ ... رَأيتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضَابا

(٢٥ ب) ومِنْ أفخرِ ماقالتِ العربُ قولُ الفَرَزدَقِ(٨) ،

ونحنُ اذا عُدَّتْ مَعَدٌّ قَدِيمَها ... مكانَ النَّواصي مِن وجوهِ السَّوابِقِ

(١) الفتح ١٦ .
(٢) ت ، الشعراء .
(٣) ت ، ورسول الله صلى الله عليه خير البشر منهم .
(٤) من العمدة ٢ / ١٤٥ . وفي النسختين ، بالشريعة .
(٥) ديوانه ١٠ ـ ١١ .
(٦) ديوانه ٧١٤ .
(٧) ديوانه ٨٢٣ وفيه ، حسبت الناس .
(٨) ديوانه ٥٨٨ وفيه ، تجدني اذا .

ويُقال : أفْخَرُ مالُمحْدَثِ قَوْلُ بشّارٍ (١) :

اذا ماغَضِبْنا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً هَتَكْنا حِجابَ الشمسِ أوأمْطَرتْ دَمَا
اذا ماأعَرْنا سَيِّداً مِن قَبِيلَةٍ ذُرا بَيْتِهِ صَلّى عَلَيْنا وسَلَّما

وعِيبَ على أبي الطيِّبِ (٢) قَوْلَهُ :

لا بقومي شَرُفْتُ بل شَرُفُوا بي وبنفسي فَخَرْتُ لا بجُدُودي

لأنّ هذا معنى سوء يُقصِّرُ بالممدوح ، ويَغُضُّ من حَسَبِهِ ، ويحقرُ من شأنِ سَلَفِه .

والجَيِّدُ المُختارُ ماناسبَ قولَ المتوكِّلِ الليثيّ (٣) :

انَّا وانْ أحْسَابُنا كَرُمَتْ لَسْنَا على الأحْسابِ نتكِلُ
نبني كما كانَتْ أوائِلُنا تبني ونَفْعَلُ مِثْلَ مافعَلُوا

(٢٦ أ) وقولَ عامر بن الطُفَيْلِ (٤) :

انِّي وانْ كنتُ ابنَ سَيِّدِ عامرٍ وفارسَها المندوبَ في كلِّ مَوْكِبِ
فما سوَّدَتْني عامِرٌ عن وراثَةٍ أبَى اللّهُ أنْ أسْمُو بأمّ ولا أبِ
ولكنَّني أحمي حِماها وأتَّقي أذاها وأرمي مَنْ رماها بَمْنِكبِ (٥)

بابُ الاقتضاء (٦)

يُسْتَحَبُّ للشاعرِ أنْ يكونَ قَدْحُهُ شريفاً ، واقتضاؤهُ لطيفاً ، وهجاؤهُ عفيفاً . لأنَّ الاقتضاءَ الخَشِنَ رُبَّما كانَ سببَ الحرمانِ ، وداعيةَ الهجرانِ . وقد خَلَطَ قومٌ الاقتضاءَ في العتابِ ، والعتابَ فيه ، وساوَوْا بَيْنَهُما ، وليسَ بصوابٍ . والفرقُ بينهما أنَّ الاقتضاءَ طَلَبُ حاجةٍ ، فبابُهُ التلطفُ . والعتابُ طلبُ الوَدّ على الوَدّ والتماسُ مُراعاتِهِ ومراجعتِهِ ، وفيه توبيخٌ ومَضاضَةٌ لا يجوزُ معها الاقتضاءُ .

(١) ديوانه ٤ / ١٦٣ وفيه : تمطر الدماء ذرا منبر .
(٢) ديوانه ١ / ٣٢٢ .
(٣) شعره / ٢٧٥ . وينظر : شعر عبد الله بن معاوية ٦٣ وديوان معن بن أوس ١١٧ .
(٤) ديوانه ٢٨ مع خلاف في الرواية .
(٥) من ت . وفي الأصل : بمنكبي .
(٦) العمدة ٢ / ١٥٨ .

ومن أحْسَنِه قولُ أميّة بنِ أبي الصَّلْتِ(١) لعبدِاللّهِ بن جُدعانَ:

أأذكُرُ حاجتي أمْ قد كفاني ... حياؤكَ انَّ شيمتَكَ الحَيَاءُ
(٢٦ب) وعِلْمُكَ بالحقوقِ وأنْتَ فَرْعٌ ... لكَ الحَسَبُ المُهَذَّبُ والسَّنَاءُ
خَلِيلٌ لايُغَيِّرُهُ صباحٌ ... عن الخُلقِ الجميلِ ولا مَسَاءُ
فأرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْها ... بنو تَيْمٍ وأنْتَ لها سَمَاءُ
اذا أثنى عليكَ المرءُ يَوْماً ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثناءُ
تُباري الريحَ مَكْرُمَةً وجُوداً ... اذا ماالكَلْبُ أجْحَرَهُ الشتاءُ

فهذا اقتضاءٌ يكادُ يُلِينُ الصخرَ، ويستنزلُ العُصْمَ الى السهلِ من شامخ الوَعْرِ.

وقول الآخر(٢):

لأشكُرَنَّكَ معروفاً هَمَمْتَ بِهِ ... انَّ اهتمامَكَ بالمعروفِ مَعْرُوفُ
ولا ألُومُكَ انْ لم يُمْضِهِ قَدَرٌ ... فالشيءُ بالقَدَرِ المحتومِ مَصْرُوفُ

فأمّا (ما)(٣) ناسَبَ قول محمد بن يزيد الامويّ(٤) لعيسى بن فرخان شاه:

أبا موسى سَقَى أرْضَكَ ... دانٍ مُسْبِلُ القَطْرِ
وزاد اللّهُ في قَدْرِ ... كَ ماأخْمَلْتَ مِن قَدْري
لقد كنتُ أرَجِّيكَ ... لما أخْشى من الدهرِ
(٢٧ أ) فَقَدْ أصْبَحْتَ من أوكدِ ... أسبابي الى الفَقْرِ
أتَرْضَى لي بأنْ أرْضَى ... بتقصيركَ في أمْري
وقَدْ أفْنَيْتُ ماأفْنَيْتُ ... في شُكْرِكَ من عُمْري
مواعيدُكَ تحكي لي ... سرابَ المَهْمَهِ القَفْرِ
فمِنْ يومٍ الى يومٍ ... ومِنْ شَهْرٍ الى شَهْرِ

---

(١) ديوانه ٣٣٣ ـ ٣٣٥ مع خلاف في رواية الأبيات وترتيبها.

(٢) بلا عزو في العمدة ٢ / ١٥٨. وعيون الاخبار ٣ / ١٦٥ وبهجة المجالس ١ / ٣١٦ ونهاية الارب ٣ / ٢٤٥ ونسباً في جذوة المقتبس / ١٣٩ لأبن عائشة ورواية الثاني في بعض المصادر فالرزق بالقدر..

(٣) يقتضيها السياق

(٤) العمدة ٢ / ١٥٩ مع خلاف في رواية الأبيات.

فـلـم أحْـضـلْ على قـيـمةٍ ... ماقَـلَّـمْـتَ مـن ظُـفْري
لـعَـلَّ الـلَّـه أنْ يَـضْـنَـعَ ... لـي مِـن حَـيْـثُ لاأدْري
فألـقاكَ بلا شُـكْرٍ ... وتـلـقانـي بلا عُذْرِ
وما أرجوكَ في الـحالَـيْـن ... في الـعُـسْرِ وفي الـيُـسْرِ

فهو العتابُ المُمِضُّ ، والتوبيخُ الذي دُونَهُ الجَلْدُ بالسَّوْطِ .

بابُ العِتاب(١)

العِتابُ وانْ كانَ حياةَ المودَّةِ ، وشاهِدَ الوفاءِ ، فانَّهُ بابٌ مِن أبوابِ الخَديعةِ ، يُشْرَعُ الى الهجاءِ ، وسَبَبٌ من أسبابِ القطيعةِ (٢٧ ب) والجفاءِ ، واذا قَلَّ كانَ داعِيَةَ الأُلْفَةِ ، واذا كَثُرَ خَشُنَ جانِبُهُ ، وثَقُلَ صاحِبُهُ .

وله طرائقُ كثيرةٌ ، والناسُ فيه على ضروبٍ مختلفةٍ ، فمنها مايُمازِجُهُ الاستعطافُ والاستئلافُ ، ومنها مايَدخُلُهُ الاحتجاجُ والانتصافُ ، وقَدْ يعترضُ فيه المَنُّ والاجحافُ ، مِثل مايشركُهُ الاعتذارُ والاعترافُ .

ومِن أحْسَنِ الناسِ طريقةً في عتابِ الأشرافِ البحتري(٢) الذي يقولُ :

يريبـنـي الـشـيءُ تأتـي بـهِ ... وأُكْـبِرُ قَدْرَكَ أنْ أسْـتَريـبـا
وأكْرَهُ أنْ أتَـمادى على ... سـبـيـلِ اغـترارٍ فألْقَى شَعُوبا
أُكذِّبُ ظني أنْ قد سَخِطْتَ ... وما كنتُ أعهدُ ظنِّي كَذُوبا
ولو لم تكُنْ ساخِطاً لم أكُنْ ... أذمُّ الزمانَ وأشكو الخُطُوبا
ولابُدَّ مِـن لَوْمَةٍ أنـتـحـي ... عليكَ بِها مُخْطِئاً أو مُصيباً
أيُـصْـبِحُ وِرْدي في ساحَـتَـيـ ... ـكَ طَرْقاً ومرعايَ مَحْلاً جَدِيبا
أبـيـعُ الأحِـبَّةَ بَـيْـعَ الـسَّوامِ ... وآسى عليهم حَبيباً حَبيبا(٣)
(٢٨ أ) أفي كلِّ يومٍ لنا منزلٌ ... يَـشَـقِّـق فـيـه الوداعُ الـجـيُوبا

(١) العمدة ٢ / ١٦٠ ، جوهر الكنز ٥٨٧ .
(٢) ديوانه ١٥٢ وفيه ، أن يستريبا ، ففي كل يوم لنا موقف يشقق .. ، أفاض الدموع .
(٣) ت ، حبا حبيبا

وما كانَ سُخْطُكَ الاّ الفِراقَ أفاضَ العيونَ وأشْجَى القُلُوبا
ولو كنتُ أعرِفُ ذَنْباً لما تخالَجَني الشكُّ في أنْ أتُوبا
ساصْــبِرُ حــتى ألاقــي رِضا كَ امَّا بعيداً وامَّا قَريبا
أراقِـبُ رأيَـكَ حـتى يَـصِـحَّ وأنْــظرُ عَـطْـفَـكَ حـتى يؤوبا

وقال ابن الرومي (١) يعاتبُ أبا الصَّقْرِ اسماعيل بن بُلْبُل :

عقيدَ النَّدى أطْلِقْ قصائدَ جَمَّةً جواسِيَ حَسْرَى قَدْ أبَتْ أنْ تُسَرَّحا
وكنتَ متى تُنْشَدْ مديحاً ظَلَمْتَهُ يَكُنْ لكَ أهْجَى كُلَّما كانَ أمْدَحا
عَذَرْتُكَ لو كانَتْ سماءً تَقَشَّعَتْ سحائِبُها أو كانَ رَوْضٌ تَصَوَّحا
ولكنَّها سُقْيا حُرِمْتُ رَوِيَّها وعارِضُها مُلْقٍ كَلاكِلَ جُنَّحا
وأكْلاءُ مغْدُوقٍ حُمِيتُ مَرِيعَها وقد عادَ منها السهلُ والحَزْنُ مَسْرَحا
فيالكَ بحراً لم أجِدْ فيه مَشْرَبا وانْ كانَ غيري واجِداً فيه مَسْبَحا
مَديحي عصا موسى وذاكَ لأنني ضَربْــتُ به بَحْرَ النَّدى فتضحْضَحا
فيالَيْتَ شِعْرِي انْ ضربتُ به الصَّفا أيَحْدِثُ لي فيه جَداولَ سُنَّحا
فتلكَ التي أبْدَتْ ثرى البحر يابساً وشَقَّتْ عيوناً في الحجارة سُفَّحا
سأمْدَحُ بعضَ الباخلينَ لَعلَّهُ اذا اطَّرَدَ المقياسُ أنْ يتسمَّحا

فهذا لا يُزادُ عليه ، بل لا يُبْلَغُ جَوْدَةً .

وقد تقدَّمَ البحتري (٢) الى (٣) بعضِ المعنى في قولِهِ للفتح بنِ خاقان :

غَمامٌ جفاني صَوْبُهُ وهو صَيِّبٌ وبحْرٌ عَدَاني فَيْضُهُ وهو مُفْعَمُ
وبَدْرٌ أضاءَ الأرضَ شَرْقاً ومَغْربا وموضِعُ رحلِي منه أسْوَدُ مُظْلِمُ
وما بَخِلَ الفَتْحُ بنُ خاقان بالنَّدى ولكنَّها الأقدارُ تُعْطِي وتَحْرِمُ

وأصلُ هذا مِن قولِ أبي عَطاء السِّندي (٤) في يزيد بن عمر :

(١) ديوانه ٥١٨ ــ ٥٢٠ مع خلاف في رواية الأبيات .

(٢) ديوانه ١٩٨٠ مع خلاف في الرواية والترتيب .

(٣) من ت . وفي الأصل : على .

(٤) شعره / ٢٨٠ (مجلة المورد ، المجلد التاسع ، العدد الثاني ١٩٨٠) .

ثلاثٌ حكتُهُنَّ لقوم قَيْسٍ رَجَعْنَ اليَّ صُفراً خائباتِ
أقامَ على الفُراتِ يزيدُ شَهْراً فقالَ الناسُ أيُّهما الفُراتي
فيا عَجَباً لبَحْرٍ فاضَ يَسْقي جميعَ الناسِ لم يَبْلُلْ لهاتي

فأمّا ماناسَبَ قول أبي الطيّبِ(١) لسيفِ الدولةِ : (٢٩ أ)

ياأعْدَلَ الناسِ الاّ في مُعاملتي فيكَ الخِصامُ وأنْتَ الخَصْمُ والحَكَمُ
أُعيذُها نظراتٍ منكَ صادِقَةً أنْ تَحْسبَ الشحم فيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ
وما انتفاعُ أخي الدنيا بناظرِهِ اذا استَوَتْ عندَهُ الأنوارُ والظُلَمُ
أنا الذي نَظَرَ الأعْمَى الى أدَبِي وأسْمَعَتْ كلماتي مَنْ به صَمَمُ
أنامُ مِلءَ جفوني عن شوارِدِها ويَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاها ويَخْتَصِمُ
وجاهِلٍ مَدَّهُ في جَهْلِهِ ضَحكي حتى أتَتْهُ يَدٌ فرّاسةٌ وفَمُ
اذا رأيتَ نيوبَ الليثِ بارِزَةً فلا تَظُنَّنَّ أنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمُ
يامَنْ يَعِزُّ علينا أنْ نفارِقَهُمْ وِجْدانُنا كُلَّ شيءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمُ
ماكانَ أخْلَقَنا منكُمْ بتكرِمَةٍ لو أنَّ أمْرَكُمْ من أمرنا أمَمُ
انْ كانَ سرَّكُمُ ماقالَ حاسِدُنا فما لجُرحٍ اذا أرضاكُمُ ألَمُ
وبَيْنَنا لو رَعَيْتُم ذاكَ مَعْرِفَةٌ انَّ المعارِفَ في أهلِ النهى ذِمَمُ
كَمْ تطلبونَ لنا عَيْباً فيُعْجِزُكُمْ ويَكْرَهُ اللَّهُ ماتأتونَ والشِّيَمُ
ماأبْعَدَ العَيْبَ والنقصانَ مِن شَرَفي أنا الثريا وذان الشيبُ والهَرَمُ
لَيْتَ الغَمامَ الذي عندي صواعِقُهُ يُزيلُهُنَّ الى مَنْ عِنْدَهُ الدِّيَمُ
أرَى النَّوَى تَقْتَضيني كُلَّ مَرْحَلَةٍ لاتَسْتَقِرُّ بها الوَخَّادَةُ(٢) الرُّسُمُ
لَئِنْ تَرَكْنَ ضُمَيْراً عَنْ ميامِنِنا(٣) لَيَحْدُثَنَّ لِمَنْ فارقْتُهم نَدَمُ

وانّما قال : (لَيَحْدُثَنَّ لسيفِ الدولةِ الندمُ) ، ثم بَدَّلَهُ . وانْ كانَ في غايةِ الجَوْدَةِ بالنسبةِ الى جزالةِ اللفظِ وصحة المعنى . فانَّهُ بالنسبةِ الى مايقتضيه العقلُ والسياسةُ ، ومن سلوكِ طريقِ الأدبِ في مخاطبةِ الملوكِ في غايةِ الرداءةِ لِما فيه من التغرير بالنفسِ أو العِرْضِ اذا أُحْسَنَ الملكُ . وهذه الطريقةُ بالسِّبابِ اشبَهُ منها بالعتابِ ، وانّما عَرَّضَ بقومٍ كانوا ينتقصونَهُ عندَ سَيْفِ الدولةِ ، ويُعارِضُونَهُ في أشعارِه . والاشارةُ كُلُّها الى سيفِ الدولةِ ، فينبغي للشاعرِ أنْ لايتابِعَ فيه ماذُكِرَ .

(١) ديوانه ٣ / ٣٦٦ مع خلاف في الرواية .
(٢) ت : الوخاذة .
(٣) ت : ميامنا

فأمّا عتابُ الأكفاء ، وظُرفاء المُتَعشّقين ، فبَابةٌ أخرى جاريةٌ على طُرقاتِها . قالَ الصولي(١) يُعاتِبُ محمد بن عبد الملك الزيات ، وقد تغيَّرَ عليه حينَ وَزَرَ :

وكُنْتَ أخي باخاءِ الزمان ... فلمّا نبا صِرْتَ حَرْباً عَوَانا
وكُنْتُ أذمُّ اليكَ الزمانَ ... فأصْبَحْتُ فيكَ أذمُّ الزَّمانا
وكُنْتُ أعُدُّكَ للنائباتِ ... فها أنا أطْلُبُ منكَ الأمانا

ومن مَليحِهِ قولُ سعيد بن حُمَيْد(٢) يُعاتِبُ صديقاً له :

أقْلِلْ عِتابَكَ فالبقاءُ قليلُ ... والدَّهرُ يَعْدِلُ تارةً ويَميلُ
لم أبْكِ من زَمَنٍ ذَمَمْتُ صُروفَهُ ... الاّ بكَيْتُ عليه حينَ يزولُ
ولكلِّ نائبةٍ ألمَّتْ مُدَّةٌ ... ولكلِّ حالٍ أقْبَلَتْ تحويلُ
والمنتمونَ الى الوفاءِ عِصَابَةٌ ... انْ حَصَّلُوا أفْنَاهُمُ التحصيلُ
ولعلَّ أحداثَ المنيَّةِ والرَّدى ... يوماً ستَصْدَعُ بيننا وتحولُ
فَلَئِنْ سَبَقْتُ لتبكِيَنَّ بحَسْرَةٍ ... وليَكْثُرَنَّ عليَّ منكَ عويلُ

ولتُفْجَعَنَّ بمُخْلِصٍ لكَ وامِقٍ ... حَبْلُ الوفاءِ بحبلِهِ موصولُ
ولَئِنْ سَبَقْتَ ، ولا سَبَقْتَ ، ليَمْضِيَنْ ... مَنْ لا يُشاكِلُهُ لَدَيَّ خليلُ
وليذهَبَنَّ بَهاءُ كلِّ مَوَدَّةٍ ... وليُفْقَدَنَّ جَمَالُها المأهولُ
وأراكَ تَكْلَفُ بالعتابِ وودُّنا ... صافٍ عليه مِنَ الوفاءِ دَليلُ
وُدٌّ بدا لذوي الاخاءِ جمالُهُ ... وبَدَتْ عليه بَهْجَةٌ وقَبولُ
ولَعَلَّ أيامَ الحياةِ قصيرةٌ ... فعلامَ يكثُرُ عَتْبُنا ويطولُ

والى هذا أوْمأ المتنبي(٣) بقولِهِ :

ذَرِ النفسَ تأخُذْ وُسْعَها قبلَ بَيْنِها ... فمُفْتَرِقٌ جاران دارُهُما عُمْرُ

(١) ديوانه ١٦٦ . وفيه : فقد صرت فيك أذم ..
(٢) شعره / ١٤٦ ـ ١٤٧ مع خلاف في رواية الأبيات .
(٣) ديوانه ٢ / ١٤٨ وفيه : دع النفس .

وأشارَ اليهِ بقولِهِ(١):

زَوِّدينا مِنْ حُسْنِ وَجْهِك مادا ... مَ فحُسْنُ الوجوه حالٌ تحولُ
وصِلينا نَصِلْكِ في هذِهِ الدُّنْيا ... فانَّ المُقامَ فيها قليلُ

والجميعُ من قولِ الأوَّلِ(٢):

وَلَقَدْ عَلِمْتَ فلا تكُنْ مُتَجَنِّباً ... انَّ الصدودَ هو الفِراقُ الأوَّلُ
حَسْبُ الأحِبَّةِ أنْ يُفرِّقَ بينهم ... رَيْبُ المنونِ فما لنا نَسْتَعْجِلُ

الاَّ أنَّ ابن حُمَيْد قد فَنَّنَ وبَيَّنَ، وشَرَحَ ماأجْمَلَ غَيْرُهُ بقولِهِ، فلئِنْ سبقتُ أنا، ولَئِنْ سبقتَ أنْتَ، فلَهُ بذلك فَضْلٌ بَيِّنٌ

وما أحْسَنَ ايجازَ من قال:(٣)

العُمْرُ أقْصَرُ مُدَّةً ... مِن أنْ يُمَحَّقَ بالعِتابِ

(٣١ أ) وقالَ بَشَّارٌ:(٤)

اذا كُنْتَ في كلِّ الأمورِ مُعاتِباً ... صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لاتُعاتِبُهْ
فَعِشْ واحِداً أو صِلْ أخاكَ فانَّهُ ... مقارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً ومُجانِبُهْ
اذا أنْتَ لم تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى ... ظَمِئْتَ وأيُّ الناسِ تَصْفو مشارِبُهْ

---

(١) ديوانه ٣ / ١٤٩.
(٢) بلا عزو في العمدة ٢ / ١٦٧.
(٣) بلا عزو في العمدة ٢ / ١٦٧.
(٤) ديوانه ١ / ٣٠٩. و (وقال بشار) ساقط من ت.

بابُ الوعيدِ والانذارِ(١)

يُسْتَحَبُّ للشاعرِ أنْ يتوعَّدَ بالهجاءِ ، ويُحَذِّرَ مِن سوءِ الأُحْدوثَةِ ، ولا يمضِّ القولَ الّا ضرورة حين لايَحسنُ السكوتُ ، كقول جريرٍ(٢) لبني حنيفة ، وكانَ مَيْلُهم مع الفرزدق عليه :

أبني حَنيفَةَ حَكِّموا سفهاءَكُمْ ... انّي أخافُ عليكم أنْ أُغضَبَا
أبني حَنِيفَةَ انّني انْ أَهْجُكُمْ ... أَدَعِ اليمامة لاتواري أرْنَبا

وكان عليُّ بنُ سليمانَ الأَخْفَشُ يَعْبَثُ بابنِ الرومي(٣) لِما يعلمُ مِن طيرتِهِ ، فيجعلُ مَنْ يقرعُ عليه البابَ ، ويتسمّى له أقْبَحَ الأسماءِ ، فيمنَعُهُ ذلكَ مِن التصرفِ ، فقالَ يتوعَّدُهُ :

قولوا لِنَحْويِّنا أبي حَسَنٍ ... انَّ حُسامي متى ضَرَبْتُ مَضَى
وانَّ نَبْلي متى هَمَمْتُ بأنْ ... أرميَ نَصَّلْتُها بجَمرِ غَضَى
لاتحسَبَنَّ(٤) الهجاءَ يحفلُ بالرَّفعِ ولا خَفْضِ خافِضٍ خَفَضَا
ولا تَخَلْ عَوْدَتي كَبادِئَتي ... سأُسْعِطُ السمَّ مَنْ عَصَى الحُضَضَا
أعرفُ في الأشقياءِ لي رجلاً ... لاينتهي أنْ يصيرَ لي غَرَضَا

يُليحُ(٥) لي صَفْحَةَ السَّلامةِ والسِّلْمِ ويُخفي في قَلْبِهِ مرضا
أضْحى مَغيظاً عليَّ أنْ غَضِبَ اللهُ عليه ونلتُ منهُ رِضا
وليسَ تُجْدي عليهِ موعظتي ... انْ قَدَّرَ اللهُ حينَهُ فقضى
كأنّني بالشقيِّ معتذراً ... اذا القوافي أذقْنَهُ مَضَضَا
يَنْشُدُني العهدَ يومَ ذلك والعهدُ خِضابٌ اذا لَهُ قَبَضَا
لايأمَنَنَّ السفيهُ بادرتي ... فانَّني عارِضٌ لِمَنْ عَرَضا
عندي له السَّوْطُ ان تَلَوَّمَ في ... السيرِ وعندي اللِّجامُ انْ رَكَضَا
أسمعتُ انباضتي أبا حَسَنٍ ... والنصحُ لاشَكَّ نُصْحُ مَنْ مَحَضَا
وهو معافًى من السُّهادِ فلا ... يَجْهَلْ فيشْرى فراشهُ قَضَضَا
أقسمتُ باللهِ لاغفَرْتُ لَهُ ... انْ واحدٌ مِن عُرُوقِهِ نَبَضَا(٦)

(١) العمدة ٢ / ١٦٧ ، جوهر الكنز ٣٣٠ .

(٢) ديوانه ٤٦٦ وفيه ، أحكموا .

(٣) العمدة ٢ / ١٦٨ .

(٤) في النسختين ، لايحسبن . وما اثبتناه من الديوان .

(٥) في النسختين ، يبيح . وما أثبتناه من الديوان .

(٦) ديوانه ١٤١٠ ـ ١٤١٢ .

وكذلكَ فَعَلَ حتى جَعَلَهُ مُثْلَةً بينَ أصحابِهِ . على أنَّ الأخْفَش كانَ يتجلد ويُظهرُ قِلةَ المبالاة به . وهَيْهاتَ وقد وَسمَهُ سِمَةَ الدهر . وسامَهُ سَوْمَ القَهْرِ .

وقالَ ابنُ رشيقٍ :

يامُوجِعي شَتْماً على أنَّهُ ... لو فَرَكَ البرغوثَ ماأوْجَعَا

كُلٌّ لَهُ مِن نَفْسِهِ آفَةٌ ... وآفةُ النَّخْلَةِ أنْ تَلْسَعَا

بابُ الهجاءِ (١)

قد اختلفَتْ مذاهبُ الناسِ فيه . وأبلَغُهُ ماقَرُبَتْ معانيه . وسَهُلَ حِفْظُهُ . وأسْرَعَ عُلُوقُهُ بالقَلْبِ . وخَرَجَ مَخْرَجَ التهكُم والتهافُتِ . وكانَ بينَ التصريحِ والتَّعْرِيضِ . كقولِ زهير : (٢)

وما أدري وسَوْفَ اخالُ أدري ... أقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أمْ نِساءُ

فانْ تكُنِ النساءُ مُخَبَّآتٍ ... فَحَقٌّ لكلِّ مُحْصَنَةٍ هِداءُ

وهذا من أشَدِّ الهجاءِ وأمَضِّهِ .

ولمَّا قَدِمَ النابغةُ بعدَ وَقْعَةِ جِسْيٍ سألَ (٣٣ ب) بني ذبيان : ماقُلْتُم لعامر بنِ الطُّفَيْلِ وما قالَ لكم ؟ فأنشدوه . فقال : أفْحَشْتم(٣) على الرجلِ وهو شريفٌ لايُقالُ له مثل ذلك . ولكِّنني سأقولُ . ثُمَّ قالَ : (٤)

فانْ يَكُ عامِرٌ قَدْ قالَ هُجْراً ... فانَّ مَظِنَّةَ الجهلِ الشبابُ

فكُنْ كأبيكَ أو كأبي بَرَاءٍ ... تُصادِفْكَ الحكومةُ والصوابُ

فلا تَذْهَبْ بِلُبِّكَ طائِشاتٌ ... من الخُيَلاءِ ليسَ لَهُنَّ بابُ

فانَّكَ سوفَ تنزلُ أو تناهي ... اذا ماشِبْتَ أو شابَ الغُرابُ

فانْ تكُنِ الفوارسُ يومَ جِسْيٍ ... أصابُوا من لقائِكَ ماأصابُوا

فما ان كانَ عن نَسَبٍ بَعيدٍ ... ولكنْ أدْرَكُوكَ وهُمْ غِضَابُ

---

(١) نقد الشعر ١٠١ , العمدة ٢ / ١٧٠ . جوهر الكنز ٣٠٨ .

(٢) ديوانه ٧٣ ـ ٧٤ .

(٣) في النسختين : أفخشيتم . والصواب ماأثبتناه .

(٤) ديوانه ١٥٥ ـ ١٥٦ مع خلاف في الرواية والترتيب .

فلما بلغَ قولَهُ عامراً شَقَّ عليه ، وقالَ : ماهجاني أحدٌ حتى هجاني النابغةُ ، جعلني القومُ سَيِّداً ورئيساً ، وجعلني النابغةُ سَفيهاً جاهلاً ، وتهكَّمَ بي .

واعلمْ أَنَّهُ لايجوز للشاعر انْ يكونَ كالحَيَّةِ تلْسَعُ النبيَّ والذَّمِيَّ(١) بالطبع . والمستحبُّ له أَنْ يضعَ الاشياءَ مواضعَها . وللهِ القائلُ :(٢)

اذا أنا بالمعروفِ لم أُثْنِ صادِقاً ... ولم أشتمِ الجِبْسَ اللئيمَ المُذَمَّما
ففيمَ عَرفْتُ الخَيْرَ والشَّرَّ(٣) باسْمِهِ ... وشقَّ لِي اللّٰهُ المسامعَ والفَمَا

وأَنْ يغفرَ زَلَّةَ الكريم ، ويتجاوزَ عن(٤) غَفْلَتِهِ ، ويقبلَ عُذْرَهُ ، لأَنَّهُ اذا سارَ عنه شيءٌ تعذَّرَ تلافيهِ ، وجَرى القلمُ بما فيهِ ، ولقد أَحْسَنَ القائلُ :(٥)

ولـلـشــــــعراء ألسِنةٌ حــدادٌ ... على العوراتِ موفيةٌ دَليـلَهْ
اذا وَضَعُوا مياســِمَهُم عليها ... وانْ كذبـوا فليسَ لهُنَّ حِيـلَهْ

وقال أبو تَمَّامٍ :(٦) وأحسنَ ماشاءَ :

ولولا خِلالٌ سَنَّها الشعرُ مادَرى ... بُغاةُ النَّدى مِنْ أينَ تُؤْتَى المكارِمُ
يُرَى حِكْمَةً مافِيهِ وهو فكاهَةٌ ... ويُقْضَى بما يَقْضِي به وهو ظالِمُ

فأمَّا اذا تكرَّرتْ قَصْداً فلا بأسَ أنْ ينتصِرَ بالقولِ ، وللهِ القائلُ :(٧)

اذا لم تَجِدْ بَدّاً مِن القولِ فانتَصِفْ ... بِحَدِّ لسانٍ كالحُسامِ المُجَرَّدِ
فقد يدفَعُ الانسانُ عن نفسِهِ الأَذى ... بِمَقولِهِ انْ لم يُدافِعْهُ باليَدِ

---

(١) كذا في النسختين . وفي زهر الآداب ٢٧٩ ، السُّنيّ والدنيّ .
(٢) أبو عمران الضرير في معجم الشعراء ٨٥ ، وبلا عزو في الصناعتين ٤٤ وبهجة المجالس ١ / ٣١٥ .
(٣) ت : الشر والخير .
(٤) ت : عنه .
(٥) هو أبو النعمان في العمدة ١ / ٧٨ . ونسبه الجاحظ في البيان والتبين ١ / ١٥٩ الى بعض المولدين .
(٦) ديوانه ٣ / ١٧٩ و ١٨٢ مع تقديم الثاني .
(٧) السيد أبو الحسن كما في العمدة ٢ / ١٧٥ .

وأمّا اللئيمُ فلا بأسَ بهجوه . وأبو تمامٍ ومَنْ تابَعَهُ يرونَ أنَ الكَفَّ عنه عَيْبٌ . ولذلك قال :(١) (٣٣ ب)

تركُ اللئيمِ ولم يُمَزِّقْ عِرْضَهُ   نَقْصٌ على الرجلِ الكريمِ وعارُ

وقال المتنبي :(٢)

اذا أتَتِ الاساءَةُ من لئيمٍ   ولم أَلُمِ المُسيءَ فَمنْ أَلُومُ

والهجاءُ بالتفضيل أشَدُّ أنواعِهِ ، وهو المُقْذِعُ ، كقولِ ربيعةَ :[٣]

لشَتَّانَ مابينَ اليزيدَيْنِ في العُلَى   يزيدِ سُلَيْمٍ والأغَرِّ بنِ حاتِمِ
فَهَمُّ الفَتَى الأزْدِيِّ اتْلافُ مالِهِ   وهَمُّ الفَتَى القَيْسِيِّ جمعُ الدراهِمِ
فلا يحسب(٤) التَّمتامُ أنّي هَجَوْتُهُ   ولكنَّني فَضَّلْتُ أهلَ المكارِمِ

ولمّا هجا الحطيئة الزبرقان حَبَسَهُ عُمَرُ ثُمَّ أطلَقَهُ . وقال : ايّاكَ والهجاءَ المُقْذِعَ . قالَ : وما المُقْذِعُ ياأميرَ المؤمنين ؟ قالَ : المقذعُ (٥) أنْ تقول : هؤلاءِ أفْضَلُ من هؤلاءِ وأشرفُ ، وتبني شعراً على مدح قومٍ وذمِّ مَنْ يُعادِيهم . فقالَ : أنْتَ واللهِ ياأميرَ المومنين أعْلَمُ مني بمذاهبِ الشعر ، ولكنْ حباني هؤلاءِ فَمَدَحتُهم ، وحرمني هؤلاءِ فذكرتُ حرمانَهم ، ولم أَنَلْ من أعراضِهم شيئاً ، وصَرَفْتُ مدحي الى مَنْ أرادَهُ ، ورَغِبتُ به عمن كرهه وزَهِدَ فيه . أرادَ بذلك قصيدَتَهُ التي يقول(٦) فيها : (٣٤ أ)

وآنَيْتُ العَشاءَ الى سُهَيْلٍ   أوِ الشِّعْرَى فطالَ بِيَ الأَناءُ

---

(١) ديوانه ٤ ٣٥٥ .
(٢) ديوانه ٤ / ١٥٢ .
(٣) هو ربيعة الرقي ، شعره / ٩٧ ـ ٩٨ . وفي النسختين : أبي ربيعة .
(٤) من ت . وفي الأصل : تحسب .
(٥) ساقطة من ت .
(٦) ديوانه ٩٨ .

وهي من أخْبَثَ ماصَنَعَ . (١)
وقال الأحمرُ : (٢) أشَدُّ الهجاءِ أعفُهُ وأصدقُهُ . يريد بأصدقه ، ماأصابَ الغَرَضَ ووقَعَ على النكتَةِ .
ومَدَح شاعرٌ الحسن (٣) بنَ عليٍّ عليهما السلامَ فأجْزَلَ عطِيَتَهُ . فلِيمَ على ذلكَ ، فقالَ : أترونَي خِفْتُ أنْ يقولَ : لستَ ابنَ فاطمةَ بنت رسولِ اللهِ ، عليهما السلامُ ، ولا ابنَ علي بن ابي طالبٍ عليه السلامَ ، ولكنني خِفْتُ أن يقولَ : لستَ كرسولِ اللهِ ، أو لست كعليٍّ ، فيُصَدَّق فيُحْمَل عنه ، ويبقى مُخَلَّداً في الكُتُبِ ، ومحفوظاً على ألسنةِ الرواةِ ، فقالَ الشاعرُ : أنتَ واللهِ ياابنَ رسولِ اللهِ أعْلَمُ بالمدح والذمِّ مني :

وقد وَقَعَ الحسن بن زيد بن الحسين (٤) بن عليّ : عليهم السلامُ ، في بعضِ ماقالَ جَدُّهُ ، قال فيه محمد بن حمزة الأسلمي : (٥)

له حَقٌّ وليسَ عليه حقٌّ	ومهما قالَ فالحَسَـــنُ الجميلُ
وقد كانَ الرسولُ يرى حقوقاً	عليه لغيرِهِ وهو الرســـولُ

وقالَ أبو عمرو : (٦) خَيرُ الهجاءِ ماتُنْشِدُهُ العذراءُ في خِدْرِها فلا يقبحُ بمثلها ، كقولِ أوس : (٧)

اذا ناقةٌ شُدَّتْ برَحلٍ ونُمْرُقٍ	الى حَســنٍ بعدي فَضَلَّ ضَلالُها

(٣٤ ب) واختارَ ثَعْلَبُ مثلَ قولِ جرير : (٨)

فَغُضَّ الطَرْفَ انَّكَ مِن نُمَيْرٍ	فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كلابــا

(١) العمدة ٢ / ١٧٠ .
(٢) هو خلف الأحمر ، وقوله في العمدة ٢ / ١٧١ .
(٣) في العمدة : الحسين .
(٤) في العمدة : الحسين .
(٥) العمدة ٢ / ١٧٢ .
(٦) هو أبو عمر بن العلاء ، وقوله في العمدة ٢ / ١٧٠ .
(٧) ديوانه ١٠٠ وفيه : الى حَكَم . والنمرق : كساء يوضع على الناقة
(٨) ديوانه ٨٢١ .

وبينَ المذهبينِ تناسُبٌ ، الاّ أنَّ بيتَ جريرٍ أهجى لِما فيه من التفضيلِ

وبعضُهم(١) يرى أنَّ التعريضَ أهجى من التصريح ، لاتساعِ الظَّنِّ ، وشدَّةِ تَعلّقِ النفسِ به ، والبحثِ عن حقيقتِهِ وسَبَبِهِ ، واحاطةِ النفسِ بالتصريح وتيقُّنِها اياهُ في أولِ وَهلة ، فما آله عندها الى نَقصٍ أو نسيانٍ أو مللٍ يعرضُ ، هذا بشَرْطِ أنْ يكونَ المهجُوُّ ذا قَدرٍ في نَفْسِهِ وحَسَبِهِ . فأمّا انْ كانَ ممن لايوقظهُ التلويحُ (فقد)(٢) تَعيَّنَ التصريحُ . ولذلكَ اختلفَ هجاءُ جماعةٍ من الفحولِ على حَسَبِ مراتبِ المهجوين .

ومن الاستحقارِ قولُ زيادِ الأعْجَم :(٣)

قُمْ صاغراً ياشَيْخَ جَرْمٍ فانما	يُقالُ لشيخ الصِّدْقِ قُمْ غَيْرَ صاغِرِ
فَمَنْ أنتم انّا نسينا مَن انتُمُ	وريُحكُمُ من أيِّ ريح الأعاصِرِ
أأنتم أُولَى جئتم معَ البَقْلِ والدَبا	فطارَ وهذا شَخْصُكم غَيْرُ طائرِ
قَضَى اللهُ خَلْقَ الناسِ ثم قُضيتُمُ	بقيَّةَ خَلْقِ اللهِ آخِرَ آخِرِ
فلم تسمعوا الاّ بمن كانَ قبلَكُم	ولم تُدركوا الاّ مَدَقَّ الحوافِرِ

(٣٥ أ) وأخَذَ الطِّرماحُ(٤) هذا المعنى فقالَ :

وما خُلِقَتْ تَيْمٌ وعبدُ مناتِها	وضَبَّةُ الاّ بَعْدَ خَلْقِ القبائِلِ

ومن الاحتقارِ قولُ جريرٍ(٥) في التَّيْمِ :

ويُقْضَى الأمْرُ حينَ تغيبُ تَيْمٌ	ولا يُستأذَنونَ وهُمْ شُهودُ
وانَّكَ لو رأيتَ عبيدَ تَيْمٍ	وتَيْماً قُلْتَ أيُّهُمُ العبيدُ

وبَعْضُهم يرى أنَّ قِصَرَ الهجاءِ أجودُ ، وعِفَّتَهُ أصْوَبُ . وهذا ضِدُّ مذهبِ جريرٍ ، لأنَّهُ قال : اذا هجوتَ فاضحك ، وكانَ يأمرُ بطول الهجاء .

(١) هو ابن رشيق في كتابه العمدة ٢ / ١٧٢

(٢) يقتضيها السياق .

(٣) شعره / ٧٩ .

(٤) ديوانه ٣٤٠ وفيه ، وزيد مناتها .

(٥) ديوانه ٣٣٢ وفيه ، وانك لو لقيت .

وأجودُ الهجاءِ مايسلبُ الفضائل النفسية(١) . وما تفرّعَ منها وتركّبَ . فأمّا عيوبُ الخلْقَةِ فالهجاءُ بها رديءٌ . وقُدامةُ لا يراهُ هَجْواً البَتَّةَ . وكذلك ماكانَ من قِبَلِ الآباءِ والأمهاتِ من النقصِ والفسادِ . فانْ جيءَ بذلك بعدما تقدَّمَ أو في ضمنِهِ فلا بأسَ . لأنَّ العربَ قد سلكت تلكَ الطريقةَ . ولذلك خولِفَ قُدامةُ .

وقيل : أهجى بَيْتٍ قالَهُ شاعرٌ(٣) بيتُ الأخطلِ(٤) في بني يربوع رَهط جرير:

قومٌ اذا استنبحَ الأضْيافُ كلبَهُمُ قالوا لأمِّهم بُولي على النارِ

لأنَّ فيه أنواعاً من الهجاءِ : وَصَفَهمُ بالبُخْلِ بوقودِ النارِ لِئلا يهتدي بها ضَيْفٌ ولا سارٍ (٣٥ ب) وأخْبَرَ أنَّ بَوْلَةَ عجوزٍ تُطْفِئها . وذلك لضَعْفِها بخلاً بالحطبِ . وخَصَّ العجوزَ لعجزِها عن امساكِ البولِ لتعذُّرِ ذلكَ عليها غالباً . فتكون بولتُها قليلةً جداً . ووصفهم بامتهانِ أمهم في مثلِ ذلك . وهذا دليلٌ على العقوقِ والاستخفافِ . ومؤذنٌ بأن لاخادِمَ لهم . وفيه ايذانٌ ببخلهم بالماءِ .

وقيل لبني كُليب : ماأشَدّ ماهُجيتُم بِهِ ؟ قالوا : قول البعيث(٥):

ألَسْتَ كُلَيْبِيّاً اذا سِيمَ خُطّةً أقَرَّ كاقرارِ الحليلةِ للبَعْلِ

وكانَ الجَعْدِيُّ(٦) يقول : انّي وأوساً نبْتَدِرُ بيتاً من الهجاءِ . فَمَنْ سَبَقَ منا اليهِ غلبَ صاحِبَهُ . فلمّا قالَ أوْسُ بنُ مَغْراء(٧):

---

(١) في النسختين : النفيسة . وما أثبتناه من نقد الشعر ٢١٨ والعمدة ٢ / ١٧٤ . وفي ت : الفضيلة بدل الفضائل .

(٢) نقد الشعر ٢١٨ .

(٣) العمدة ٢ / ١٧٥ .

(٤) ديوانه ٢٢٥ . وفي حاشية ت بيتان آخران من هذه القصيدة كتبا بخط مغاير .

(٥) شعره / ٣١ .

(٦) طبقات فحول الشعراء ١٢٥ ـ ١٢٦ . الموشح ٩٢ ـ ٩٣ .

(٧) في النسختين : أوس بن معن . وهو تحريف . والصواب ماأثبتناه . وهو شاعر اسلامي . والبيت في طبقات فحول الشعراء ١٢٦ والحماسة الشجرية ٤٤٢ .

لَعَمْرُكَ ماتَبْلى سرابيلُ عامِرٍ من اللؤمِ مادامَتْ عليها جُلودُها

قال النابغةُ ، هذا واللهِ البيتُ الذي كُنّا نبتدرُهُ .

بابُ الاعتذار(١)

ويحتمل أنْ يكونَ اشتقاقُهُ مِن المحو . كأنَّكَ مَحَوْتَ آثارَ الموجدةِ من القلبِ ، من قولهم ، اعتذرتِ المنازلُ ، اذا دَرَسَتْ . قالَ ابنُ أحمرَ(٢) ، (٣٦ أ)

أو كنتَ تعرفُ آياتٍ فقد جَعَلَتْ أطلالُ إلْفِكَ بالوَدْكاءِ تَعْتَذِرُ

ويحتملُ أنْ يكون من الانقطاع ، كأنَّكَ قَطَعْتَ الرجلَ عمّا أمسكَ في قلبه من الموجدةِ ، يُقالُ ، اعتذرتِ المياهُ ، اذا انقطعتْ ، قالَ لَبيد(٣) ،

شُهورُ الصيفِ واعتَذَرَتْ عليه نِطافُ الشَّيِّطَيْنِ من السِّمالِ

ويحتملُ أنْ يكونَ من الحجزِ والمنعِ ، قال أبو جعفر ، يُقال . عَذَرْتُ الدابةَ ، اذا جعلتَ لها عِذاراً يحجُزُها عن الشِّرادِ . فمعنى ، اعتذَرَ الرجلُ ، احتجزَ ، ومعنى عذرته(٤) ، جعلتُ له بقبولِ ذلكَ(٥) منه حاجزاً بينَهُ وبينَ العقوبةِ والعتبِ عليه . ومنه ، تعذَّرَ الأمرُ ، أي احتجز أنْ يُقضى . ومنه ، جاريةٌ عذراءُ .

ويُسْتَحَبُّ للشاعرِ أنْ لايقولَ شيئاً يحتاج أنْ يعتذِرَ منه ، فانْ أوقَعَهُ قَدرٌ فليذهب مَذهباً لطيفاً يقصدُ فيه أخْذَ قلبِ المعتذرِ اليه واستجلاب رضاهُ ، لأنَّ دخولَ المعتذر منْ بابِ الاحتجاج واقامةِ الدليلِ خَطأً ، لاسيما مع الملوكِ وذوي السلطانِ ، وليُلْطِف بُرهانَهُ مُدْمجاً في التضُّرعِ والدخولِ تحت العفو ، وليحلّ الكذبَ على الناقلِ والحاسدِ حَذراً من تكذيبِ سُلطانِهِ أو رئيسِهِ ، فأمّا الاعتذارُ الى الاخوانِ فطريقةٌ أُخرى . ولقد أحسن عليُّ بن محمد بن علي الأصبهانيّ(٦) حيث يقول ، (٣٦ ب)

(١) العمدة ٢ / ١٧٦ ، جوهر الكنز ٥٩٦ .

(٢) شعره / ٩٦ وفيه ، أم كنت . والودكاء ، موضع . ورواية ت ، وكنت ،

(٣) ديوانه ٨٢ . وفي النسختين ، لطاف ... السماك . والصواب ماأثبتناه وفي ت ، اليه . والنطاف ، المياه قلت أو كثرت . والشيطان ، واديان لبني تميم . والسمال ، الماء القليل .

(٤) في النسختين ، عذرتك . والصواب ماأثبتناه ، ينظر ، العمدة ٢ / ١٨٠ .

(٥) ت ، جعلت لك بقبوله منه .

(٦) العمدة ٢ / ١٧٦ ، واسمه فيها ، محمد بن علي الأصبهاني .

العذرُ يمحقُهُ التحريفُ والكذبُ وليسَ في غيرِ مايرضيكَ لي أرَبُ
وقَدْ أسأتُ فبالنُّعْمَى التي سَلفَتْ الاّ مَنَنْتَ بعفوٍ مالَهُ سَبَبُ

وقالَ ابراهيم بنُ المهدي(٧) يعتذرُ الى المأمونِ من أبياتٍ :

اللـهُ يـعـلـمُ مااقولُ فانـها جَهْدُ الأليةِ مِن مُقرٍّ خاضع
مالنْ عصيتك والغواةُ تمدّني أسـبابـهـا الاّ بـنـيّةِ طائـع

وقد سَلكَ أبو عليّ البصير(٨) مذهبَ الحجّةِ واقامة الدليل بعد الجنايةِ ، فقال :

لم أجنِ ذنباً فانْ زَعَمْتَ بأنْ جَـنَـيْـتُ ذَنْـباً فـغَـيْرُ مُـعْـتَـمِدِ
قد تَطْرِفُ الكفُّ عينَ صاحِبِها ولا يَرَى قَطْعَها من الرُّشْدِ

وكان النابغة الذبيانيّ(٩) لايُشَقُّ غبارُهُ في أنواع الشعر ، الاّ أنَّهُ أفْلَقَ في اعتذاره الى أبي قابُوس ، منها :

حَلفْتُ فلم أتركْ لنفسِكَ ريبةً وليسَ وراءَ اللّهِ للمرءِ مَذْهَبُ
لَئِنْ كنتَ قد بُلِّغْتَ عني جنايةً لَمُبْلِغُكَ الواشي أغَشُّ وأكْذَبُ
ولكنّني كنتُ امرأً ليَ جانبٌ مِن الأرضِ فيه مسترادٌ ومَهْرَبُ
(٢٧ أ) ملوكٌ واخوانٌ اذا مالقيتُهُم أحَـكَّـمُ في أموالِـهِـم وأقَرَّبُ
كفِعْلِكَ في قومٍ اراكَ اصطنعتهم فلم تَرَهُم في مثلِ ذلك أذنبوا
فلا تتركَنّي بالوعيدِ كأنّني لدى الناسِ مَطْليٌّ به القارُ أجْرَبُ
وذلكَ أنَّ اللّهَ أعطاكَ سَوْرَةً تَرَى كلَّ مَلْكٍ دُونَها يتذَبْذَبُ
وانَّكَ شَمْسٌ والملوكُ كواكبٌ اذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كَوْكَبُ

---

(٧) بغداد لابن طيفور ١٠٢ . وفيه ، من حنيف راكع .

(٨) شعره / ١٧٠ ـ ١٧١ (مجلة المورد ، المجلد الأول ، العددان ٣ ـ ٤ ، ١٩٧٢) . وقد نسب الى غيره .
(٩) ديوانه ٧٦ ـ ٧٨ مع خلاف في الرواية .

ومنها(١٠)،

وحملتني ذَنْبَ امرىءٍ وتركتَهُ كذي العُرّ يُكْوى غَيْرُهُ وهو راتِعُ
فانْ كُنْتَ لاذو الضِّغْنِ عني مُكَذَّبٌ ولا حَلِفِي على البَراءةِ نافعُ
ولا أنا مأمونٌ بقولٍ أقولُهُ وأنــتَ بأمْرٍ لامــحالَةَ واقِــعُ
فانَّكَ كالليلِ الذي هو مُدْرِكي وانْ خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عنكَ واسعُ

قالَ الأصمعي ، ليسَ الليلُ أوْلَى بهذا المَثَلِ من النهارِ . والعُذْرُ فيه أنَّهُ خصَّ الليلَ اهتماماً بِهِ لأنَهُ أهْوَلُ . ولأنَهُ أوّلُ . ولأنَّ أكثرَ أعمالهم كانت فيه لِشدّةِ حَرِّ بلادِهم . فلذلكَ قدَّموهُ في كلامهم . وقد تَعَلّقَ بهذا المعنى جماعةٌ منهم سَلْمٌ(١١). فقالَ يعتذرُ الى المهدِيّ ، (٣٧ ب)

انّي أعوذُ بخيرِ الناسِ كُلّهم وأنْتَ ذاكَ بما تأتي وتجتنبُ
فأنتَ كالدهرِ مبثوثاً حبائلُهُ والدهرُ لامَلْجَأَ منه ولا هَرَبُ
ولو مَلَكْتُ زمامَ الريحِ أصْرِفُهُ في كلِّ ناحِيةٍ مافاتَكَ الطلبُ
فلَيْسَ الاّ انتظاري منكَ عارفةً فيها من الخوفِ مَنْجاةٌ ومُنْقلَبُ

وقال عبيد اللّه بنُ عبداللّه بن طاهر(١٢)

واني وانْ حَدَّثْتُ نفسي بأنّني أفوتُكَ انَّ الرأيَ مني لعازبُ
لأنّكَ لي مثلُ المكانِ المحيطِ بي مِن الأرضِ أنّى استَنْهَضَتني المذاهبُ

والى هذا أشارَ أبو الطيِّبِ بقولِهِ(١٣)،

ولـكـنَّـكَ الدنـيا الـيَّ حـبـيـبةٌ فما عنكَ لي الاّ اليكَ ذَهابُ

---

(١٠) ديوانه ٤٨ ــ ٥٢ .
(١١) شعره / ٩٣ (في ، شعراء عباسيون) وفيه ، عنان الريح أصرفها .
(١٢) العمدة ٢ / ١٧٩ .
(١٣) ديوانه ١ / ٢٠١ .

وممّا اختير قول عليّ بن جَبَلَةَ (١):

وما لامرىءٍ حاولتَهُ منكَ مَهْرَبٌ ولو رَفَعَتْهُ في السماءِ المطالعُ
فلا هاربٌ لا يهتدي بمكانِهِ ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح ساطِعُ

لأنَّهُ أجادَ مع معارضةِ النابغة ، وزادَ عليه ضوء الصبح احترازاً من اعتراضِ (٣٨ أ) الأصمعي .

وأفْضَلُ من هذا كُلِّهِ قولُهُ عَزَّ وجَلَّ : « يامَعْشَرَ الجِنِّ والانْسِ ان استطعتُم أنْ تَنْفُذوا مِن أقطارِ السمواتِ والأرْضِ فانْفُذُوا (٢) » .

بابُ الرثاءِ (٣)

وليسَ بينَ الرثاءِ والمدح فَرْقٌ ، الاَّ بأنْ يُخْلَطَ بِهِ المقصودُ مَيِّتٌ مثل (كان) أو (عدمنا منه كَيْتَ وكَيْتَ) ونحو ذلكَ .

وسبيلُ الرثاءِ أنْ يكونَ ظاهِرَ التفجُّعِ ، بَيِّنَ الحسرة ، مخلوطاً بالتلهُّفِ والأسَفِ وبالاستعظامِ انْ كانَ الميتُ ملكاً ورئيساً كبيراً ، كما قالَ النابغةُ (٤) في حِصْنِ بن حُذَيْفَةَ بنِ بَدْرٍ :

يقولونَ حِصْنٌ ثُمَّ تأبى نفوسُهُم وكيفَ بِحِصْنٍ والجبالُ جُنُوحُ
ولم تَلْفِظِ الموتى القبورُ ولم تَزَلْ نجومُ السماءِ والأديمُ صَحِيحُ
فَعمّا قليلٍ ثُمَّ جاءَ نَعِيُّهُ فَظَلَّ نَدِيُّ الحيِّ وهو ينوحُ

فهذا ، وما شاكَلَهُ ، رثاءُ الملوكِ والرؤساءِ الجِلَّةِ ، والى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية (٥) حين قالَ :

(١) شعره / ١٤٩ ، وفيه ، بلى ... لمكانه .
(٢) الرحمن ٣٣ .
(٣) العمدة ٢ / ١٤٧ .
(٤) ديوانه ٢١٣ ، وفيه ، ولم تلفظ الارض القبور ، ثم جاش نعيه فبات .
(٥) ديوانه ٦٥٦

مات الخليفةُ أيُها الثقلانِ

فرفعَ الناسَ رؤوسَهم ، وفتحوا عيونَهم ، وقالوا : نعاهُ للجنّ والانس ، ثم أدركهُ اللّينَ والفترُ ، فقالَ :

فكأنّني أفطرْتُ في رمضانِ

(٣٨ ب) يُريدُ : أنّي بمُجاهَرَتي هذا القولَ كأنّما جاهرتُ بالافطارِ في رمضانَ نهاراً ، وكُلُ أحدٍ ينكرُ ذلكَ عليَّ ، ويستعظِمُهُ من فعلي ، وهذا معنى جَيِّدٌ غَرِيبٌ في لَفْظٍ رديءٍ غير مُعْرِبٍ عمَّا في النفسِ .

ومن أفْضَلِه قولُ حُسَيْن بنِ مطير(١) يرثي مَعْنَ بنَ زائدة ، ويُروَى لابن أبي حَفْصَة (٢) :

أَلُّما على مَعْنٍ فقولا لقَبْرِهِ	سَقَتْكَ الغوادي مَرْبعاً ثُمَّ مَرْبعاً
فيا قبرَ معنٍ كنتَ أوّلَ حُفْرَةٍ	من الارضِ خُطّتْ للسماحةِ مَضْجَعا
ويافَبْرَ مَعْنٍ كيفَ واريْتَ جُودَهُ	وقد كانَ منه البَرُّ والبَحْرُ مُترَعا
بَلَى قد وَسِعْتَ الجودَ والجودُ مَيّتٌ	ولو كانَ حيّاً ضِقْتَ حتى تَصَدَّعا
فَتىً عِيشَ في معروفِهِ بَعْدَ موتِهِ	كما كانَ بعد السَّيْلِ مجراه مَرْتَعا

ولقد أحْسَنَ أبو تمام(٣) في رثائِهِ محمد بنَ حُمَيْد بالقصيدةِ التي يقولُ فيها :

ألا في سَبيلِ اللّهِ مَنْ عُطّلَتْ له	فِجاجُ سبيلِ اللّهِ وانثغَرَ الثغْرُ
فتىً كلّما فاضَتْ عيونُ قبيلَةٍ	دَما ضحكتْ عنه الأحاديثُ والذّكْرُ (٤)
وما ماتَ حتى ماتَ مَضربُ سيفهِ	من الضّرْبِ واعتلّتْ عليه القَنا السُّمْرُ
فَتىً ماتَ بينَ الضّرْبِ والطَعْنِ مِيتَةً	تقومُ مقامَ النّصْرِ اذْ فاتَهُ النّصْرُ
وقد كانَ فوتُ الموتِ سَهْلاً فرَدَّهُ	اليهِ الحفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونَفْسٌ تخافُ الذّمَّ حتى كأنّما	هو الكُفْرُ يومَ الرَّوْعِ أو دُونَهُ الكُفْرُ
فأثْبَتَ في مستنقعِ الموتِ رِجْلَهُ	وقالَ لها من تحتِ أخمصك الحَشْرُ

(١) في النسختين : حسن ، وهو تحريف . والأبيات في شعره / ١٧٢ ــ ١٧٣ (مجلة معهد المخطوطات . المجلد ١٥ الجزء الأول ١٩٦٩) .

(٢) ينظر : شعر مروان ١١٤ .

(٣) ديوانه ٤ / ٨٠ ــ ٨١ . وفيه : ونفس تعاف العار ...

(٤) من ت . وفي الأصل : والنشر .

وأبو تمامٍ من المعدودين في اجادةِ الرثاءِ . وليسَ في ابتداءاتِ الرثاء لمُوَلِّدٍ مثلُ قولِه(١):

أصمَّ بكَ الناعي وانْ كانَ أسْمَعَا   وأصْبحَ مَغْنى الجُود بَعْدَكَ بَلْقَعَا

وديكُ الجنّ عبد السلام بن رغبان أشهَرُ مِن حَبيبٍ في الرثاءِ ، وله فيه طريقةٌ انفردَ بها . وذلكَ أنّهُ قَتَلَ جاريَتَهُ وقد اتُّهِمَ بها غُلاماً كانَ يهواه ، ثُمَّ قالَ(٢) يرثيها :

يامُهْجَةً جَثَمَ الحمامُ عليها   وجَنَى لها ثَمَرَ الرَّدَى بيَدَيْها
رَوَّيْتُ مِن دَمِها الترابَ ورُبَّما   رَوَّى الهوى شَفَتَيَّ من شَفَتَيْها
حَكَّمْتُ سيفي في مجالِ خناقِها   ومدامعي تجري على خَدَّيْها
فَوَحَقِّ نَعْلَيْها فما وَطِىءَ الحَصَى   يوماً أعزُّ عَلَيَّ مِن نَعْلَيْها
ماكانَ قَتْلِيها لأني لم أكُنْ   أشْجَى اذا سَقَطَ الغُبارُ عَلَيْها
لكن بخلْتُ على الأنام بِحُسْنِها   وأنِفْتُ مِن نَظَرِ العيونِ اليها

ثُمَّ قَتَلَ الغُلامَ أيضاً ، وقال(٣) يرثيه :

أشْفَقْتُ أنْ يردَ الزمانُ بغَدْرِهِ   أو أبْتَلى بعدَ الوصالِ بهجرِهِ
فقتلتُهُ ولَه عليَّ كرامةٌ   ملءَ الحشا ولَهُ الفؤادُ بأسْرِهِ
قَمَراً أنا استخرجتُهُ من دَجْنِهِ   لبليّتي وزففتُهُ مِن خِدْرِهِ
عهدي بِهِ مَيْتاً كأحسنِ نائمٍ   والحزنُ ينحرُ مقلتي في نَحْرِهِ
لو كانَ يدري المَيْتُ ماذا بَعْدَهُ   بالحيِّ منه بَكَى له في قَبْرِهِ
غُصَصٌ تكادُ تفيضُ منها نَفْسُهُ   وتكادُ تُخْرِجُ(٤) قَلْبَهُ من صدرِهِ

فَصَنَعَتْ فيه أخْتُ(٥) الغُلام :

ياوَيْحَ دِيكَ الجنّ ياتَبّا لَهُ   ماذا تَضَمَّنَ صَدْرَهُ مِن غَدْرِهِ
قَتَلَ الذي يهوى وعُمِّرَ بَعْدَهُ   يارَبِّ لاتَمْدُدْ لَهُ في عُمْرِهِ

(١) ديوانه ٤ / ٩٩ .
(٢) ديوانه ٩٠ ـ ٩١ مع خلاف في الرواية .
(٣) ديوانه ٩٢ ـ ٩٣ مع خلاف في الرواية .
(٤) ت : يكاد يخرج .
(٥) العمدة ٢ / ١٥٠ .

وقيل ، انَّ أرثَى بيتٍ قِيلَ ، (١٣)

أرادوا ليُخْفُوا قَبْرَهُ عن عَدُوِّهِ فطِيبُ ترابِ القبْرِ دَلَّ على القَبْرِ

(٤٠ أ) ومِن جيِّدِهِ قولُ عَبدَةَ بنِ الطبيبِ (١٤) يرثي قيسَ بنَ عاصم ،

عليكَ سلامُ اللهِ قَيْسَ بنَ عاصمٍ ورَحْمَتُهُ ماشاءَ أنْ يَتَرَحَّما
تَحِيَّةُ مَنْ ألْبَسْتَهُ منكَ نِعْمَةً اذا زارَعن شَحطٍ مَزارَكَ سَلَّما
فما كانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ ولكِنَّهُ بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما

ومن أبلغ الرثاءِ قولُ فاطِمةَ بنتِ (١٥) رسولِ اللهِ عليهما السلامُ ترثيه ،

اغْبَرَّ آفاقُ السماءِ وكُوِّرَتْ شَمْسُ النهارِ وأظْلَمَ القَمرَانِ
فالأرضُ من بَعْدِ النبيِّ كَئِيبَةٌ أسَفاً عليهِ كثيرةُ الرَّجَفانِ
فليبكِهِ شَرْقُ البلادِ وغَرْبُها ولتبكِهِ مُضَرٌ وكلُّ يَمانِي
وليبكِهِ الطَّوْدُ المُعَظَّمُ جَوُّهُ والبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ (١٦)
ياخاتِمَ الرُّسْلِ المبارَكِ ضَوْؤهُ صَلَّى عليكَ مُنَزِّلُ القرآنِ

والنساءُ أشجَى من الرجالِ قلوباً عند المصيبةِ ، وأشَدُّ جزعاً على هالكٍ ، لِما رَكَّبَ اللهُ سبحانه في قلوبهنَّ من الخَوَرِ والضَّعْفِ . وعلى شِدَّةِ الجزعِ بُنِي الرثاءُ ، كما قالَ حبيبٌ ، (١٧) (٤٠ ب)

لولا التَّفَجُّعُ لادَّعى هَضْبُ الحِمَى وصَفَا المُشَقَّرِ أنَّهُ مَحْزُونُ

فانظر الى قولِ جليلةِ بنتِ مُرَّةَ (١٨) ترثي زوجها كُليباً حينَ قَتَلَهُ أخوها جَسّاسٌ ، ماأشْجَى لَفظَها ، وأظْهَرَ الفَجيعَةَ فيهِ ، وكيفَ تثيرُ كوامِنَ الأشجانِ ، وتَقْدَحُ شَرَرَ النيرانِ ، وهو ،

(١٣) العمدة ٢ / ١٥٠ .
(١٤) شعره / ٨٧ ـ ٨٨ وفيه ، عن شحط بلادك .
(١٥) العمدة ٢ / ١٥٣ .
(١٦) من ت . وفي الأصل ، الأركاني .
(١٧) ديوانه ٣ / ٣٢٤ .
(١٨) ت ، ليلة بنت مرة . وهو تحريف . والابيات لجليلة في الاغاني ٥ / ٦٣ ـ ٦٤ واشعار النساء ١٨٥ . وينظر ، المثل السائر ٢ / ١٦ .

يا ابنةَ الأقوامِ انْ لُمْتِ فلا	تَعْجَلي باللَّوْمِ حتى تَسْأَلي
فاذا أنــتِ تــبــيَّــنْــتِ الــتــي	عِنْدَها اللَّوْمُ فلومي واعْذِلي
انْ تكُنْ اختُ امرِئٍ لِيمتْ على	جَزَعٍ مــنـهـا عــلــيــهِ فافــعــلــي
فِعْلُ جَسَّاسٍ على ضَنِّي بِهِ	قاطِــعٌ ظَــهْرِي ومُدْنٍ أجَــلــي
لو بَعيْنٍ فُدِيَتْ عيني سِوى	أخْتِــهــا وانــفــقــأتْ لــم أحْــفــلِ
تَحْمِلُ العَيْنُ قَذَى العَيْنِ كما	تــحــمِــلُ الأمُّ قذى ماتَــفْــتَــلِــي
انَّــــــي قاتِــلَةٌ مَــقْــتُولَةٌ	فلعَلَّ اللهَ أنْ يرتاحَ لي
ياقَـــتــيـلاً قَوَّضَ الدَّهْرُ بــــه	سَقْفَ بَيْتَيَّ جميعاً مِن عَلِ
ورمانـــي فَـــقْدُهُ مِـــن كَـــثَـــبٍ	رَمْــيَةَ الُمــصْــمَى بــهِ الُمــســتأصــلِ
هَدَمَ البيتَ الذي استَحْدَثْتَهُ	وبدا في هَدْمِ بيتي الأوَّلِ
مَــسَّــنــي فَــقْدُ كُــلَــيْــبٍ بِــلَــظَــى	من ورائي ولظًى مُسْتَقْبِلي
ليسَ مَنْ يبكي ليومينِ كَمَنْ	انَّــمـا يــبــكــي لــيوم مُــنْــجَــلِــي
دَرَكُ الــــثائِرِ شافِــــيــــهِ وفي	دَرَكِــي ثأرِيَ ثُــكْــلُ الُمــثْــكِــلِ
لــيــتَــهُ كانَ دمــي فاحــتــلــبوا	دَرَكاً منه دَمي مِنْ أكْحَلِي

ومِن صَعْبِ الرثاءِ الجمعُ بينَ تَعْزِيَةٍ وتهنئةٍ في مَوْضِعٍ . قيل : لمَّا ماتَ مُعاويةُ اجتمعَ الناسُ ببابِ يزيدَ . فلم يقدرْ أحدٌ على الجمع بينهما . حتى أتَى عبدالله بنُ هَمَّام السَّلُوليّ . فدخَلَ فقالَ . ياأميرَ المؤمنينَ آجَرَكَ اللهُ على الرزِيَّةِ . وبارَكَ لكَ في العطيةِ . وأعانكَ على الرعيةِ . فَقَدْ رُزِئتَ عظيماً . وأعْطِيتَ جَسِيماً . فاشكُرِ اللهَ على ماأعْطِيتَ . واصبرْ على مارُزِئتَ . فقد فَقَدْتَ خليفةَ اللهِ . وأعطِيتَ خلافةَ اللهِ . ففارقتَ خليلاً . ووُهِبْتَ جليلاً . اذ قَضَى مُعاويَةُ ووليتَ الرياسة . وأعْطِيتَ السياسَةَ . فأوْرَدَهُ اللهُ مواردَ السرورِ . ووفَّقَكَ لمصالح الأمورِ . .

فاصبرْ يزيدُ فقد فارقْتَ ذا ثِقَةٍ	واشكُرْ حِباءَ الذي بالملكِ أصْفاكا
لارُزْءَ أصبحَ في الأقوامِ نعلَمُهُ	كما رُزِئتَ ولا عُقْبَى كعُقْباكا
أصبحتَ واليَ أمرِ الناسِ كُلِّهِمُ	فأنتَ ترعاهُمُ واللهُ يرعاكا
وفي معاويةَ الباقي لنا خَلَفٌ	اذا نُعِيتَ فلا نَسْمَعْ بمَنْعاكا

(١٩) في النسختين ، على ظني به .

(٢٠) شعره / ١٦٥ (مجلة العرب السعودية) .

فَفَتَحَ للناسِ بابَ القولِ . (وعلى هذا السَّنَنِ جرَى الشعراءُ بَعْدَه)(٢١) . فقال أبو نُواس(٢٢) يُعَزِّي الفضلَ عن الرشيد ، ويهنيء بالأمين :

تَعزَّ أبا العباسِ عَنْ خَيْرِ هالِكٍ ... بأكرمِ حيٍّ كانَ أو هو كائنُ
حوادثُ أيّامِ تدورُ صُرُوفُـــها ... لـهـنَّ مَـساوٍ مَرّةً ومحاسنُ
وفي الحيِّ بالميتِ الذي غُيِّبَ الثَّرى ... فلا المُلْكُ مَغْبُونٌ ولا الموتُ غابِنُ

وابتعَدَ حبيبٌ(٢٣) بالقصيدةِ التي أوَّلُها :

مااللدموعِ ترومُ كلَّ مَرامِ

يقولُها للواثقِ بعدَ موتِ المعتصمِ ، صَرَّفَ القولَ فيها كيفَ شاءَ ، وأطْنَبَ كما أرادَ ، واحتجَّ فأسْهَبَ ، وتقدَّمَ فيها على كلِّ مَنْ سَلَكَ هذه الناحيةَ من الشعراء .(٢٤) وأرادَ ابنُ الزياتِ(٢٥) مجاراتَهُ فعلمَ مِن نفسِهِ التقصير فاقتصرَ على قولِهِ :

قد قُلتُ اذ غيَّبوكَ واصطَفَقَتْ ... عليكَ أيْدٍ بالتربِ والطينِ
اذهبْ فنِعْمَ المعينُ كنتَ على الدُّ ... نيا ونِعْمَ الظهيرُ للدِّينِ
لنْ يجبرَ اللهُ أمَّةً فقدتْ ... مثلكَ الا بمثلِ هارُونِ

ويكونُ الرثاءُ مجملًا كالمديح المجملِ ، فيقعُ موقعاً لطيفاً ، كقولِ ابنِ المعتز(٢٦) يرثي المُعْتَضِدَ : (٤٢ أ)

قَضوا ماقَضَوْا من أمْرِهِ ثم قَدَّموا ... اماماً امامَ الخير بينَ يدَيْهِ
وصَلَّوْا عليهِ خاشِعِينَ كأنهم ... صفوفٌ قيامٌ للسلامِ عَلَيْهِ

وقالَ(٢٧) في عُبيدِ اللهِ بنِ سُليمانَ بن وَهبٍ :

(٢١) من العمدة ٢ / ١٥٦ ويقتضيها السياق .
(٢٢) ديوانه ٩٧٤ وفيه ، تدور بصرفها . فلا الموت مغبون ولا أنت غابن .
(٢٣) ديوانه ٣ / ٢٠٣ وعجزه ، والجفن ثاكلُ هجعة ومنام . وقد كتب أحد القراء بخط مغاير سبعة أبيات من هذه القصيدة على حاشية ت .
(٢٤) في النسختين ، الشعر . وما أثبتناه من العمدة ٢ / ١٥٦ .
(٢٥) ديوانه ٧٦ ـ ٧٧ مع خلاف في رواية الأبيات .
(٢٦) ديوانه ٣ / ١١٤ مع خلاف في رواية الأبيات .
(٢٧) ديوانه ٣ / ٧٦ مع خلاف في رواية الأبيات .

قد استوى الناسُ وماتَ الكمالْ وصاحَ صَرْفُ الدَّهرِ أينَ الرجالْ
هذا أبو العباسِ في نَعْشِهِ قوموا انظروا كيفَ تسيرُ الجبالْ
ياناصِرَ المُلْكِ بآرائِهِ بعدك للملكِ ليالٍ طِوالْ

ومن أشدّ الرثاءِ صُعُوبةً على الشاعرِ أنْ يرثي امرأةً أو طفلاً لضيقِ الكلامِ عليه فيهما، وقِلة الصفاتِ. ألا ترى ماصَنعَ بأبي الطيِّبِ، وهو فَحْلٌ مجودٌ اذا ذُكِرَ المحدثون. حيثُ قالَ(٢٨) لأمّ سَيْفِ الدولةِ:

سَلامُ اللهِ خالِقِنا حَنُوطٌ على الوجْهِ المُكَفَّنِ بالجَمَالِ

عِيبَ عليه استعارة الكَفَنِ لجمالِ العجوزِ. وقيل: هذه استعارةُ حِدادٍ في عُرسٍ، مالهُ ولهذهِ العجوزِ يصفُ جمالَها. وأمّا استعارةُ الحنوطِ بسلامِ اللهِ فَحَسَنَةٌ. قالَ ابنُ عبّاد:(٢٩) ولقد مررتُ على مَرْثِيَّةٍ له في أم سيفِ الدولةِ تَدُلُّ، مع فَسادِ الحِسِ، على سوءِ أدبِ النفسِ. وماظَنُّكَ بمَنْ يُخاطِبُ ملكاً في أمِّهِ بقوله:(٣٠) (٤٣ ب)

رواقُ العِزِّ فَوْقَكِ مُسْبَطِرٌّ ومُلْكُ عليٍّ ابنِكِ في كَمالِ

ولعل لفظةَ الاسبطرار(٣١) في مراثي النساءِ من الخذلان(٣٢) الصفيقِ الرقيقِ.
قال ابن رشيق:(٣٣) وأنا أقولُ انَّ أشَدَّ ماهَجُنَ هذه اللفظةَ وجعلها مقامَ قصيدةِ هجاءٍ أنّهُ قَرَنَها بـ (فوقَكِ) فجاءَ عملاً تامّاً لم يَبْقَ فيه الاّ الافضاءُ. وعلى كلِّ حالٍ ففي هذه القصيدةِ مايمحو كُلَّ زَلّةٍ.
ومِن جَيِّدِ مارُثِيَ به النساءُ وأشْجاهُ قولُ (محمد بن)(٣٤) عبدالملك الزيات في أمّ وَلَدِهِ:

(٢٨) ديوانه ٣ / ١٢ وفيه: صلاة الله.
(٢٩) هو الصاحب بن عباد في كتابه الكشف عن مساوىء شعر المتنبي ٤٦.
(٣٠) ديوانه ٣ / ١٣ وفيه: حولك. ومسبطر: ممتد.
(٣١) في النسختين: الاستطراد. والصواب ماأثبتنا كما في الكشف ٤٦ ويتيمة الدهر ١ / ١٨٤.
(٣٢) من ت. وفي الأصل: الجذلان.
(٣٣) العمدة ٢ / ١٥٥.

ألا مَنْ رأى الطفلَ المُفارقَ أمَّهُ	بُعَيْدَ(٣٥) الكرى عَيْناهُ تَبْتَدِرانِ
رأى كلَّ أمٍّ وابنَها غَيْرَ أمِّهِ	يبيتانِ طولَ الليلِ يَنْتَجِيانِ
وباتَ وحيداً في الفراشِ تَحُثُّهُ	بلابلُ قلبٍ دائمِ الخَفَقانِ
ألا انَّ سَجْلاً واحداً قدْ أرَقْتُهُ	من الدمعِ أو سَجْلَيْنِ قد كَفَياني
فلا تَلْحَيَاني ان بكَيْتُ فانَّما	أداوي بهذا الدمعِ ماتَرَيانِ
وانَّ مكاناً في الثرى خُطَّ لَحْدُهُ	لِمَنْ كانَ في قلبي بكلِّ مَكانِ
أحَقُّ مكانٍ بالزيارةِ والهوى	فَهَلْ أنْتُما ان عُجْتُ مُنتظِرانِ
فَهَبْني عَزَمْتُ الصَّبْرَ عنها لأنَّني	جَليدٌ فَمَنْ بالصَّبْرِ لابنِ ثَمانِ
ضَعيفِ القُوَى لايحسبُ الأجْرَ حِسْبَةً	ولا يأتي بالناسِ في الحَدَثانِ
ألا مَنْ أُمَنِّيهِ المُنَى واعِدُهُ	لعَثْرَةِ أيامي وصَرْفِ زَماني
ألا مَنْ اذا ماجِئْتُ أكْرَمَ مجلسي	وانْ غِبْتُ عنه حاطَني ورعاني
فلم أرَ كالأقدارِ كيفَ تُصيبُني	ولا مِثْلَ هذا الدَّهْرِ كَيْفَ رماني

فهذهِ الطريقُ هي(٣٦) الغايةُ التي يجري(٣٧) حُذّاقُ الشعراءِ اليها، ويعتمدونَ في الرثاءِ عليها، الاّ أنْ تكونَ المرثيَّةُ من نساءِ الملوكِ، أو بناتِ الأشرافِ، وغيرِ محارمِ الشاعرِ، فانَّهُ يتجافَى عن هذهِ الطريقةِ الى أرْفَع منها، كقولِ أبي الطيبِ:(٣٨)

ولو أنَّ النساءَ كَمَنْ فَقَدْنا	لفُضِّلَتِ النساءُ على الرِّجالِ
مَشَى الأمراءُ حَوْلَيْها حُفاةً	كأنَّ المَرْوَ مِن زِفِّ الرِّئالِ

وقوله(٣٩) لأختِ سيفِ الدولةِ:

ياأخْتَ خَيْرِأخٍ يابِنتَ خَيْرِأبٍ	كِنايَةً بِهما عَنْ أشْرَفِ النَّسَبِ
أجِلُّ قَدْرَكِ أنْ تُسْمَيْ مُؤَبَّنَةً	ومَنْ يَصِفْكِ فَقَدْ سَمّاكِ للعَرَبِ

(٣٤) يقتضيها السياق. والأبيات في ديوانه ٦٧.

(٣٥) ت: بكبد.

(٣٦) ت: التي هي.

(٣٧) ت: تجري.

(٣٨) ديوانه ٣ / ١٧ ـ ١٨ وفيه: ولو كان. وفي ت: زيف. وهو تحريف. والزف: صغار الريش.

ورثاءُ الأطفالِ أنْ تُذكَرَ مخايلُهم ، وما كانت الفِراسةُ فيهم ، مع تَحزُّنٍ (٤٣ ب) لمصابِهم ، وتفجُّع بهم ، كالذي صَنَعَ أبو تمّامٍ في ابني عبدِالله بن طاهر .

ومِن عادَةِ القُدماءِ أنْ يضربوا الأمثالَ في المراثي بالملوك الأعِزَّة ، والأُمم السالفةِ ، والوعولِ المُمتنِعَةِ في قُلَلِ الجبالِ ، (و)(٤٠) بالاسودِ الخادرة ، وبالنسور والعِقبانِ والحيَّاتِ ، لبأسِها وطولِ أعمارها .

وأمّا المحدثون فهم الى غيرِ هذِهِ الطريقةِ أميَلُ ، ومذهبُهم في الرثاءِ أجملُ ، في وقتنا هذا وقَبْلَهُ ، ورُبَّما جَرَوْا على سَنَنِ مَنْ تقدَّمَ ، اقتداءً بهم ، كالذي صَنَعَ أبو نُواس(٤١) في رثائِهِ أبا البيداءِ وخلفاً الأحمرَ ، وابنُ المعتزِّ(٤٢) في أبيهِ ، وأوّلُها :

رُبَّ حَتْفٍ بينَ أثناءِ الأمَلْ ... وحَـياةُ المرء ظِـلٌّ مُـنْـتَـقِـلْ

وليسَ من عادةِ الشعراءِ أنْ يُقدِّموا نسيباً قبلَ الرثاءِ ، كما يفعلونَ في المدحِ والهجاءِ ، لأنَّ الآخِذَ فيه يجبُ أنْ يكونَ مشغولاً بما هو فيه من الحَسْرَةِ والاهتمام بالمصيبةِ .

فأمّا تَغزُّلُ دُرَيْدٍ في القصيدةِ التي رَثَى بها أخاهُ فنادِرٌ . وقيلَ : انَّهُ صَنَعَها بَعْدَ قَتْلِهِ بسنةٍ ، حينَ أخذَ بثأرِهِ وأدركَ طلبتَهُ .

قال ابن الكلبي(٤٣) ـ وكانَ علّامَةً ـ لاأعلمُ مَرْثِيَةً أوَّلُها نَسيبٌ الاّ قولَ دريدِ بنِ الصِّمّة : (٤٤)

أرَثَّ جديدُ الحَبْلِ من أمّ مَعْبَدِ ... بـعاقِـبَةٍ وأخْـلَـفَـتْ كُـلَّ مَوْعِدِ

(٤٤ أ) ورُبّما قالَ الشاعرُ في مقدمةِ الرثاءِ ، (كبرتُ عن كذا) و (تركتُ كذا) و (شُغِلْتُ عن كذا) ، وهو في ذلكَ يتغزَّلُ ويصفُ أحوالَ النساءِ ، وكانَ الكميتُ يركبُ هذه الطريقةَ .

(٣٩) ديوانه ١ / ٨٦ .

(٤٠) يقتضيها السياق .

(٤١) قصيدة أبي نواس في رثاء أبي البيداء الرياحي في ديوانه ٩٦٣ ، وقصيدته في رثاء خلف الأحمر في ديوانه ٩٥٧ .

(٤٢) ديوانه ٣ / ٨٠ وفيه ، ينتقل .

(٤٣) العمدة ٢ / ١٥١ .

(٤٤) ديوانه ٤٥ . ومن خلال استقرائنا للشعر العربي وجدنا اكثر من قصيدة رثاء بدأت بالنسيب غير قصيدة دريد بن الصمة .

فأمّا ابنُ مُقْبِلٍ(٤٥) فرثى عثمانَ ، رضي الله عنه ، بقصيدةٍ حَسَنةٍ ، أتى فيها على مافي النّفْسِ ، ثُمَّ عَطَفَ فقال :

فَدَعْ ذا ولكن عُلِّقَتْ حَبْلَ عاشِقٍ ... لاحدى شِعابِ الحَيْنِ والقتلُ أرْيَبُ
ولم تُنسِنِي قَتْلَى قُرَيشٍ ظعائناً ... تحمَّلْنَ حتى كادتِ الشمسُ تغرُبُ
يَطفْنَ بغِرِّيدٍ يُعَلِّلُ ذا الصِّبا ... اذا رامَ أُرْكوبَ الغوايةِ أركَبُ
مِن الهيفِ مَيْدانٌ ترى نَطفاتِها ... بمَهْلكةٍ أخراصُهنَّ تَذَبْذَبُ

والنسيبُ في أوَّلِ القَصيدةِ خَيْرٌ مِن هذِهِ الخاتمةِ الا أنْ تكونَ الروايةُ : ظعائنُ ، بالرفع .

بابُ الوَصْفِ(١)

اعْلَمْ أنَّ أكثَرَ الشعرِ راجعٌ الىٰ بابِ الوصفِ ، فلا سبيلَ الى حَصْرِهِ ، وهو مناسِبٌ للتشبيهِ ، مشتملٌ عليه ، وليسَ بِهِ ، وكثيراً مايأتي في أضْعافِهِ ، والفَرْقُ بينهما أنَّ هذا اخبارٌ عن حقيقة الشيء ، وذاكَ مجازٌ وتمثيلٌ .

وأصْلُهُ الكشفُ والاظهارُ ، يُقالُ : وَصَفَ الثوبُ الجسمَ ، اذا لم يَسْتُرْهُ ونَمَّ عليه ، قالَ أشْجَعُ السُّلميُّ :(٢) (٤٤ ب)

اذا وَصَفَتْ ما (فوقَ) مَجْرَى وشاحِها ... غَلائِلُها رَدَّتْ شهادَتَها الأُزْرُ

وأحْسَنُهُ مايكادُ يُمثِّلُ الموصوفَ عِياناً للسامع ، كقولِ الجعدي(٣) يصفُ ذئباً افترسَ جُؤذراً :

فباتَ يُذَكِّيهِ بغيرِ حديدةٍ ... أخو قَنَصٍ يُمسي ويُصبِحُ مُفْطِرا
اذا مارأى منه كراعاً تحرَّكَتْ ... أصابَ مكانَ القلبِ منهُ وفَرْفَرا

(٤٥) ديوانه ١٧ ـ ١٨ . وفيه : والقتل أرنب ، وظعائن ، بالرفع .

(١) العمدة ٢ / ٢٩٤ .

(٢) الأوراق ٩٩ . وما بين القوسين ساقط من النسختين . ونسب في العمدة ٢ / ٢٩٥ الى ابن الرومي .

(٣) شعره / ٠: . وفرفر : مزق .

فانظرْ كيفَ عَبَّرَ عن حقيقةِ الأحوالِ والهيئاتِ حتى كادَ يُصَوِّرُها للسامع .

والناسُ يتفاضلونَ في سائرِ الأنواعِ ، فمنهم مَنْ يُجيدُ وصفَ شيءٍ ولا يُجيدُ وصفَ آخر . ومنهم مَنْ يُجيدُ الأوصافَ ، وانْ غلبَتْ عليه الاجادةُ في بعضِها كامرىءِ القيسِ قديماً ، وأبي نُواسٍ وابنِ الروميِ والبحتري وابن المعتز وكشاجم حَدِيثاً .

والأوْلى بالشاعرِ وَصْفُ ما(٤) يليقُ بأهلِ زمانِه ، فالمُستَحَبُّ للمُحْدَثِ أنْ يصفَ الخمرَ والقيانَ وآلاتِهما ، وما يتعلقُ بهما ، كالكؤوسِ والأباريق والملاهي والرياض ونحوِها ، وذكرِ المحاسنِ كسوادِ العيونِ وفتورِ الجفونِ ونَعْتِ النهودِ والأعكانِ والقدودِ وامتلاءِ الأطرافِ وعظمِ الأردافِ ونضارةِ البَشرةِ ودقَّةِ(٥) الخصورِ وعذوبةِ الألفاظِ وظلمِ الثغورِ ونحو ذلكَ .

ولا حاجةَ الى ماتفرَّدَتْ به العربُ من التشبيهاتِ العُقمِ ووَصْفِ الابلِ والنيرانِ والفَلَواتِ (٤٥ أ) الموحشةِ والوحوشِ ونحوِ ذلكَ ، لرَغْبَةِ الناسِ عنه وعلمِهم أنَّ الشاعرَ يتكلَّفُهُ ليجري على سَنَنِ العَرَبِ ، على أنَّ فُحولَ المحدثين قد شاركوا العربَ في ذلكَ ، كما شاركوهم في صِفاتِ(٦) النجومِ ومواقِعِها والسحابِ وما فيها من البرقِ والرعدِ والغيثِ ، وما ينبتُ عنه ، وبكاءِ الحمامِ ، ونحو ذلكَ .

وقد صنع أبو نُواسٍ وابنُ المعتزِ ومَنْ شاكلهما في تلك الطريقةِ ماتُغني شُهرتُهُ عن ذِكْرِه(٧) ، كرائيةِ الحَسَنِ ، وجيميةِ ابن المعتز المردفةِ ، هذا في الغزل . وأمّا في المَدْحِ فَعلى حَسَبِ المذكورِ ، فانْ كان جيشاً ذُكِرَ بما يشتمل عليه من الخيلِ والسلاحِ كالسيوفِ والقِسيِّ والدروعِ والرماحِ ونحو ذلكَ .

فاذا أرَدْتَ وصفَ شيءٍ فالتمِسْهُ من مظانِّهِ ، فوصفُ الخيلِ من الكنديِّ وأبي دُوَاد(٨) وطُفَيْل والجعدي ، والابل من عُبَيْد بن حُصَيْن الراعي ، قِيل ، هو أوْصَفُ الناسِ لها ، ولذلك (سُمِّيَ الراعي)(٩) ، وأكْثَرُ القدماءِ أجادوا وَصْفَها ، وطَرَفَة في معلَّقتِهِ ، وأمّا القِسيّ وحمُرُ الوحشِ فالشمّاخُ أوصفُ الناسِ لهُما ، على رأيِ الحطيئةِ والفرزدقِ . وأمّا الخَمْرُ فمن أوْصافِ الأعشى والأخطلِ وأبي نُواسٍ وابنِ المعتزِّ . ولأبي نُواسٍ وابنِ المعتزِّ(١٠) الصيدُ والطَّرَدُ .

(٤) من ت . وفي الاصل ، مالا يليق .

(٥) ت ، رقة .

(٦) ت ، وصف .

(٧) من ت . وفي الاصل ، ذكر .

(٨) في النسختين ، داود . وهو تحريف .

(٩) من ت .

(١٠) (ولأبي نواس وابن المعتز) ساقط من ت .

ومن الأوصافِ القليلةِ المثلِ قولُ رؤبة (١) يَصِفُ الفيلَ :

أَجْرَدُ كالحِصْنِ طويلُ النَّابَيْنْ
مُشْتَشْرِفُ اللَّحْيِ صغيرُ الفَقْمَيْنْ
عليهِ أُذْنانِ كَفَضْلِ الثَّوْبَيْنْ

(٤٥ ب) وأنشد عبدُ الكريمِ لآخَرَ (٢) فيه :

مَنْ يركبِ الفيلَ فهذا الفيلُ
انَّ الذي يَحْمِلُهُ محمولُ
على تهاويلَ لها تَهْوِيلُ
كالـطَّوْدِ الاَّ أنَّـهُ يَـجُولُ
وأُذُنٌ كأنَّـها مِـنْديـلُ

وقالَ عبدُالكريم (٣) فجَمَعَ مافرَّقا وزادَ :

وأضْخَمَ هِـنْدِيَّ الـنِّـجارِ يُـعِدُّهُ ... ملوكُ بني ساسانَ انْ رابَها دَهْرُ
من الوُرْقِ لامِن ضربهِ الوُرق ترتعي ... أضاحِ ولا من وِرْدِهِ الخمسُ والعشرُ
يجيءُ كطَوْدٍ جائلٍ فوقَ أرْبعٍ ... مُضَبَّرَةٍ لُمَّتْ كما لُمَّتِ الصَّخْرُ
لهُ فَخِذانِ كالـكـثيـبَيْنِ لُبِّدا ... وصَدْرٌ كما أوْفَى من الهَضْبَةِ الصَّدْرُ
ووَجْهٌ به أنْفٌ كراووقِ خَمْرَةٍ ... يَنالُ به ماتدركُ الأنْمُلُ العَشْرُ
وأُذْنٌ كنصفِ البردِ تُسْمِعُهُ النِّدا ... خَفِيًا وطَرْفٌ ينفضُ الغيبَ مُزْوَرُّ
ونابانِ شُقَّا لايُريدُ سواهُما ... قناتَيْنِ سَمْراوَيْنِ طَعْنُهما نَثْرُ
له لونُ مابَيْنَ النهارِ ولَيْلِهِ ... اذا سَقْسَقَ العصفورُ(٤) أوغَلَّسَ الصَّقْرُ

---

(١) الحيوان ٧ / ٧٩ . وأخلّ بها ديوانه .

(٢) الحيوان ٧ / ١٧٣ بلا عزو .

(٣) العمدة ٢ / ٢٩٧ . وعبد الكريم النهشلي صاحب كتاب الممتع هو ابو محمد عبدالكريم بن ابراهيم المعروف بالنهشلي القيرواني المتوفى سنة ٤٠٥ بالقيروان أو المهدية والابيات في شعره الذي نشره المنجي الكعبي / ٧٢ ــ ٧٤ الدار العربية للكتاب ليبيا ــ تونس ١٩٧٨

(٤) ساقطة من ت .

وقالَ ابنُ رَشِيقٍ (١) يصفُ زَرافةً : (٤٦ أ)

ومجنونةٍ (٢) أبداً لم تكن مُذَلَّلةَ الظهرِ للرَّاكبِ
قد اتَّصلَ الجيدُ من ظَهْرِها بمثلِ السَّنامِ بلا غاربِ
مُلمَّعةٍ مثلَ مالمَّعتْ بحِنَّاءِ وَشْيٍ يدُ الكاعبِ
كأنَّ الجواري (٣) كَفَفْنَها لخالخَ مِنْ كلِّ ماجانبِ

وقالَ كشاجمُ (٤) من قصيدةٍ ذكرَ فيها طاووساً ماتَ له :

رُزِئْتُهُ روضةً تروقُ ولم أَسْمَعْ بروضٍ سَعَى على قَدَمِ
مُتَوَجاً خِلْقَةً حباهُ بها ذو الفِطرِ المُعْجِزاتِ والحِكَمِ
كأنَّهُ يَزْدَجِردُ مُنْتَصِباً يبني فيَعْلي مآثِرَ العَجَمِ

يُطْبِقُ أجفانَهُ ويَخْسِرُ عَنْ فَصَّيْنِ يَسْتَصْحِبانِ في الظُّلَمِ
أَذَلَّ بالحُسْنِ فاستذالَ له ذَيْلاً من الكبرِ غير مُحْتَشِمِ
ثُمَّ مشى مِشْيَةَ العروسِ فمِنْ مستطرفٍ معجبٍ ومُبْتَسِمِ

وقالَ (٥) يصفُ تَخْتَ حسابٍ :

وقَلَمٍ مِدادُهُ تُرابُ
في صُحُفٍ سُطورُها حِسابُ
يَعْثُرُ فيها المحوُ والاضرابُ
مِنْ غيرِ أنْ يُسَوِّدَ الكِتابُ
حتى يبينَ الحقُّ والصوابُ
وليسَ اعجامٌ ولا اعرابُ
فيه ولا شكٌّ ولا ارْتيابُ

---

(١) ديوانه ٣٠ . وفيه : كنفنها تخلج .
(٢) من ت . وفي الأصل : مجنوبةً
(٣) ت : الجوار .
(٤) ديوانه ٤٥٢ وفيه : يسعى على قدم ، روضة ترفّ . يثني فيعلي .
(٥) ديوانه ٤١ . وفيه : يكثر فيها .

(٤٦ ب) بابُ الاختراع (١)

المخترعُ من الشعرِ ماسبقَ اليه الشاعرُ ولم يُسْبَق الى نظيرِه . واشتقاقُ الاختراعِ (٢) مِن التليين . يُقالُ : نَبْتٌ خرعٌ . اذا كانَ ليِّناً . والخِرْوَعُ : فِعْوَل منه . فكأنَّ الشاعرَ سَهَّلِ طريقةَ هذا المعنى وليَّنَهُ حتى أخرجه من العَدَمِ الى الوجودِ . وامَّا من قولِهم : خَرَعْتُ الثوبَ . اذا شَقَقْتَهُ . فهو خَرِيعٌ . فكأنَّ الشاعرَ شَقَّ عن هذا المعنى حتى أبْرَزَهُ . ومنه قولُ امرىء القَيْسِ (٣) :

سَمَوْتُ اليها بَعْدَما نامَ أَهْلُها ... سُمُوَّ حَبابِ الماءِ حالاً على حالِ

وقولِهِ (٤) :

أَلَمْ تَرياني كُلَّما جِئْتُ طارِقاً ... وجدتُ بِها طِيباً وانْ لم تَطَيَّبِ

وله اختراعاتٌ كثيرةٌ وسَنُنَبِّهُ على مايَرِدُ منها .
وكقولِ طَرَفَة (٥) يصفُ السفينةَ :

يشقُّ حَبابَ الماءِ حَيْزُومُها بِها ... كما قَسَمَ التِرْبَ الْمُفايِلُ باليَدِ

وللمُحْدَثِينَ مَعَانٍ كثيرةٌ مُخْتَرَعَةٌ أكثر من معاني القدماءِ في الألفاظِ . لأنَّ المعاني اتَّسَعَتْ باتساعِ الناسِ في الدنيا وانتشارِ العربِ بالاسلامِ في أقطارِ الأرضِ . فمصَّروا الأمصارَ . وحضَّروا الحواضِرَ . وتَفَنَّنُوا في المطاعمِ والملابسِ . وعرفوا بالعِيانِ عاقِبَةَ مادَلَّتْهمْ (٤٧ أ) عليهِ بداءةُ (٦) العقولِ من فضلِ التشبيهِ وغيرِهِ . وكلُّ يصفُ الشيءَ بمقدارِ مافي نفسِهِ من ضَعْفٍ أو قُوَّةٍ . فمِنْ ذلكَ قولُ ابنِ المعتزِّ (٧) يصفُ الهلالَ :

فانظرْ اليهِ كزَوْرَقٍ من فضَّةٍ ... قَدْ أَثْقَلَتْهُ حمولةٌ من عَنْبَرِ

---

(١) العمدة ٢ / ٢٣٦ .
(٢) ينظر : اللسان والتاج (خرع) .
(٣) ديوانه ٣١ .
(٤) ديوانه ٤١ .
(٥) ديوانه ٨ . والحيزوم : الصدر . والمفايل : الذي يلعب الفِيال . وهي لعبة صبيان الاعراب .
(٦) في العمدة : بداهة .
(٧) ديوانه ٢ / ٥٩١ .

وقولُهُ (١) :

كأنَّ آذَريونَـــــــها والشمسُ فيه كالِيَهْ
مداهِـــنٌ مِـــنْ ذَهَـــبٍ فيـــها بقايا غالِـيَـهْ

وقولُ ابن الرومي (٢) يصِفُ قوسَ الغَمامِ ، وقد أحْسَنَ ماشاءَ :

وقد نَشَرَتْ أيْدِي السحابِ مَطارِفاً على الجُوِّ دُكْناً وَهْيَ خُضْرٌ على الأرْضِ
يُـــطرِّزُها قوسُ الـــغَـــمامِ بأصْــفَرٍ على أحْمَرٍ في أخْضَرٍ وَسْطَ مُبْيَضِ
كأذيالِ خَوْدٍ أقْبَلَتْ في غَلائلٍ مُصَبَّغَةٍ والبَعْضُ أقْصَرُ من بَعْضِ

وقولُهُ (٣) في وَصْفِ الرُّقاقَةِ :

ماأنْسَ لاأنْسَ خَبّازاً مررتُ بِهِ يدحو الرُّقاقَةَ وَشْكَ اللمحِ بالبَصَرِ
مابينَ رؤيتِها في كَفِّهِ كُرَةً وبينَ رؤيـــتِـــها زَهراءَ كالـــقَـــمَرِ
الاّ بـــمـــقدارِ ماتـــنداحُ دائرةٌ في صفحةِ الماءِ يُرْمَى فيهِ بالحَجَرِ

وفي شعرِهِ مِنْ مليحِ التشبيهِ مادُونَهُ النهاياتُ التي لاتُبْلَغُ ، وانْ لم يكُنْ غالباً عليه كابنِ المعتزِّ .

(٤٧ ب) وكانَ ضنيناً بالمعاني ، حَريصاً عليها ، اذا ابتدعَ معنىً فلا يزالُ يُوَلِّدُهُ ويُقَلِّبُهُ ظَهْراً لبَطْنٍ ، ويُصَرِّفُهُ في كلِّ وجهٍ والى كلِّ ناحيةٍ حتى يُميتَهُ ويعلمَ أنّهُ لامَطْمَعَ لأحدٍ فيه .

ورُبَّما أخَذَ مَنْ لايَشُقُّ غُبارَهُ بعضَ معانِيهِ فوَلَّدَ فيه زيادةً لايشكُّ البصيرُ بالصناعةِ أنّهُ مع شَوَهِهِ لم يتركْها عن قُدْرَةٍ ، وذلكَ لأنَّ المتأخِّرَ الحاذِقَ يقفُ على شعرِ مَنْ تَقَدَّمَهُ ويتفهَّمُ معانِيهِ ويجتهدُ في الزيادةِ على المعنى الذي يُحاوِلُهُ ، ولذلكَ تجدُ في شِعْرِ أهْلِ كلِّ عَصْرٍ زيادةً على معاني مَنْ تقدَّمَهُم ، ألاَ ترى مافي أشعارِ طبقةِ

---

(١) ديوانه ١ / ٢٧٣ ـ ٢٧٥ .
(٢) ديوانه ١٤١٩ .
(٣) ديوانه ١١١٠ .

جَرير والفرزدق وأصحابهما من التَّوليداتِ والابداعاتِ التي لا يقعُ مثلُها للقدماءِ الاَّ في النَّدْرَة . ثُمَّ أتى بَشّارٌ وأصحابُهُ فزادوا معانيَ مامَرَّتْ بخاطِرِ جاهليٍّ ولا اسلاميٍّ . فالمعاني أبَداً تَرَدَّدُ وتَوَلَّدُ . والكلامُ يفتحُ بعضُهُ بعضاً .

قالَ يزيدُ بنُ الطَّثْرِيَّةِ (١) حينَ حَلقَ أخوهُ (٢) ثَوْرٌ جُمَّتَهُ :

فأصبح رأسي كالصُّخَيْرَةِ أشْرَفَتْ ... عليها عُقابٌ ثُمَّ طارَتْ عُقابُها

وهذا البيتُ من أفْضَلِ الأوصاف وأحْسَنها بياناً عند قُدامَةَ (٣) وغَيْرِه

وقالَ مُتأخِّرٌ في غلامٍ حُلِقَتْ وَفْرَتُهُ (٤) :

حلقوا رأسَهُ ليكسوهُ قُبْحاً ... غِيرةً منهم عليه وشُحّا
كانَ صُبْحاً عليهِ لَيْلٌ بَهيمٌ ... فَمَحَوْا ليلَهُ وأبْقَوْهُ صُبْحا (٥) .

وقال رؤبَةُ (٦) :

أمْسَتْ شَواتي كالصَّفاةِ صَفْصَفَا
وصارَ رأسي جَبْهَةً (٧) الى القَفَا

(٤٨ أ) وقالَ ابنُ الرومي (٨)

، وأحْسَنَ ماشاءَ :

يَجذبُ مِن نُقْرَتِهِ طُرَّةً ... الى مَدىً يَقْصُرُ عَنْ نَيْلِهِ
فَوَجْهُهُ يأخذُ مِنْ رأسِهِ ... أخْذَ نهارِ الصَّيْفِ مِن لَيْلِهِ

(١) شعره / ٢٦ ، ورحت برأس . وفي ت ، يزيد بن الطرمة ، تحريف

(٢) ساقطة من ت .

(٣) نقد الشعر ١٢٨ .

(٤) ت ، وقال متأخر في غلام حلقوا رأسه ليكسوه قبحاً .

(٥) البيتان في العمدة ٢ / ٢٤٢ ونسبا فيها الى الزيادي .

(٦) ديوانه ١٧٩ وفيه ، قد ترك الدهر صفاتي صفصفا .

(٧) ت ، جبهته .

(٨) ديوانه ١٩٣١ ــ ١٩٣٢ . وفي النسختين ، تجذب .

فانْ قِيلَ ، فما بالُ المعاني قد قَلَّتْ في أيْدِي المتأخرين من المُحْدَثين وضاقَ عليهم المُضْطَرَبُ ؟

فالجواب ، انّ المعانيَ ماقَلَّتْ لأنّ مَنْبَعَها العقولُ ، الاّ أنّها (لا)(١) تبرزُ الاّ بتَحْصِيلِ ماتقدّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الآلاتِ ، وتَتْبَعُ ماندبَ اليه من الآلاتِ(٢). فلمّا ضَعُفَتِ الآلاتُ وقَلَّتِ العلومُ قَلَّتِ المعاني .

(ومما)(٣) انفردَ به المحدثون قولُ بَشّارٍ(٤):

يا قوم أُذْني لبعضِ الحيِّ عاشِقةٌ ... والأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أحياناً
قالوا بمَنْ لاترى تهذي فقلتُ لهم ... الأُذْنُ كالعَيْنِ تُوفي القَلْبَ ماكانا

وكَرَّرَ هذا المعنى فقال(٥):

قالَتْ عُقَيْلُ بنُ كَعْبٍ اذْ تَعَلَّقَها ... قلبي وأمْسَى به مِن حُبِّها أثَرُ
أنّى ولم ترها تهذي فَقُلْتُ لَهُم ... انَّ الفؤادَ يَرَى مالا يَرَى البَصَرُ

وقولُهُ(٦):

وكيفَ تناسي مَنْ كأنَّ حديثَهُ ... بأذني ـ وانْ غُيِّبْتُ ـ قُرْطٌ مُعَلّقُ

(٤٨ ب) وقولُ أبي نُواسٍ(٧):

أيُّها الرائحانِ باللوم لُوما ... ماأذوقُ المُدامَ الاّ شَمِيما
نالني بالمَلامِ فيها امامٌ ... لاأرى لي خلافَهُ مُسْتَقيماً
فاصرفاها الى سِوايَ فانّي ... لَسْتُ الاّ على الحديثِ نَدِيما

---

(١) يقتضيها السياق .
(٢) كذا في الاصل . ولعلها العلوم . و (وتتبع ماندب اليه من الآلات) ساقط من ت .
(٣) يقتضيها السياق .
(٤) ديوانه ٤ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧ . وفيه ، تؤتي .
(٥) ديوانه ٣ / ١٥٩ . وفيه ، وأمسى به . ولم ترها تصبو .
(٦) ديوانه ٤ / ١٢٠ .
(٧) ديوانه ٢٩ (طبعة الغزالي) . لير

كُبْرُ حَظِّي منها اذا هي دارَتْ أَنْ أَراها وأَنْ أَشَمَّ نَسيما
فـكأَنِّـي وما أُزَيِّـنُ مـنـهـا قَـعَدِيٌّ يُزَيِّـنُ الـتـحـكـيـمـا
كَلَّ عن حَمْلِهِ السلاحَ الى الحر بِ فأَوْصَى المُطيقَ أَنْ لا يقيما

ذكر المبَرّدُ (١) أَنَّهُ لم يُسْبَقْ الى هذا المعنى .
والقَعَدُ ، فرقة من الخوارج تَرى الخروج وتأمرُ به . وتقعدُ عنه .
وقولُهُ في وصف الخَمَّاراتِ . ويُروى لابن المعتزّ (٢) :

وتحتَ زَنانيرِ شَدَدْنَ عُقُودَها زَنانيرُ أَعْكانٍ معاقِدُها السُّرَرْ

وأبو تَمَّامٍ كثيرُ الاختراعِ والتوليدِ عند جمهورٍ من عُلماءِ الشعر . خِلافاً للقاسم بن مَهْرَويه . (٣) لأنه زَعَمَ أَنَّهُ لم يَقُلْ الاّ ثلاثةَ معانٍ . أحدُها قَوْلَهُ : (٤)

واذا أرادَ اللهُ نَشْرَ فَضيلَةٍ طُوِيَتْ أَتاحَ لها لسانَ حَسودِ
لولا اشتعالُ النارِ فيما جاوَرَتْ ماكانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرْفِ العودِ

والثاني قولُهُ : (٥)

بني مالكٍ قد نَبَّهَتْ خامِلَ الثَّرى قُبُورٌ لكُمْ مُستشرفاتُ المعالِمِ
غوامضُ قيد الكَفِّ مِن مُتَناوِلٍ وفيها عُلًا لا يُرْتَقَى بالسَّلالِمِ

(٤٩ أ) والثالثُ قولهُ : (٦)

يأبى على التصريدِ الاّ نائلاً انْ لم يَكُنْ ماءً قَراحاً يُمْذَقِ
نَزراً كما استكرهْتَ عائِر نَفْحَةٍ من فارَةِ المِسْكِ التي لم تُفْتَقِ

---

(١) الكامل ٨٦٦ ـ ٨٦٧ .
(٢) ديوانه ٢ / ١٠٦ وفيه : سرر .
(٣) تنظر : الموازنة ١ / ١٣٧ .
(٤) ديوانه ١ / ٣٩٧ .
(٥) ديوانه ٤ / ١٣٤ . وفيه : رواكد قيس الكف .
(٦) ديوانه ٢ / ٤٠٧ . وفيه : تأبى .

وابن الرومي(١) أكثرُ المولدين اختراعاً . ومن ذلكَ قولهُ :

عيني لعينكَ حِينَ تنظرُ مَقْتَلُ ... لكنَّ لحظكَ سَهْمُ حَتْفٍ مُرْسَلُ
ومن العجائب أنَّ معنًى واحداً ... هو منك سَهْمٌ وهو مني مَقْتَلُ

وقولُهُ(٢) في عتاب :

تَوَدَّدْتُ حتى لم أجِدْ متودّداً ... وافنيتُ أقلامي عِتاباً مُرَدَّدا
كأنّي أسْتَدعي بكَ ابن حَنِيَّةٍ ... اذا النَّزْعُ أدْناهُ من الصدرِ أبْعَدا

وقولُهُ(٣) :

نَظَرَتْ فأقْصَدَتِ الفؤادَ بطَرْفِها ... ثُمَّ انثنَتْ عنهُ فكادَ يَهِيمُ
فالموتُ انْ نَظَرَتْ وانْ هي أعْرَضَتْ ... وَقْعُ السِّهامِ ونَزْعُهُنَّ أليمُ

وقولُهُ(٤) . ولا يَكادُ يُسْمَعُ أحسن منه : (٤٩ ب)

وما تَــعْــتَريــهــا آفَةٌ بَــشَرِيَّةٌ ... من النومِ الاّ أنَّها تَتَحَيَّرُ
وغَيْرُ عجيبٍ طِيبُ أنْفاسِ رَوْضَةٍ ... مُنَوَّرَةٍ باتَتْ تُراحُ وتُمْطَرُ
كذلكَ أنْفاسُ الرياضِ بسُحْرَةٍ ... تطيبُ وأنْفاسُ الوَرَى تَتَغَيَّرُ

بابُ الاشتراك*

وهو انواعٌ منهُ مايكونُ في اللَّفْظِ ، ومنهُ مايكونُ في المعنى . فالذّي في اللفظ ثلاثةٌ أحدُها ، أن تكونَ اللفظتانِ راجِعتَيْنِ الى حَدٍّ . وهذا حَسَنٌ ، وهو التجنيسُ المستوفى . والثاني(٥) ، ان تكون اللفظة تحتملُ تأويلَيْن أحدُهما يلائمُ المعنى الذي أثبتَتْ(٦) فيه والآخَرُ لايُلائمُه . ولا دليل فيه على المُرادِ كقول الفرزدق :

---

(١) ديوانه ١٩٤٥ .
(٢) ديوانه ٧٧٠ .
(٣) العمدة ٢ / ٢٤٥ . اشير الى العمدة لعدم ظفرنا بالجزء السادس من ديوان ابن الرومي بطبعته التي حققها الدكتور حسين نصار
*
(٤) ديوانه ٩٠٧ .
(٥) ت : الثاني .
(٦) ت : اثبت

وما مِثْلُه في الناس الاّ مملكاً　　أبوُ أمِّه حَيٌّ أبوه يُقارِبُهْ(١)

فقولُه حَيٌّ يحتَمِلُ(٢) القبيلة ، ويحتمل(٣) الواحد . وهذا قبيحٌ ، والمليحُ تحفُّظ كُثَيِّرٍ في قوله(٤):

لعمري لقدْ حَبَّبْتِ كُل قصيرَة　　اليَّ وان لم تَدْرِ ذاك القصائرُ
عَنَيْتُ قَصِيراتِ الجمالِ ولم أرِدْ　　قِصارَ الخُطا شَرُّ النساءِ البحاترُ

فلمّا أحَسَّ(٥) بالاشتراك نفاهُ ، وأعربَ عن المَعْنى الذّي نَحاهُ .
ومن المذمومِ قولُ كشاجم يصف الميدان (٥٠ أ) : ٦

عَــمَرْتُــهُ بــفــتــيةٍ صــباحٍ　　سُمْحٍ بأعراضهم(٧) شحاحٍ(٨)

وان عُلم(٩) انه أراد سُمح شحاح بأعراضهم ، ولكن فيه من اللبس ماهو أولى به من التأويل . والثالث : ليسَ من هذين في شيء وهو جميعُ الالفاظِ المُبْتَذلةِ لا يُسَمّى تناوُلها سَرِقَةً ، ولا تداوُلها اتّباعاً لانّها مشتركةٌ لأحَدَ أوْلى بها من الآخرِ . الاّ أنْ تدخُلها اسْتِعارةٌ أو تصحَبها قرينةٌ تُحدثُ فيها مَعْنىً ، أو(١٠) تفيدُ فائدةً ، فهناك

(١) البيت مما أخل به ديوان الفرزدق ، وكتب البلاغة تُجمع على انه له انظر تحرير التحبير ص ٣٢٩ و ص ٤١٩ والعمدة ٢ / ٩٦ . والمشهور انه من قصيدة قالها في مدح هشام بن عبد الملك . وفي ديوانه ١ / ٨٧ ـ ٨٩ قصيدة على هذا الروي والقافية يمدح بها هشاماً . والبيت ليس بها . ولعله مما اسقطه الرواة في وقت مبكر . رواية البيت في تحرير التحبير : الا مُمَلَّكٌ .
(٢) ت : تحتمل .
(٣) ت : تحتمل .
(٤) البيتان لكثير عزة في ديوانه ص ٣٦٩ ورواية الاول : وانت التي حببت ... وما يدري بذاك .
(٥) ت : احسن
(٦) انظر باب الاشتراك في المصادر التالية : العمدة ٢ / ٩٦ وتحرير التحبير ٣٢٩ وخزانة ابن حجة ٣٦٥ ونهاية الارب ٧ / ١٧٨ وانوار الربيع ٥ / ٣٢٠ وحسن التوسل ٣١٦ .

(٧) ت : باعراض
البيت في ديوان كشاجم ص ١٢٣ ورواية الديوان : بيض باعراضهم
٩ ت : وان اراد
١٠ ت : وتفيد .

يسقُط اسم الاشتراك الذّي يقومُ به العُذْرُ . ولو غيّر اللفظة وأتى بما يقومُ مقامها . كقول ابن أحمر :

بمُقَلّص دَرْكِ الطَّرِيدَةِ مَتْنُهُ كصَفا الخَليقة بالفَضاءِ المُلْبِدِ(١)

فقولُه « دَركِ الطريدة » وقولُ الاسود بن يَعْفُر :

بِمُقَلِّص عَتِدٍ جَهيزٍ شدُّهُ قَيْدِ الأَوابِدِ والرِّهانِ جَوادِ(٢)

كقول امرىء القيس : قَيْدِ الأوابدِ هَيْكَلِ(٣)

فاما (ما)(٤) ناسب قولَ الأبَيرد(٥) يرثي أخاهُ :

وقد كنتُ أستَعْفي الاآله اذا اشتكى من الأجرِ لي فيه وانْ عظُمَ الأجرُ(٦)

وقول ابي نُواس يصفُ الخَمر : (٥٠ ب)

تَرى العَيْنَ تَسْتَعْفِيكَ من لَمعانِها وتَحْسِرُ حتى ماتُقِلُّ جُفونَها(٧)

فمن المشتركِ الذي لايعُدُّ سرقةً . وقد نصَّ عليه الجُرجاني انه مِنَ المنقولِ المُبتَذلِ(٨). وامّا الاشتراكُ في المعاني فنوعان : أحدهما أن يشترِكَ المَعْنيانِ وتَخْتلفَ العبارَةُ عنهما . وهذا النوع يُستَجادُ ويُستحسن كقول امريء القيس :

---

(١) البيت في ديوان الاسود بن يعفر ص ٣١ وروايته : بمُشَمَّر عَتِدٍ . ووقع في الاصلين المخطوطين وهم في كلمة

(٢) الروي وثبت (جميعاً) . فصوبناه من الديوان ومن شرح المفضليات ص ٤٥٦ .

(٣) قسيم بيت في ديوان امرىء القيس ص ١٩ .

(٤) ما بين عضادتين ساقط من أ .

(٥) الأبيرد اليربوعي : شاعر محسن مقل اسلامي له ترجمة في المؤتلف ص ٢٦ و اللآلئ ٤٩٤ .

(٦) البيت للابيرد في العمدة ٢ / ٩٨ وتحرير التحبير ٢٤٠ ونهاية الارب ٧ / ١٧٨

(٧) البيت لابي نواس في ديوانه ـ تحقيق الغزالي ـ ص ٢٠

٨ قول القاضي الجرجاني هذا انظره في العمدة ٢ / ٩٨

كَبِكْرِ المُقاناة البَياضَ بِصُفْرَةٍ غذاها نَميرُ الماءِ غيرَ مُحَلَّلِ(١)

وقولُ غيلان :

كحلاءُ في بَرَجٍ صَفْراءُ في نَعَجٍ كأنّها فِضّةٌ قَدْ مَسّها ذَهَبُ(٢)

فَوَصَفا(٣) لوناً بعينهِ الا انَّ العبارَةَ مُخْتلِفَةٌ فَشَبَّهَ هذا بلونِ بَيْضَةِ النَعامِ ، وهذا بلون فضّةٍ قد خالطَها يسيرٌ من الذهبِ .

وقال عنترةُ :

صَعْلٍ يعودُ بذي العُشَيْرة بَيْضَهُ كالعبدِ ذي الفروِ الطّويلِ الاسحَمِ(٤)

شَبَّهَهُ بعَبْدٍ رومي عليه فَرْوٌ أصلم ، أي قصير الذُيول لبياضِ ساقَيْهِ وعُنُقِهِ ، واشرابهما الحُمرة ، وكانَ أكثر العبيد في ذلك الوقت بيضاً وكانوا(٥) يلبسون الفَرو مقلوباً فلذلك خَصَّهُ .

وقال عَبَدةُ يصف ثورَ الوحش :

مُجتابِ نِصْعٍ جَديدٍ فوقَ نُقْبَتِهِ وفي القوائم من خالٍ سَراويلُ(٦)

(٥١ أ) النَّصعُ : الثوبُ الابيضُ . والخالُ : بُرودٌ مَوْشيَّةٌ .

وقال الطرِّماحُ يصفُ ظليماً :

مُجتابُ شَمْلَةِ بُرْجُدٍ لسَراتِهِ قَدْراً ، وأسْلَمَ ماسِواهُ البُرْجُدُ(٧)

---

(١) البيت من معلقة امرىء القيس في ديوانه ص ١٦ وروايته : كبكر مقاناة ... غير المحلل .

(٢) البيت لذي الرمة في ديوانه ص ٥ . البرج : سعة في بياض العين . والنعج : البياض الخالص

(٣) ت : فوصف .

(٤) البيت لعنترة في ديوانه ص ٢٠١ وروايته : الطويل الاصلم .

(٥) في أ : وكان والتصويب عن ت .

(٦) البيت لعبدة بن الطبيب في ديوانه ص ٦٥ وروايته : وللقوائم .

(٧) البيت للطرماح في ديوانه ص ١٤١ وروايته : ماسواها / البرجد : كساء من صوف احمر . وقيل : كساء مخطط ضخم . وسراته : ظهره . وبعد هذا البيت قوله :

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغمدُ

وكان ابو عبيدة والاصمعي يفضلان الطرماح بهذين البيتين ويزعمان أنه اشعر الناس بهما .

وَصف عَبَدَةُ بياضَ ظَهْرِه وسوادَ قوائمِهِ وتَخْطِيطِها حتى كأنَّ على ظَهرِه نِضْعاً، وفي قوائمه سراويلَ من الخالِ. وجَعَلَ الطرِمّاح الشَمْلَةَ قدراً لِسَراتِهِ دونَ رِجْليه وعُنُقِهِ على بياضِهِنَّ. فهذا اشتراكٌ في نعت الرأس والقوائم واختلافٌ في العبارة.

والآخرُ على ضَرْبين. أحدهما: يوجَدُ في الطِّباع من تشبيهِ الجاهل بالثَوْرِ والحمارِ، والحَسنِ بالشمس والقمر، والشُجاعُ بالأسَدِ، والسخيُّ بالغيث والبحر، والعزيمة بالسيف، ونحو ذلك. لانَ الناسَ كلّهمُ الفصيحَ والاعجمَ والناطِقَ والأبكمَ فيه سواءٌ.

والثاني: كان مُخترعاً ثم كَثُرَ حتى استوى فيه الناسُ وتوطأ عليه الشعراءُ أخراً عن أوَلٍ كتشبيهِ الخدّ بالوردِ، والقَدّ بالغُصْنِ، والعين بعين المهاةِ، والعُنُق بعُنق الظبي وابريق الذَّهَب والفضّةِ فالناسُ في هذا وما ناسبَهُ سواء الاّ أن يولد أحدُهُم فيه زيادةٍ ويَخُصُّهُ بقرينةٍ، فيستوجبُ بها الانفرادَ من بينهم كتشبيه العزمِ بهبوب الريح والذكاء بشُواظ النار ونحو ذلك (٥١ ب)

بابُ المُواردة *

وهي أن يتّفق المتعاصرانِ في جميع الفاظ البيتِ غير(١) القافيةِ. ورُبّما اتّفقا فيها. وقد يَقَعُ لغير المتعاصرين على رأي من ادّعاها في بيت طرفة وهو(٢)،

وقوفاً بها صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُمْ يقولونَ لاتَهْلِكْ أَسىً وتَجَلَّدِ(٣)

فخالفَ امرىءَ القيس في القافية لانّها « وتجمَّلِ »، وهذا بعيدٌ لايكادُ يَصُحّ، لانَ طرفَةَ كان في زمن عمرو بن هند شاباً وكان امرؤُ القيس في زمان المنذرِ الأكبر كهلًا. واسمُهُ وشِعْرُهُ يُضاهي الشمسَ اشتهاراً فكيف يخفى على طرفَةَ هذا فيعُدُّ(٤) مُواردةً. وقيلَ: انَّ البيت لم يُثْبَت لِطَرَفة حتى استُحلفَ انه لم يسمعه فحلف. فان صحَّ هذا كان مُوارَدَةً. وسُئل ابو عمرو، أرأيتَ الشاعرين يتّفقانِ في المعنى،

* انظر هذا الباب في حلية المحاضرة ٢ / ٤٥ وخزانة ابن حجة ٤١٢ والطراز ٣ / ١٦٩

(١) ت، على غير.

(٢) ت، سقطت كلمة (وهو).

(٣) البيت لطرفة في ديوانه ص ٥

(٤) ت، فيبعد.

ويتواردانِ في اللفظ ، ولم يلقَ أحدهُما صاحبَهُ ، ولا سَمِعَ شِعْرَه ؟ فقال : تلك عقولُ رجالٍ توافَتْ على ألسنتها(١).

باب السّرقات*

وهو بابٌ مُتّسعٌ جدّاً لا يقدرُ احدٌ من الشعراء يدّعي السلامةَ منهُ غالباً وفيه اشياءُ غامضةٌ الّا على الحاذقِ بالصّناعةِ ، وأُخَرُ واضحةٌ لاتخفى الّا على جاهلٍ مُغفَّلٍ(٢). ولستَ تَعُدُّ (٥٢ أ) من نُقّادِ الشعرِ حتى تُميِّز بين أصنافِهِ وأقسامِه ، وتُحيطَ علماً بِرُتَبِهِ ومَنازِله ، وتُفرّق بين مُتَشابِهِهِ وبينَ المُشترك الذي لايجوز ادّعاء السّرق فيه ، والمُبْتَذَلِ الذي لاأحَد أولى به من الآخرِ ، والمختصّ الذي قد حازَهُ المبتدِيءُ فملكهُ .

اعلم انّ السّرق انما هو في البديع المخترع الذي يختصُّ به الشاعرُ ، لافي المعاني المشتركةِ الجارية في عاداتِهم ، المستعملةِ في أمثالِهم ومُحاوراتِهم ، من ما(٣) ترتفعُ الظِنّةُ عن الذي يُورِدُهُ أن يُقال انّهُ أخذَهُ من غيره . واتّكالُ الشاعر على السّرقِ بَلادةٌ وعجزٌ ، وتَركُهُ كل معنىً سبق اليه جَهْلٌ ، والمختارُ لهُ أوسطُ الحالاتِ ، وهو أخذ بعضِ اللفظ أو بعض المعنى ، وقيل أَخْذُهُ دونَ لفظِهِ(٤) . وقالَ بعضُ حُذّاقِ المتأخّرين : من أخَذَ معنىً بلَفْظِه كان سارقاً ، فانْ غيرُ بعضَ اللفظ كان سالخاً فانْ غيرُ بعضَ المعنى ليخفيه وقَلَبَهُ عن وجهه كان ذلك دليلاً على حذْقِهِ .

وقد أتى الحاتميُّ في « حلية المحاضرة » بألقابٍ مُحْدَثةٍ(٥) ليس لها ذاك المحصول اذا حُقّقَت ، وكُلّها متقاربةٌ قد استُعمِل بَعْضُها مكانَ بعضٍ ، الّا انّها حسنةٌ ، فلا بأس بمعرفتها ، بل تجبُ جَرْياً على سَنَنِ عُلماءِ الصّناعَةِ ، وستُذكر على وَفْقِ مااصطلحوا عليه ان شاء الله .

---

(١) رأي ابي عمرو بن العلاء هذا انظره في حلية المحاضرة ٢/ ٤٥

* للتوسع في هذا الباب انظر المثل السائر ٣ / ٢١٨ – ٢٩٢ تحت عنوان « في السرقات الشعرية » . ولضياء الدين ابن الاثير كتاب مفقود في هذا الموضوع أشار اليه في الجزء الثالث من المثل السائر ص ٢٢٢ . وانظر ايضاً باب السرقات وما شاكلها في كتاب العمدة ٢ / ٢٨٠ – ٢٩٤ فقد نقل عنه ابن الاثير في فصله هذا . وانظر ايضاً معاهد التنصيص ٤ / ٤ والطراز ٣ / ١٨٨ .

(٢) كلمة مغفل سقطت من ت .

(٣) كلمة (ما) سقطت من ت .

(٤) في ت قبل هذه العبارة (وقيل أخذ المعنى بلفظه) وقد سقطت من أ .

(٥) انظر الفصل الخامس من حلية المحاضرة .

فمنها ، « النَظرُ والملاحظَةُ »(١)، وَهْوَ أن يتساوى المعنيان ويخفى اللفظُ .
قال مهلهلٌ ، (٥٢ ب)

أَنْبَضُوا مَعْجِسِ القسيِّ واقدمنا كما تُوعد الفحولُ الفحولا(٢)

ينظر (٣)اليه زهيرٌ بقوله ،

يَطْعَنُهم مارتَمَوا حتى اذا اطَّعَنُوا ضارَبَ حتى اذا ماضارَبُوا اعتنَقا(٤)

ومنها ، « الالمامُ » ، وهو نوعٌ من النظر معناهُ أن يتضادَّ المعنيانِ ، ويَدُلُّ أحدهُما على الآخر . قال ابو الشيص ،

أجِدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً حُبًا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْني اللُوَّمُ(٥)

ألمَّ به ابو الطيّب فقال ،

أأحِبُّهُ وأحِبُّ فيه ملامةً انَّ الملامةَ فيهِ منْ أعْدائِهِ(٦)

وهذا عندَ الجرجاني « النَظَرُ والمُلاحظة » قال ، وأصلُهُ من قول ابي نَواس ،

اذا غادَيْتَني بِصَبُوحِ عذْلٍ فَمَمْزُوجاً بِتَسْميةِ الحبيبِ(٧)

وقال عليُّ بن العباس (النوبختي) يصفُ القلم ويُفضِّلُهُ على السَّيفِ ، وكتب بذلك الى أبي علي بن مُقْلَةَ في قصيدةٍ ، وهو في رواية الجُرجانّي لابن الرومي ، وانما هُوَ روايةُ ابنُ الرومي ،

---

(١) انظر فصل النظر والملاحظة في حلية المحاضرة ٢ / ٨٦
(٢) البيت لمهلهل في حلية المحاضرة ٢ / ٨٧ وروايته ، وابرقنا كما تُرعد وهو في الحلية ايضاً ٢ / ٣٦
(٣) ت ، الى .
(٤) البيت في شرح ديوان زهير بن ابي سلمى ص ٥٤
(٥) البيت في « اشعار ابي الشيص الخزاعي » ص ٩٣
(٦) البيت للمتنبي في ديوانه ص ٣٥٠
(٧) البيت لابي نواس في ديوانه (ط . الغزالي) ص ٢٥٤ وروايته ، منشوبة بتسمية .

كذا قَضى اللّه للأقلام مُذْ بُريَتْ — أنَّ السيوفَ لها مُذْ أُرْهِفَتْ خَدَمْ
فالموتُ ـ والموتُ لاشيءَ يُغالبُهُ ـ — مازالَ يَتْبَعُ مايجري به القَلَمْ(١)

(٥٣ أ) فهذا صحيحُ المَعْنَى لامَطْعَنَ فيه . وقد خالفَهُ ابو الطيِّب فذهبَ مَذْهباً يَشْهَدُ به العيانُ ويَصحبُهُ البُرهانُ وكثيراً ماكان يفعَلُ ذلك لِقُدْرَتِهِ واتّساعِهِ في المعاني . قال(٢):

حَتَّى رجَعْتُ وأقْلامي قوائِلُ لي — المجدُ للسَّيْفِ ليس المجدُ للقَلَمِ
اكتُبْ بنا أبداً بَعْدَ الكتابِ بِهِ — فانما نَحْنُ للاسيافِ كالخَدَمِ(٣)

وابنُ رشيقٍ سمَّى هذا النوعَ « تغايُراً » وأفردَ له باباً(٤).

ومنها : « التَّغايُرُ » : وهو يُشْبِهُ الالمامَ وليسَ به . والفَرْقُ بينهما انَّ الشاعرَ في الالمام يُضادُّ من تقدَّمَهُ أوْ عاصَرهُ في معنىً . امّا خُلْقاً أوْ تخلُّقاً . على وفْقِ طباعِ الناسِ وأغراضِهم . والتغايرُ : أن يَصِفَ شيئاً واحداً بمعنيين مُتضادّين يُوهِمانِ التناقُضَ وهما صَحيحان معاً . لانَّ حالَ الشيء قد يتغيَّرُ . وعَزْمُ الشَّخْصِ قد يَنْثني عن ما كان عليه . فيَجيءُ الوصفُ مُوافقاً لهذه الحالِ . ومُخالفاً لتلك . كقول الكندي :

ولو أنَّ ماأسْعَى لأدْنَى مَعيشَةٍ — كَفاني ـ ولم أطْلُبْ ـ قليلٌ منَ المالِ
ولكنَّما أسْعى لمجدٍ مؤثَّلٍ — وقدْ يُدْرِكُ المجدَ المؤثَّلَ أمْثالي(٥)

وقال في مَوْضعٍ آخرَ :

اذا مالم تكُنْ ابلٌ فَمِعزَى — كأنَّ قُرونَ جِلَّتِها عِصيُّ (٥٣ ب)
اذا ماقامَ حالبُها أرَنَّتْ — كأنَّ القومَ صَبَّحَهُمْ نَعِيُّ
فتَمْلأُ بيتَنا أقِطاً وسَمْناً — وحَسْبُكَ من غِنىً شِبَعٌ وَرِيُّ

(١) البيتان لعلي بن العباس في العمدة ٢ / ١٠٢ ورواية صدر الثاني : فالموت والموت لاشيءٌ يعادله وهما لابن الرومي في ديوانه ص ٣٧٢ ط التوفيق .
(٢) البيتان للمتنبي في ديوانه ص ٤٩٧
(٣) انظر العمدة ٢ / ١٠٠
(٤) البيتان لامرىء القيس في ديوانه ص ٣٩ .
(٥) الابيات لامرىء القيس في ديوانه ص ١٣٦ ـ ١٣٧ . رواية الاول :
ألا ان لاتكن .... العصيُّ . ورواية الثاني : اذا مُشَّتْ حوالبها ارنت .... كأن الحي . وروايةُ الثالث . فتُوسِعُ اهلها أقِطاً .

فعبّر عن حقيقة مافي نَفْسِهِ أوّلاً ، وعن حقيقة مافيها آخراً بالنسبة الى قطع النظر عن تلك .

قال الفرزدقُ يصفُ ابلَهُ ويفتخرُ :

أَلَمْ تَسْمَعا يابنَيْ حكيمٍ حَنينَها الى السيفِ تَسْتَبْكي اذا لم تُعَقَّرِ(٢)

فجعلها اذا لم تُعَقَّر ، تحنّ وتستبكي لكثرةِ عاداتها ، وهذا غلُوٌّ مُفرطٌ . وقال :

ترى النِّيبَ من ضَيفي اذا مارأَيْنَهُ ضُمُوراً على جِرّاتِها ماتُجِيرُها(٣)

فزعمَ انها تُخفي حسَّها حتى انَّها لاتَجْترُّ خَوْفاً من النَّحْرِ . وهذا المعنى مأخوذٌ من بيتين مُدِحَ بهما النبيُّ عليه أفضل الصلاة والسلام(٤) وهما :

وأبيكَ حقّاً انَّ ابْلَ مُحَمَّدٍ عُزْلٌ نوائحُ أَنْ تَهُبَّ شَمالُ
فاذا رأَيْنَ لدى الفِناءِ غَريبةً فَدُمُوعُهنَّ على الخدودِ سِجالُ(٥)

يقول : اذا هبَّتِ الشَمالُ وهي من رياح الشتاءِ وعلاماتِ الجدبِ ، أَيْقَنَّ بان يُنحرن للضيفانِ فهُنَّ نوائحُ لذلك وقوله : « واذا رأَيْنَ لدى الفناءِ غريبةً » أيْ يعرفن انها ناقة ضيفٍ فتذْري كل واحدةٍ منهُنَّ دَمْعَها لظنّها انها تُنْحَرُ . وهذا من مليح الشعر ولطيف (٥٤ أ) المدح . ولو ادّعى مُدَّعٍ ان قولَ الفرزدقِ ليس من هذا النوع لوجه دعواهُ أن نجعل البيتَ الاوّل من الالمام ، والثاني من النَّظر والملاحظة . ومنها : « العكسُ » : وهو أن نجعل مكانَ كُلّ لفظةٍ ضِدُّها .

---

(١) ت : يجعل .

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ١ / ٣٨٠ ورواية صدره : ألم تعلما يااِبنَ المُجَشِّر انها

(٣) البيت للفرزدق في ديوانه ١ / ٣٦٥ . ورواية الديوان : ضموزاً .... ماتحيرها ، وهو تصحيف . وفي الاصلين المخطوطين : ضموزاً وهو تصحيف . وفي أ : ماتجيزها وفي ت : ماتجزيها . والنيب : النوق . والجرّات : الضروع .

(٤) ت : النبي صلى الله عليه وسلم .

(٥) البيتان دون عزو في العمدة ٢ / ١٠٣ وهما دون عزو ايضاً في تحرير التحبير ٢٨٧ .

قال حسّانُ في آل جفنَةَ :

بيضُ الوُجوهِ كَريمةٌ أحْسابُهُمْ   شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوَّلِ(١)

عكسَهُ ابو قَيْسٍ(٢) وقيل ابو حَفْصٍ البَصْريُّ فقال :

ذهبَ الزَّمانُ برهْطِ حَسّانِ الألى   كانت مناقِبُهُم حديثَ الغابرِ
وبقَيْتُ في خَلفٍ يَحلُّ ضُيوفُهم   منهم بمنزلَةِ اللئيمِ الغادِرِ
سُودِ الوُجوهِ لئيمةٍ أحسابُهُم   فُطْسِ الأنوفِ من الطِّرازِ الآخرِ(٣)

ومنها : « الاختلاس » : وهو أنْ يُحوِّلَ المعنى من نسيبٍ الى مدحٍ أو فَخْرٍ أو هجاءٍ ، أو من أحدهما الى الآخر ، أو عن وصْفٍ الى غيرِه ، ويُسمّى «نقل المعنى» .

قال كُثَيِّرٌ :

اريدُ لأنسَى ذكرها فكأنّما   تَمَثَّلُ لي لَيْلى بكلِّ سبيلِ(٤)

اختلسَهُ ابو نُواسٍ فقال :

ملكٌ تصوَّرَ في القلوبِ مِثالُهُ   فكأنَّهُ لم يَخْلُ منهُ مكانُ(٦)

وقال ابو نواسٍ :

خُلِّيَتْ والحُسْنَ تأخُذُهُ   تَنْتَقِي منهُ وتنتخِبُ
فاكتسَتْ منهُ طرائِفَهُ   ثُمَّ زادَتْ فَوْقَ ماتَهَبُ(٧) (٥٤ ب)

اختلسَ عبدُالله بن مُصْعَبٍ معنى الأول منهما فقال :

كانك كنتَ مُحْتِكماً عليهم   تَخَيَّرُ في الأبُوةِ ماتشاءُ(٨)

---

(١) البيت لحسان في ديوانه ـ تحقيق وليد عرفات ـ ١ ٧٤

(٣) في العمدة ٢ / ٢٨٩ ابن ابي قيس .

(٤) الابيات في العمدة ٢ / ٢٨٩ بالنسبة ذاتها .

(٥) البيت لكثير عزة في ديوانه ص ١٠٨

(٦) البيت لابي نواس في ديوانه ـ طبعة الغزالي ـ ص ٤٠٥

(٧) البيتان لابي نواس في العمدة ٢ / ٢٨٨ ورواية عجز الثاني : فضل ماتهب

(٨) البيت لعبدالله بن مصعب في العمدة ٢ / ٢٨٨

وقال امرؤ القيس يصفُ فرساً ؛

اذا ماركِبْنا قالَ ولْدانُ حَيِّنا تعالَوا الى أنْ يأتي الصَّيْدُ نَحْطِبِ(١)

نَقَلَهُ آبنَ مُقبلُ الى القَدْح ؛

اذا امْتَحنتهُ من مَعَدٍّ عِصابَةٌ غدا رَبُّهُ قبل الافاضَةِ يقدَحُ(٢)

نقَلَهُ ابن المعتزّ الى الباريِّ فقال ؛

قَدْ وَثِقَ القومُ له بما طَلَبْ
فهو اذا عُرِّيَ لصَيْدٍ واضطربْ
عَزْوُ سكاكينَهُم مِنَ القُرب (٣)

ومنها ؛ « الاصطراف » ؛(٤)، وهو أن يُعْجِبَ الشاعرَ بيتٌ فيرى انه أوْلى به من قائله فيصرفَهُ الى نفسِه ولا يكونُ الاّ في شعر الامواتِ فان صرَفَهُ على جهةِ المَثَلِ فهو « اجْتِلابٌ واستلحاقٌ » .(٥) وان ادَّعاهُ جُملةً فهو « انتحالٌ » .(٦) ولا يُقالُ مُنْتَحِلٌ الاّ لمن يقول الشعرَ فأما من لا يقوله

فَيُسمَّى مُدَّعِياً .(٧). قال النابغةُ الذبياني ؛

وصهباء لاتُخفي القَذى وَهوَ دُونَها تُـصَـفَّـقُ في راووقِـها وتُـقَـطَّـبُ
تَمَزَّزتُها والديكُ يدعو صباحَهُ اذا مابَنُو نَعْشٍ دَنَوْا فتصوَّبُوا(٨)

---

(١) البيت لامرىء القيس في العمدة ٢ / ٢٨٨ وروايته، الى أن يأتنا

(٢) البيت لابن مقبل في ديوانه ص ٣٠ وروايته ، اذا امتنخته . قبل المفيضين

(٣) ابيات الرجز لابن المعتز في ديوانه ٢ / ٤١٦ ورواية الثاني ، فهو اذا جَلّى

(٤) انظر مبحث الاصطراف في حلية المحاضرة ٢ / ٦١

(٥) انظر باب الاجتلاب والاستلحاق في حلية المحاضرة ٢ / ٥٨

(٦) انظر فصل الانتحال ٢ / ٣٠

(٧) ت، متعديا ، وهو تحريف

٨ البيتان ليسا في ديوان النابغة الذبياني – طبعة ابي الفضل ابراهيم – وهي أتم الطبعات . ووجدتهما في حلية المحاضرة ٢ / ٥٨ منسوبين له ورواية الاول ، وهي دونه ... حين تقطب . وهما للنابغة في العمدة ٢ / ٢٨١ ورواية الاول ، حين تقطب

استلحق الفرزدق الثاني فقال ،

واجّانَةٍ ريّا الشُّروب(١) كأنَّها ... اذا غُمِسَتْ فيها الزُّجاجَةُ . كوكبُ
تمززتها (والديكُ يدعو صباحَهُ ... اذا مابنو نعشٍ دَنَو فتصوبوا)(٢)

ورُبما اجتَلَبَ الشاعرُ بيتين على الشَّريطة المُتقدِّمةِ فلا يكونُ بذلك بأسٌ قال عمرو ذو الطوقِ ،(٣)

صَدَدْتِ الكأسَ عنّا أمَّ عمروٍ ... وكانَ الكاسُ مَجْراها اليمينا
وما شَرُّ الثلاثةِ أمَّ عمروٍ ... بصاحبِكِ الذي لاتصبحينا(٤)

فاستلحقهما عمرو بن كُلثومٍ فَهُما في قصيدته . وكان ابو عَمْروٍ لايرى ذلك عيباً ، وقد يَصْنَعُ المُحْدَثُ مِثْلَ هذا . قال زيادُ الأعجم ،

أشَمُّ اذا ماجئتَ للعُرفِ طالباً ... حَباكَ بما تحنو عليه أناملُهْ
ولو لم يَكُنْ في كفِّه غيرُ نَفْسِهِ ... لجادَ بها . فليتقِ اللهَ سائِلُهْ(٥)

فاستَلْحقَ الاخيرَ ابو تمامٍ فهو في شعره(٦) .

---

(١) في الاصلين ، السرور ، والتصويب عن الديوان .

(٢) الاول منهما فقط في ديوان الفرزدق ١ / ١٨ ورواية عجزه ، اذا اغتمست وما بين عضادتين ليس في الاصلين المخطوطين ، اذ اكتفى الناسخ بالكلمة الاولى من البيت . وهما معاً للفرزدق في حلية المحاضرة ٢/ ٥٨ ورواية الاول ، اذا اغتمست وهما للفرزدق في العمدة ٢ / ٢٨٣ ورواية الاول ، ريا السرور ... اذا غمست وقد أشير في الحلية والعمدة الى استلحاق الفرزدق للبيت الاخير .

(٣) هو عمرو بن عدي ، ابن رقاش اخت جذيمة الابرش .

(٤) البيتان لعمرو المذكور في العمدة ٢ / ٢٨٣ .

(٥) البيتان لزياد الاعجم في مجموع شعره ـ صنعة د . ابتسام الصفار ـ ص ١٠٠ رواية الاول ، كريم اذا ماجئت للخير ... بما تحوي . ورواية الثاني ، غير روحه

(٦) ديوان ابي تمام ٢ / ٢٩

وأمّا قولُ جرير للفرزدق وكان يَرْميه بانتحال شعر أخيه الاخطَلُ بن غالبٍ :

ستَعْلَمُ من يكونُ أبوهُ قَيْناً ومنْ كانت قصائدُهُ اجتلاباً(١)

فانما وضعَ الاجتلاب مَوْضعَ السَّرِقِ والانتحال لضرورة القافية . كذا ذكر جماعةُ من علماءِ المحدثين .

وأمّا الجُمَحِيُّ فقال : من السرقات ما يأتي على سبيلِ المَثَلِ ليسَ اجتلاباً مثلُ قول ( ) ابي الصلت المخزومي : (٢)

تلك المكارمُ لاقعبان من لَبَنٍ شيبا بماءٍ فعادا بَعْدُ ابْوالا(٣)

ثم قالَهُ بعينه الجعديُّ(٤) لما أتى موضعَهُ . فبنو عامرٍ يروونَهُ(٥) للجعديّ والرواةُ مجمعون على انّه لابي الصَّلْتِ . فذهبَ الجمحّي في الاجتلاب مذهبَ جريرٍ انه انتحالٌ . والانتحالُ عندَهُم قولُ جرير :

ان الذين غدو بلُبِّكَ غادروا وَشلًا بِعَيْنِكَ مايزالُ مَعِينا
غَيَّضْنَ من عبراتهِنَّ وقُلْنَ لي ماذا لقيتَ من الهوى وَلقِينا(٦)

أجمع الرواةُ على انّهما للمعلوطِ السّعدي ،(٧) انتَحلَهُما جريرٌ . وانتحلَ قولَ طُفَيْلٍ الغَنَوي :

ولّما التقى الحيّانِ أُلْقِيَتِ العَصا وماتَ الهوى لمّا أُصِيبَتْ مَقاتِلُهْ(٨)

ولذلك يقولُ له الفرزدقُ :

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ص ٨١٤ وروايته : ستعلم من يصير .... ومن عُرفت قصائده

(٢) كلمة (المخزومي) سقطت من ت . وفي طبقات فحول الشعراء لابن سلام انه (الثقفي) .

(٣) البيت لابي الصلت بن ابي ربيعة قاله في سيف بن ذي يزن حين ظهر على الاحباش . انظر طبقات ابن سلام ص ٥٨ والشعر والشعراء ١ / ٤٣٣

(٤) هو النابغة الجعدي والبيت في ديوانه ص ١١٢

(٥) ت : يرونه .

(٦) البيتان لجرير في ديوانه ص ٣٨٦ .

(٧) المعلوط السعدي ، هو المعلوط بن بدل شاعر اسلامي انظر اللآلىء ٤٣٤ .

(٨) البيت للطفيل الغنوي في ديوانه ص ١٠٩

لن تُدركوا كرمي بلؤم أبيكُمُ وأوابِدي بِتَنَحُّلِ الاشعارِ(١)

وكانا يتقارضان الهجاءَ ويَعْكِسُ كُلٌّ منهما المعنى على صاحبِهِ. وليس ذلك عيباً في المناقضاتِ. ولما قالَ الفرزدقُ في بني ربيع ؛

تمنَّى ربيعٌ أن يجيء صِغارُها بخيرٍ وقد أعيا رَبيعاً كبارُها(٢)

أخذهُ البعيثُ بعينِهِ في بني كُلَيْبٍ رَهْطِ جرير. فقال الفرزدق ؛

اذا ماقـــلـــتُ قافـــيةً شروداً تَنَحَّلها ابنُ حمراء العجانِ(٣)

وكان لأمِّ ولَدٍ. (٤) وقولُ البحتريّ ؛

رَمَتْني غُواةُ الشعر مابينَ مُفْحَمٍ ومُنتَحِلٍ مالم يَقُلْهُ ومُدَّعي(٥)

يَدلّ على ماتقدم، لأنهُ قَسَمهُم ثلاثة اقسامٍ ؛ فالاولُ ؛ مُفحمَ قد عَجِزَ عن الكلام فضلاً عن التحلي بالشعر غيرَ انه يتبعُ الشعراء.

والثاني ؛ مُنْتَحِلٌ الاجوَدَ من شِعْرِهِ. والثالث ؛ مُدّعٍ لايحسنُ شيئاً.

ومنها ؛ الاغارةُ » ؛ (٦) وهي اخذُ شِعْرِ الحيِّ غلبةً. ومعناها انْ يضعَ الشاعرُ بيتاً أو يَخْترِعَ مَعْنىً مليحاً. فيتناولهُ من هو أعْظَمُ منه ذِكْراً فيروى له دونَ قائله. كما قال الفرزدق لجميل وقد سمعَهُ يُنشِدُ ؛

ترى الناسَ ماسِرْنا يسيرون خلفَنا وان نحنُ أومأنا إلى الناس ،وقَّفوا

---

(١) البيت للفرزدق في ديوانه ١ / ٣٥٩

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ص ٢٧٢ وروايته ، أترجو ربيع.

(٣) البيت للفرزدق في العمدة ٢ / ٢٨٤

(٤) ام ولد ، أي سرّية

(٥) البيت للبحتري في ديوانه ص ١٢٤١ وروايته ،

وقد نافستني عصبةٌ من مُقَصِّرٍ ومـنـتـحـلٍ مالم يَـقُـلْـهُ ، ومُدَّعِ

(٦) انظر باب الاغارة في حلية المحاضرة ٢ / ٣٩.

متى كان الملك في عُذرةَ ، انّما هو في مُضَرَ وأنا شاعرُها فغلبَ عليه الفرزدقُ ولم يُسقِطْهُ جميلٌ من شعْره . فما كان هكذا فهو اغارةٌ . (١)

وقومٌ يَرونَ الاغارةَ ، أَخْذَ اللّفظِ بأسرهِ أو المعنى ، والسرق ، أخذ بعض اللّفظ أو بعض المعنى .

كان ذلك لمعاصرٍ او لقديم .

ومنها « الغصبُ » ، وهو كالاغارة في كونه لا يكون الاّ من حَيٍ ، والفرقُ بينهما ان الاغارة يُنازَعُ عليها الآخِذُ ، والغَصْبُ يُكَفُّ عنه فيه ، امّا خشيةً ، أو تجَمُّلاً . وهو كصنيع الفرزدق بالشمردلِ وقد انشدَ في مَحْفِلٍ :

فما بينَ مَنْ لم يُعطِ سَمْعاً وطاعةً ... وبين تميمٍ غيرُ حَزّ الغلاصِمِ

فقال له الفرزدق : لتَدعَنَّهُ أو لتدعنَّ عِرْضكَ .

فقال ، خُذْهُ لا بارك الله (لك) فيك . (٢)

وقال ذُو الرُمّة بحَضْرته ايضاً ، لقد قلتُ ابياتاً انّ لها لغرضاً وانّ لها لمُراداً بعيداً . قال : وما قُلتَ ؟ قال ، قلتُ :

أحينَ أعاذَتْ بي تميمٌ نساءَها ... وجُرِّدْتُ تَجريدَ اليماني من الغمد
ومَدّت بِضَبْعيُ الرِّبابُ ومالكٌ ... وعَمروٌ وسالت(٣) من ورائي بنو سَعْدِ
ومـــن آلِ يَرْبُوعٍ زُهاءُ كأنّـــهُ ... دُجى الليلِ محمودُ النكايةِ والرِّفْدِ(٤)

فقال له : ايّاك وايّاها لاتعُودَنَّ اليها ، فأنا أحقُّ بها منك .

فقال ، واللهِ لأعودُ فيها ، ولا أُنشِدُها الاّ لك . (١)

ومنها « المُرافدة » :(٢) وهي أن يُعينَ الشاعرُ صاحِبَهُ بالأبياتِ يَهَبُها له ، كما قال جريرٌ لذي الرُمّةِ ، انشدني ماقُلتَ لهشامٍ المرئي فانشَدَهُ ،

---

(١) الخبر في الممتع ص ٢٣٥ وفي العمدة ٢ / ٢٨٤ – ٢٨٥

(٢) خبر الفرزدق مع الشمردل اليربوعي انظره في حلية المحاضرة ٢ / ٤٠ ورواية البيت في الحلية غير جزّ .
قال الحاتمي في آخر الخبر ، فهو في قصيدته التي اولها ،

تـــحـــن الى زور الـيـــمامة ناقـــتـــي ... حـنـيـن عـجـول تـبـتـغـي الـبوّ رائـم

التي يهجو فيها جريراً .

(٣) في الحلية ٢ / ٤٠ ، شالت .

(٤) في الحلية ٢ / ٤٠ ، والوِرْد

فقال : ألا اعينُك ! فقال : بلى ! بأبي أنتَ وأمّي . قال : قُلْ له :

(   )

نبتْ عيناك من طَلَلٍ بحُزوى ... مَحَتْـهُ الريحُ وامتـنـخ القِطارا
يَعُدُّ الناسبونَ الى تميم ... بيوتَ المجدِ اربعةً كِبارا
يَعُدّونَ الربابَ وآل سَعْدٍ ... وعمراً ثم حنظلةَ الخيارا
(ويهلك بينها المرئي لغواً ... كما ألغيت في الدية الحُوارا)(٣)

والشاعرُ يستوهبُ البيتَ والاثنين والثلاثة ، اذا كانت شبيهة بطريقته ولا يَعُدُّ ذلك عيباً ، لأنه يقدر على عمل مِثْلها ولا يجوز ذلك الاّ لُمبرِّزٍ. ومنها « الاهتدامُ » ويسمى (   )(٤) ولا يكونُ الا في مادونَ البيت قال النجاشيُّ :

وكنتُ كذي رِجْلَيْنِ رِجْلٍ صَحيحةٍ ... وَرِجْلٍ رَمَتْ فيها يَدُ الحَدثانِ(٥)

أخذ كُثيِّرٌ القَسيمَ الاول ، واهتدمَ باقي البيتِ ، فجاء بالمعنى في غير اللفظِ فقال : « ورِجْلٍ رمى فيها الزمانُ فَشلَّتِ » .(٦)

---

(١) خبر الفرزدق مع ذي الرمة انظره في حلية المحاضرة ٢ / ٣٩ ـ ٤٠ . قال الحاتمي في آخره : فهي في قصيدة الفرزدق التي يقول فيها :

وكنا اذا القيسيّ نبَّ عتوده ... ضربناه فوق الانثيين على الكرد

(٢) انظر باب المرافدة في حلية المحاضرة ٢ / ٤٩ ـ ٥١ .
(٣) خبر جرير مع ذي الرمة انظره في حلية المحاضرة ٢ / ٥٠ . وما بين عضادتين زيادة عن الحلية . وللخبر تتمة انظرها هناك .
والخبر ايضاً في العمدة ٢ / ٢٨٦ .
(٤) كلمة مبهمة في الاصلين .
(٥) البيت للنجاشي في العمدة ٢ / ٢٨٧
(٦) : رواية البيت في ديوان كثير ص ٩٩ :

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمانُ فَشلّتِ

ومنها « الموازنةُ » : وهي أخذ(١) بنية الكلام فقط ، قال نابغةُ بني تغلب :(٢)

بَخِلنا لبُخلِكِ لو تعلمينَ وكيفَ يَعيبُ البخيلُ البَخيلا(٣)

وازنَ كُثَيّرٌ القسيمَ الآخِرَ بقوله :

تقولُ مَرِضنا فما عُدْتَنا وكيف يعودُ المريضُ المريضا(٤)

ومنها « الالتقاطُ والتلفيق » ويسمى « الاجتذاب والتركيب » : وهو أن يؤلف بيتاً من ( ) كلماتٍ مُلفقةٍ من أبياتٍ(٧) كقول يزيد بن الطثَرية :

اذا مارآني مُقبِلاً غَضّ طرفَهُ كأنَّ شُعاعَ الشمسِ دوني يُقابِلُهُ(٦)

فأوّلُهُ من قول جميل :

اذا مارأوني مُقبِلاً من ثَنيّةٍ يقولونَ ، من هذا ؟ وقد عرفوني(٧)

وَوَسْطَهُ من قول جرير :

---

(١) نابغة بني تغلب ، هو الحارث بن عدوان .

(٢) البيت لنابغة بني تغلب في العمدة ٢ / ١٢٦ وروايته ، بخيل بخيلاً . وهو له في العمدة ٢ / ٢٨٩ وروايته ، قد تعلمين ... بخيل بخيلا .

(٣) البيت في ديوان كثيّر عزة ص ٤٤٩ . وروايته عندنا مداخلة ، فرواية الديوان :

تقول مرضنا فما عدتنا فقلت لها لا أطيق النهوضا

كلانا مريضان في بلدة وكيف يعود مريض مريضا

وروايتنا مماثلة لرواية أمالي القالي ١ / ٣٠

(٥) عبارة (من ابيات) سقطت من ت .

(٦) البيت ليزيد بن الطثرية في ديوانه ص ٥٣ . وروايته ، تقابله

* نظر باب الالتقاط في بديع اسامة بن منقذ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ وفي الحلية ٢ / ٩٠ ـ ٩١

(٧) البيت لجميل في ديوانه ص ٢١١

فَغُضَّ الطرفَ انك من نُمَيْرٍ فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كلاباً[١]

وعجزُهُ من قول عَنْتَرةَ ، [٢]

اذا أبْـصرْتَـنـي أعْرَضْـتَ عَـنّـي كأنَّ الشمسَ من قِبَلي تدورُ[٣]

ومنها « كشفُ المَعْنى » قال امرؤ القيس[٤] ،

نَـمُـشُّ بأعْرافِ الـجـيادِ أكُـفَّـنا اذا نحنُ قُمنا عن شِواءٍ مُضَهَّبِ[٥]

فكشَفَ عبدةُ بن الطبيب هذا المعنى وابرزَهُ بقوله ،

ثُمَّتَ قُمنا الى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أعْرافُهُنَّ لأيْدينا مناديلُ[٦]

ومنها « المجدود »[٧] كقول عنترة ،

واذا صَحوتُ فما أُقَصِّرُ عن نَدىً وكما عَلِمْتِ شمائلي وتكرُّمي[٨]

أخذهُ من قول امرىء القيس ،

وشـمـائـلـي ماقد عـلـمـت وما نَبَحَتْ كلابُكِ طارقاً مثلي[٩]

---

(١) البيت لجرير في ديوانه ص ٨٢١ ورواية ، من كليب . وهي من وهم الناسخ

(٢) عنترة هنا هو عنترة بن عكبرة الطائي ، وهي امه ، وابوه الاخرس بن ثعلبة ، فارس شاعر ، ذكره

(٣) الآمدي في المؤتلف والمختلف ص ٢٢٥ .

البيت لعنترة الطائي في العمدة ٢ / ٢٩٠ وروايته : من حولي تدور . وهو في بديع اسامة ٢٠١ دون عزو

(٤) وروايته مماثلة لرواية مخطوطتنا وهو له في المؤتلف ص ٢٢٦ .

في الاصلين ، يمشي .

(٥) البيت في ديوانه ص ٥٤

(٦) البيت لعبدة في ديوانه ص ٧٤ .

(٧) انظر باب المجدود في حلية المحاضرة ٢ / ٦٧

(٨) البيت لعنترة العبسي في ديوانه ص ٢٠٧

(٩) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٢٣٩

الاّ انهُ رُزق جداً واشتهاراً على امرىء القيس ، وامرؤ القيس معروفٌ له فضلُهُ ، منزولٌ له عن دَرَجتِه ، الاّ أن المتّبعَ اذا تناول معنىً فأجادَهُ بان يختصره ان كان طويلاً ، أو يَبْسُطَهُ ان كان كَزّاً ، أو يُبَيِّنَهُ انْ كان غامضاً أو(١) يختارُ له حسنَ الكلامِ ان كان سفسافاً ، ورشيقَ الوزن ان كان جافياً ، فهو أوْلى من مُبْتَدِعِهِ . وكذلك ان قَلَبَهُ أو صَرَفَهُ عن وَجْهِه الى وَجْهٍ آخر . فأمّا ان تساويا فلَهُ فضيلةُ حُسْنِ الاقتداءِ لاغيرُ . فانْ قصَّر ، كان دليلاً على سوءِ طَبْعِه ، وسُقوطِ هِمَّتِه وضَعْفِ قُدْرَته . (٢) فمن ما أجادَ فيه المُتَّبِعُ على المُبتَدع قولُ ابي نُواس :

أقولُ لناقتي اذ بلّغتني : لقد أصْبَحْتِ منّي باليمينِ
فلا أجْمِلْكِ للغربان نحلاً ولا قلتُ، اشرقي بذمِ الوتينِ(٣)

أخذه من قول الشمّاخ :

اذا بَلَّغْتِني وحَطَطْتِ رَحْلي عَرابَةَ فاشْرَقي بِدَمِ الوَتينِ(٤)

وكرّرَ ابو نُواس هذا المعنى (٤) فقالَ :

واذا المطِيُّ بنا بلغنَ محمّداً فَظهورهنَّ على الرجالِ حرامُ
قَرَّبْنَنا من خير من وَطِىءَ الحصى فلها علينا حُرْمَةٌ وذِمامُ(٥)

ومن ما تساوي فيه المسروق منه والسارقُ قولُ الكنديّ :

فلو انّها نفسٌ تموتُ سَوِيّةً ولكنّها نَفْسٌ تَساقَطُ أنْفُسا(٦)

وقولُ عَبدةَ بن الطبيب[٧] :

---

(١) ت ، و
(٢) انظر العمدة ٢ / ٢٩٠ ـ ٢٩١ .
(٣) البيتان لابي نواس في حلية المحاضرة ٢ / ٨٦ ورواية الثاني ، فلم اجملك . وهما له في العمدة ٢ / ٢٩١ ورواية الثاني ، فلم اجملك . ولم أجدهما في ديوانه .
(٤) البيت للشماخ بن ضرار الذبياني في ديوانه ص ٣٢٣ .
(٥) ت ، وكرر هذا المعنى ابو نواس .
(٦) البيتان لابي نواس في ديوانه ص ٤٠٨ . وانظر حلية المحاضرة ٢ / ٨٥ ـ ٨٦
(٧) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٠٧ ورواية صدره ، تموت جميعةً .

فما كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحدٍ ولكنّه بُنْيانُ قومٍ تَهَدَّما[1]

ومنها « سوءُ الاتباع » ، وهو أن يتبعَ الشاعر من تقدَّمَهُ في معنىً رديءٍ أو لفظٍ خبيثٍ .

باشرتُ اسبابَ الغنى بمدائحٍ ضَرَبَتْ بأبوابِ الملوكِ طبولا [2]

فسرقَ ابو الطيِّب هذه اللفظة لئلّا تَفُوتَهُ فقال :

اذا كانَ بعضُ الناسِ سَيْفاً لدولةٍ ففي الناسِ بُوقاتٌ لهاوطبولُ[3]

وممّا قَصَّر فيه الآخِذُ عن المأخوذ منهُ قولُ ابي دَهْبَلٍ في معنى بيت الشمّاخ :

ياناق سيري واشرقي بدمٍ اذا جئتِ المغيرهْ
سَيُثيبني أخرى سواكِ (م) وتلكَ لي منه يَسيرَهْ[4]

فانظُر الى أين بلغتْ هِمَّتُه(٥).

ومنها « نظم النثر وحَلُّ الشعر » ، وهو من أحلاها(٦).

قال مُؤدِّبُ الاسكندرِ حين ماتَ : حرَّكنا الملكُ بسكونه . نظمه ابو العتاهية فقال :

قد لعمري حكيتَ لي غُصَصَ الموتِ وحَرَّكْتني لها وسَكَنْتا[7]

وقال ارسطاليس يندُبُهُ(٨): قد كان(٩) هذا الشخصُ واعظاً بليغاً . وما وعظ بكلامِهِ قطُّ عِظَةً ( ) ابلغ من موعظتِهِ بسكونِه .

(١) البيت لعبدة في ديوانه ص ٨٨ .
(٢) لم أجد البيت لابي تمام في ديوانه ووجدته له في العمدة ٢ / ٢٩١ .
(٣) البيت للمتنبي في ديوانه ص ٣٥٩ .
(٤) البيتان لابي دهبل الجمحي في ديوانه ص ٥٦
(٥) انظر العمدة ٢ / ٢٩١ — ٢٩٢ . وفي ت ، منه همته .
(٦) انظر باب في نظم المنثور في حلية المحاضرة ٢ / ٩٢ — ٩٥ .
(٧) الخبر وبيت ابي العتاهية في حلية المحاضرة ٢ / ٩٣ .
٨ كلام ارسطاطاليس هذا انظره في حلية المحاضرة ٢ / ٩٣ .
٩ كلمة (كان) سقطت من أ .

عقده ابو العتاهية فقال :

وكانت في حياتك لي عِظاتٌ   وانْتَ اليومَ أوعَظُ منك حَيًا(١)

وأخذ الكُتّابُ قولهم « قُدِّمْتُ قبلك » من قولِ الاقرع بن حابس :

اذا ماأتى يومٌ يُفرِّقُ بيننا   بموتٍ فكُنْ انتَ الذي تتأخَّرُ

وقولهم : « اتمّ اللّه نِعْمتَهُ عليك وزادها عندك » من قول عَديِّ بن الرقاع :

صَلّى الالَهُ على امرىءٍ وَدَّعْتُهُ   وأتمَّ نِعْمتَهُ عليه وزادَها(٢)

وقال المتنبي :

تَذكَّرْتُ مابينَ العُذَيْب وبارقٍ   مَجَرُّ عَوالينا وَمَجْرى السّوابقِ(٣)

آخر :

حتّى أتى الدّنيا ابنُ بَجْدَتِها   فَشكا اليه السَّهْلُ والجَبَلُ(٤)

حَلّه (الصاحب)(٥)« بنُ عبّاد » فقال : « لَمّا أتاحَ اللّه للدّنيا ابن بَجْدَتها(٦) جعلَ معقِلهم نُزهَةَ(٧) الحوادث ، وفُرصَةَ البوائق ، ومجرّ العوالي ، ومجرى السوابق »(٨).

---

(١) البيت لابي العتاهية في ديوانه ص ٤٩١ .
(٢) الخبر من عبارة (واخذ الكتاب قولهم) انظره في العمدة ٢ / ٢٩٤
(٣) البيت للمتنبي في ديوانه ص ٣٩٣
(٤) البيت للمتنبي في ديوانه ص ٥٤٧
(٥) مابين معكوفين عن بديع أسامة ص ٢٦١
(٦) بعدها في كتاب البديع في نقد الشعر لاسامة بن منقذ ص ٢٦١ مانصّه ، وأبا بانيها وأخا عذرتها .
٧ في بديع اسامة ، ثمرة الحوادث .
٨ الخبر من عبارة (وقال المتنبي) انظره في بديع أسامة ص ٢٦١

وقال نُصَيْبٌ (١)،

فعاجُوا فاثنوا بالذي انتَ أهْلُهُ ولو سكتوا اثنتْ عليكَ الحقائبُ

خَلَهُ بعضُهم فقال، «ولو سكت(٢) لساني عن شكرك، لنَطَقَ عليّ أثرُ برّكَ (٣)».

احمدُ بن صُبَيْح، «في شكر ماتَقَدَّمَ من احسانك شاغلٌ عن استبطاء ماتأخَر من امتنانك(٦)». عَقَدَهُ ابو نواس فقال(٤)،

قد قلتُ للعباسِ معتذراً من ضَعْفِ شُكْريه، ومُعترفا
انتَ امرؤٌ جَلَّلْتَني نِعَماً أوْهَتْ قُوى شُكري فقد ضَعُفا
فاليكَ مِنّي اليومَ تقدمةٌ تلقاكَ بالتصريح مُنكشفا
لاتُسْدِيَنَّ اليَّ عارفةً حتى أقومَ بشكر ماسَلَفا (٥)

ومنها «التوليدُ»، وهو أن يستخرج الشاعرُ معنىً من معانيّ شاعرٍ تقدّمَهُ او يزيد عليه، وانّما جُعِلَ نوعاً من السرق لما فيه من الاقتداء، فأخرجَهُ ذلك من خُطَّةِ الابتداع، وأدْخَلَهُ في خُطَةِ الاتّباع، فيصدُقُ عليه اسمُ السَّرقِ، ولا يصدُقُ عليه اسمُ الاختراع.

وقال ابنَ رشيقٍ، «التوليدُ ليس باختراع لما فيهِ من الاقتداءِ ولا يُسمّى سَرِقةً(٦)». فجعَلَ له مرتبةً وسطاً وعليه في ذلك دَرَكٌ، لانّ اقرارَهُ انّهُ ليس

البيت لنصيب بن رياح في ديوانه ص ٥٩

(١) في بديع اسامة، مسك

(٢) الخبر في بديع اسامة ص ٢٦٠.

(٣) العبارة في بديع اسامة، (... شاغل عما تقدم من امتنانك).

(٤) الابيات لابي نواس في ديوانه ـ طبعة الغزالي ـ ص ٤٣٣. ورواية الثالث، لاقتك

(٥) الخبر في بديع اسامة ص ٢٦٠. رواية البيت الاول، من فرط كفيه. ورواية الثاني، قلدتني نعما.

(٦) ورواية الثالث، فاليك بعد اليوم معذرة وافتك.

باختراع لما فيه من الاقتداء مؤذنٌ بانّ المولَّد تابعٌ ، ودأبُ التابع التكسب من المتبوع والاعتماد عليه (في) ما ـ يخرج(١) من كلامه . فصار التوليدُ لذلك فرعاً على الاختراع . واذا كان فرعاً عليه كان مسروقاً منه ولا يُخرجُهُ مافيه من الزيادة او(٢) الخفاء عن أصله . وهو عندي من أخْفَى السرقات وأجلّها . وفي الاتيان به دليلٌ على تصرُفِ الشاعر وغَوْص فِكره . كقول (عمر بن) عبد الله بن (ابي) ربيعةَ وقيلَ انه لوضّاح اليماني :

فاسقُطْ علينا كسقُوطِ النَّدى ليلة لاناهٍ ولا زاجرُ(٣)

وَلَّدَهُ من قول امرىء القيس :

سموتُ اليها بعد مانامَ أهْلُها سُمُوُ حَبابِ الماءِ حالاً على حالِ(٤)

( ) وممّا يُعَدُّ سرقاً وليس به « اشتراكُ اللفظ المتعارف(٥) » .
قال عنترة :

وخَيْلٍ قد دَلَفْتُ لها بخيلٍ عليها الأسدُ تَهْتَصِرُ اهتصارا(٦)

وقالت الخنساء :

وخيلٍ قد دلفتَ لها بخيلٍ فدارتْ بين كبشَيْها رحاها(٧)

وقال اعرابي :

وخيلٍ قد دلفتُ لها بخيلٍ ترى فُرسانَها مثلَ الأسودِ(٨)

(١) أ ، مايجرح ، والتصويب عن عن ت .
(٢) ت ، و
(٣) البيت بالنسبة المذكورة في العمدة ١ / ٢٦٣
(٤) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٣١ .
(٥) انظر باب الاشتراك في اللفظ في حلية المحاضرة ٢ / ٦٨ ـ ٧٣ .
(٦) البيت لعنترة العبسي في ديوانه ص ٢٣٩ وروايته ، قد زحفت .
(٧) البيت للخنساء في ديوانها ص ١٤٠ وروايته ، وخيل قد لففت بجول خيل
(٨) البيت لاعرابي في حلية المحاضرة ٢ / ٦٩

ومثلَ هذا كثيرٌ . فصل

وكانوا يقضُونَ في السرقات ان الشاعرين اذا ركبا معنىً كان اولاهُما بهِ أقدمَهُما بيوتاً وأسنَّهُما . فانْ جَمَعَهُما عَصْرٌ كان مُلحقاً باوْلاهُما بالاحسان . وانْ كانا في منزلةٍ واحدةٍ رُوِيَ لهما جميعاً هذا في ماسوى المختصِ الذي قد حازَهُ قائلُهُ الا ترى ان الأعشى سبَقَ الى قوله :

وفي كُلِّ عامٍ أنْتَ جاشِمُ غزوةٍ تَشُدُّ لأقصاها عزيمَ عَزائكا
مُوَرِّثَةٍ مجداً وفي الأصل رفعةً لما ضاعَ فيها من قُروءِ نسائكا(١)

فأخذَهُ النابغةُ فقال : (٢)

شُعَبُ العلافيّاتِ بينَ فُروجهم والمُحْصَناتُ عوازِبُ الأطْهارِ

وبيتُ النابغة خيرٌ باختصاره . وما فيه من المناسبة بذكر الشُّعَب بين الفروج وذِكر النساء بعد ذلك . وأخَذه الناس من بعده فلم يغلبه أحدٌ على معناهُ . ولا شارَكَهُ فيه . بل جُعِلَ النابغةُ مُقتدياً تابعاً وان كان مقدماً في حياتِهِ . وسابقاً له بمماتِه .

وقال أوس بن حَجَرٍ (   ) :

كأنَّ هِرّاً جنيباً عند غُرضَتِها والتفَّ ديكٌ برجليها وخِنْزيرُ(٣)

فلم يُشاركه أحدٌ . وكذلك سائرُ المعاني المفردة والتشبيهات العقْمُ تجري هذا المجرى .

---

(١) البيتان للاعشى الكبير في ديوانه ص ٩١ ورواية صدر الثاني : مورثة حالاً وفي الحمد

(٢) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٥٧

(٣) البيت لاوس بن حجر في ديوانه ص ٤٢ ورواية الديوان : تحت غرضتها .... واصطكَّ ديكٌ .

بابُ المُطابقة °

وهي عند الجمهور : الجمعُ بين المعنى وضدّه . ومعناها أن يأتلفَ في اللفظ مايُضادُّ في المعنى . فكأنَّ كلَّ واحدٍ منهما وافقَ الكلامِ فسُمّي طِباقاً . وذَكَرَ الاصمعيُّ(١) المُطابقةَ في الشعر فقال : أصْلُها وضعُ الرِجْلِ موضعَ اليد في مَشْي ذَواتِ الاربع . وانشد :

وخَـيْـلٍ يُـطـابِـقْـنَ بالدارعينَ طباقَ الكلاب يطأن الهراسا(٢)

الهراسُ(٣) : حُطام الشوك . ولذلك خصَّ الوطءَ فيه . لأنَّ الكلبَ اذا مشى فيه رأى أين يضع يَدَهُ . فيضع رِجْلَهُ موضعها . وفي ذوات الاربع ماتجاوزُ رِجْلَهُ موضعَ يده . وقد يُطابقُ من ثقلٍ يحملهُ . أو شيء يتّقيه . وقد يُطابق بعضُها على كُلّ حالٍ قال : وأحْسَنُ بيتٍ

قيل في ذلك لزُهير :

ليثٌ بعَثّر يصطادُ الرجالَ إذا ماكذّب الليثُ عن أقرانه صَدَقا(٤)

وقال الخليلُ : يقالُ : طابقتُ بين البيتين . اذا جمعت بينهما على حدٍّ والصقتهما(٥) . و « قُدامة » يسمّي المطابقةَ تكافؤاً . والطباقُ عنده اجتماعُ المعنَيَيْنِ في لفظةٍ مكررَة . وأنشد عليه قول الأوديّ(٦) :

---

(١) كلام الاصمعي هذا انظره في العمدة ٢ / ٦ ـ ٧

(٢) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ص ٧٩ . ورواية الديوان : وشعث يطابقن وقد لحق البيت في الاصلين عندنا تصحيف وتحريف . أ : الدراعين . ت : الذراعين أ و ت : الهراشا . أ و ت : تطابقن .

(٣) في الاصلين : الهراش .

(٤) البيت لزهير في ديوانه ص ٥٤ . وعَثّر : موضع باليمن .

° انظر باب المطابقة في حلية المحاضرة ـ الجزء الاول ـ ص ٤٠ ـ ٤٣ ـ طبعة هلال ناجي ـ والعمدة ٢ / ٥ ـ ١٢ . والبديع في نقد الشعر لاسامة بن منقذ ص ٣٦ ـ ٤٠ وحسن التوسل ١٩٩ وجوهر الكنز ٨٤ وتحرير التحبير ١١١ ونقد الشعر ١٨٥ وخزانة ابن حجة ٦٩ والتبيان للزملكاني ١٧٠

(٥) تعريف الخليل بن احمد هذا انظره في العمدة ٢ / ٦ . وفيها : على حذو واحد والصقتهما .

(٦) الاودي هو الأفوه الاودي . وقد حرف في ت الى : الازدي .

وأقطعُ الهوجلَ مستأنساً بِهَوْجَلٍ عَيْرانةٍ عنتريس(١)

* [وهذا عند سائر اهل هذا العلم تجنيسٌ مستوفى .

وقد يجمع بين قول الخليل وقُدامة بأن يجعل الشيئين المعنيين . والحد(٢) الواحد اللفظة . وتكون مطابقة اللفظة للمعنى أي موافقته . ومن قولهم فلانٌ يطابق فلاناً على كذا أي يوافقه عليه ويساعده فيه . فيكون مذهب قُدامة انَّ اللفظة وافقت معنى ، ثم وافقت معنىً آخر(٣).

وقال الرمّاني : المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان(٤). هذا الحد يشمل قول الفريقين وقدامة . واصلها ان تكون بالمعنى وضدّه كقول كثيّر :

ووالله ماقاربتُ الآ تباعَدتْ بِصَدْمٍ ولا أكثرتُ الآ أقلَّتِ(٥)

وقال ابن المعتز ويروى لا بن المعذل :

هوايَ هوىً باطنٌ ظاهرٌ قديمٌ حديثٌ لطيفٌ جليلُ(٦)

وقد أجرى ماقام مقام الضدّ مجراه ، كقول هدبة بن الخشرم(٧).

فان تقتُلوني في الحديد فانّني قتلتُ أخاكم مطلقاً لم يُقَيّدِ

لأنّ معناه ، فان تقتلوني مقيّداً فاني قتلتُ اخاكم مطلقاً .

---

(١) البيت الأفوه الاودي في الطرائف الادبية ص ١٦ ونقد الشعر ص ١٦٨ والصناعتين ٤٣٨ والعمدة ١ / ٣٢٢ وسر الفصاحة ١٨٧ ونهاية الارب ٧ / ١١٣ . ورواية البيت في جميع هذه المصادر عدا العمدة ، عيرانه عنتريس . وروايته في حلية المحاضرة ١ / ٤٠ ، غيطموس وفي العمدة ، عيطموس . والهوجل الاولى ، الارض لانبت فيها . والهوجل الثانية ، الناقة السريعة .

(٢) العمدة ، الحذو الواحد

(٣) انظر قول قدامة في كتابه نقد الشعر ص ١٨٥

(٤) تعريف الرماني انظره في العمدة ٢ / ٦ .

(٥) البيت لكثير في ديوانه ص ١٠٠

* - بداية السقط في المخطوطة الحجازية المرموز لها بالأصل .

(٦) البيت لا بن المعتز في ديوانه ١ / ٢٣٧ .

(٧) البيت لهدبة في ديوانه ص ٨٤ . وروايته ، ان تقتلوني

وقال ايضاً :

فانْ يَكُ أنفي زال عني جَمالُهُ　　　فما حَسَبي في الصالحينَ بأجْدَعا(١)

كأنّه قال : فان يكُ أنفي أجدع فما حسبي بأجدع .

وقال الله عزَّ وجلّ « (ولكم في القصاص حياة) »(٢) لانَّ معناه القتل أنفى للقتل . فصار القتل سبب الحياة .

من كلام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في خطبة(٣) (فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة قبل الهرم(٤) . ومن الحياة قبل الممات ، فوالذي نفسي(٥) بيده مابعد الموت مستعتب(٦) . وما بعد الدنيا دار ، الّا الجنة أو النار)

وقد زعم بعضهم ان افضل مطابقة وقعت قول ابن كلثوم :

بانّا نورد الراياتِ بيضاً　　　ونُصْدِرُهُنّ حُمْراً قد رَوينا(٧)

وليس كما زعم ، لانّ الناس متفقون على ان جميع المخلوقات : مخالف ، وموافق ، ومضاد ، فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فانّما هو على سبيل المسامحة(٨) .

قال الرمّاني وغيره(٩) : السواد والبياض ضدان ، وسائر الالوان يضادّ كل واحد منهما صاحبه ، الا انّ البياض هو ضدّ السواد على الحقيقة ، لانّ(١٠) كل واحد منهما كلما قوي زاد بُعداً من صاحبه ، وما بينهما من الالوان كُلمّا قوى زاد قرباً (من السواد ، فان ضَعُف زاد قربا) من البياض ، ولأن البياض مُنْصَبغٌ لا يصبغ والسواد

(١) البيت لهدية في ديوانه ص ١١٠ . وروايته : بأنْ منه جماله .

(٢) الآية الكريمة رقم ١٧٩ م سورة البقرة رقم ٢ . وتمام الآية (ياأولى الالباب لعلكم تتقون)

(٣) الحديث النبوي الشريف في العمدة ٢ / ٨

(٤) في العمدة : نفس محمد بيده

(٥) في العمدة : من مستعتب

(٦) البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته انظره في ص ٣٨٨ من شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات للانباري .

(٧) انظر العبارة في العمدة ٢ / ١٠

٨ انظر قول الرماني في العمدة ٢ / ١١

٩ العمدة : اذ كان كل .

١٠ مابين عضادتين ساقط من الاصلين فاستضفناه من العمدة ٢ / ١١ .

صابغ لا يتصبغ . وليس سائر الالوان كذلك . لانها تصبغ وتتصبغ . وهذا ظاهر فمن شكَّ فيه فلا يعدّ من العقلاء فضلاً عن العلماء . واذا دخل التجنيس نَفْيَ عُدَّ طباقاً . واذا دخل التطبيقَ نَفْيٌ عُدَّ جناساً . وسيفرد ذلك بباب ان شاء الله تعالى(١) . وقد غلط من طابق بين الجمال والقبيح كقول بعض المحدثين :

وَجْهُه غايةُ الجمالِ . ولكن فعله غايةٌ لكلِّ قبيح(٢)

لأنّ ضدَّ الجمالِ الدمامةُ . وضد القبح الحسنُ . وكذلك أخذت واعطيت لأن الأخذ ضد الترك . والاعطاء ضد المنع . فهذا ونحوهُ عندي يجوز أن يدخل في باب المخالف مسامحة . وقد قال زهير :

اذا أنْتَ لم تَعرِضْ عن الجهل والخَنا أصَبْتَ حَليماً أو أصابَكَ جاهلُ(٣)

والحلم ليس بضدّ الجهل . وانما ضدّ الجهل العلم او المعرفة أو ماشاكلهما .

باب التجنيس *

وهو انواع منها « المستوفى » ويسمّى « المماثلة والمحقق » : وهو أن تتكرر اللفظة باختلاف المعنى . كقول زياد الاعجم يرثي المغيرةَ بن المهلّب :

---

(١) العمدة ١ / ٣٣٢

(٢) العمدة ٢ / ١٢

(٣) البيت في شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٠٠ وروايته : اذا انت لم تُقْصِرْ

* انظر مبحث التجنيس في حلية المحاضرة ١ / ٤٣ والعمدة ١/ ٣٢١ وبديع أسامة ص ١٢ ـ ٣٥ واللمعة في صنعة الشعر لأبي البركات محمد ابن الانباري النحوي ص ١ وتحرير التحبير ١٠٢ ـ ١١٠ وبديع ابن المعتز ٥٥ ونقد الشعر تحت اسم المطابق والمجانس ١٨٦ وجواهر الالفاظ ص ٤ تحت اسم الاشتقاق وكتاب الصناعتين ٣٣٠ والتبيان للزملكاني ١٦٦ وخزانة ابن حجة ٢٠ ونهاية الارب ٧ / ٩٠ والطراز ٢ / ٣٥٥ وحسن التوسل ١٨٣ والوافي في العروض والقوافي للتبريزي ٥٧ ومعالم الكتابة ص ٧٣ والوساطة ٤١ والنكت في اعجاز القرآن للرماني ٩٩ وسر الفصاحة ٢٢٦ وأسرار البلاغة ٤ والمثل السائر ١ / ٢٤٢ وانظر كتاب « الانيس في غرر التجنيس للثعالبي » .

فانْعَ المُغيرةَ للمُغيرةِ اذْ بَدَت شعواءُ مشعلة كنبح النابح(١)

(فالمغيرة الاولى : رجل ، والمغيرة الثانية : الفرس)

ومن مليح هذا النوع قول ابن الرومي :

للسود في السود آثارٌ تركنَ بها لَمْعاً من البيضِ تثني أعينَ البيضِ(٢)

فالسود الاولى : لليالي ، والثانية : شعر الرأس واللحية . والبيض الاولى الشيبات . والاخرى : النساء . ويقرب من هذا النوع وليس به قول ابن الرومي :

له نائلٌ مازال طالبَ طالبٍ ، ومرتاد مرتادٍ ، وخاطب خاطبِ(٣)

الاّ أنّ هذا أدْخل في باب الترديد ، والترديد نوع من المجانسة . وقال حبيب

ليالِيَنا بالرقَّتينِ وأهلها سقى العَهد منكِ العُهد والعُهد والعَهْدُ(٤)

فالعهد الاول : الوقت . والثاني : الحفاظ من قولهم لفلانٍ عهد . والثالث : الوصية ، من قولهم عهد اليّ فلانٌ أي أوصاني . والرابع : المطر وجمعه عهاد . وقيل : بل أراد مطراً بعد مطر . وفسر ذلك فقال :

سَحابٌ متى يَسْحَبْ على الارض ذَيلَهُ فلا رَجلٌ يَنْبو لديه ولا جَعْدُ(٥)

قال ابن رشيق : واستثقل قومٌ هذا التجنيس وحُقّ لهم .(٦)

ومنها « التحريف » . وهو ماتفقت حروفه دون وزنه . رجع الى الاشتقاق أو لم يرجع ، كقول احد بني عبس :

---

(١) البيت لزياد الاعجم في مجموع شعره ص ٦٤ وروايته : شعواء مجحرة وفي جنان الجناس للصفدي ص ٢٠ : شعواء مشعلة

(٢) ديوان ابن الرومي ص ١٤١٩ نقلاً عن العمدة وخزانة ابن حجة ص ٣٧ .

(٣) البيت في ديوان ابن الرومي ص ٢١٨

(٤) البيت لابي تمام في ديوانه ٢ / ٨٥

مابين عضادتين استضفناه من العمدة ١ / ٣٢١

(٥) البيت لابي تمام في ديوانه ٢ / ٨٧ . ورواية الديوان : على النبت ذيله ... ينبو عليه .

(٦) كلام ابن رشيق هذا انظره في العمدة ١ / ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

وذاكُمْ أنَّ ذُلَّ العار حالفكُمْ وانّ أنْفَكُمْ لا يعرف الأنفا

فاتفقت الكلمتان في الحروف دون البناء ورجعتا الى أصل واحد . وهذا عند قدامة أفضل تجنيس .

وقال القاضي ابو سعيد :

قلبٌ وقلبٌ في يَدَيـــك مُعَذَّبٌ ومُنَعَّمُ
ظمآنُ يطلبُ قطرةً تروي صَداهُ ومُفْعَمُ

ومنها « المشتق » والجرجاني يسميه المطلق . قال : وهو اشهر أوصافه كقول جرير :

فما زال مَعْقُولاً عِقالٌ عن النّدى ومازال محبوساً عن المجد حابسُ(١)

وقوله ايضاً . وفيه المضارعة والمماثلة والاشتقاق :

تقاعَسَ حتى فاته المجدُ فَقْعَسٌ وأعيا بنو أعيا وضَلَّ المضلّلُ

وقول أبي تمام :

بحوافرٍ حُفْرٍ وصُلْبٍ صُلَّبٍ وأشاعرٍ شُعْرٍ وخَلْقٍ أخْلَقِ(١)

ومنها « المغاير » : وهي ان يكون احداهما اسماً والاخرى فعلاً . كقول غيلان :

« على عُشَّرٍ نَهّى به السيلَ أبطحُ »(٢)

وقوله : نَهّى به السيل . أي جعل نهايته هناك فلم يجد بعده منصرفاً فهو أنعم له واكثر لُدونةً . وقيل نَهّى به : أي ترك بهْ نهياً وهو الغدير . وكقول ابي الحسن وقد جاء عن غير قصد :

---

(١) البيت بالنسبة ذاتها في بديع ابن المعتز ص ٢٧ وهو في نقد الشعر لقدامة ص ١٨٩ وفي العمدة ١ / ٣٢٣ وفي حلية المحاضرة ١ / ٤٥ وفي سر الفصاحة ١٨٦ وفي انوار الربيع ١ / ١١٥ وروايته في جميع المصادر المتقدمة ، ذل الجار .

(٢) البيتان له في بديع اسامة ص ٢١ ورواية عجز الثاني ، تشفي صداه .

ماترى الساقي كشمسٍ طلعت تحمل المرّيخ في برج الحَمَلْ(٦)

فبهذا التجنيس تمّ المعنى وظهر حسنه ، لانّ برج الحمل بيت المريخ وموضع شرف الشمس ، فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه ومظهراً لخفيِّ محاسنه ، وحصل التجنيس فضلة من غير تكلف ولا قصد ، الاّ انّ الغالب أن يكون التجنيس مقصوداً اليه ، مأخوذاً منه ، ماسامحت فيه القريحة وأعان عليه الطبعُ . (٧)

ومنها « المماثل » : وهو أن يكونا اسمين أو فعلين كقول ابي فراس ، وهو من جيّد التجنيس ومستحسنه :

سكرتُ مِنْ لحظِهِ لامنْ مَدامَتِه ومالَ بالنومِ عن عِيْني تمايُلُهُ
وما السُّلافُ دَهَتْني بل سَوالِفُهُ ولا الشَّمولُ دَعَتْني بل شمائِلُهُ
ألوي بصبري أصداغ لُوينَ لهُ وغالَ قلبي (ما) تحوي غلائِلُهُ(٨)

قول بعضهم :

اذا اعْطَشَتْكَ أكُفُّ اللئامِ كَفَتْكَ القناعةُ شِبْعاً وَرِيّاً
فكُنْ رجُلاً رِجْلُه في الثَّرى وهامةُ هِمَّتِهِ في الثُّرَيّا
فانَّ اراقةَ ماءِ الحَيا ةِ دونَ اراقِهِ ماءِ المُحَيّا(٩)

ومنها « المضارعة » وهو على ضروب فمنها « تجنيس التصريف » وهو ان يكون فيهما حرفان من مخرج ، أو يكونا متقاربين وسائرهما مكرر ، كقوله عزّ وجلّ «(وهم ينهون عنه وينأون عنه)» .(١٠)

(١) البيت لجرير في ديوانه ص ١٨٤ وروايته ، عن العلا .
(٢) لم أجده في ديوان جرير وهو له في العمدة ١ / ٣٢٤ .
(٣) البيت لابي تمام في ديوانه ٢ / ٤١٠
(٤) عجز بيت لذي الرمة في ديوانه ص ٨١ ورواية صدره ، كأنّ البرى والعاج عيجت متونُه
(٥) هو ابو الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب ، ممدوح ابن رشيق وقد صنف العمدة باسمه .
(٦) البيت لابي الحسن المذكور في العمدة ١ / ٣٢٩

(٧) انظر العمدة ١ / ٣٢٩ ـ ٣٣٠
(٨) الابيات لابي فراس في ديوانه ص ٢٢٥ (طبعة صادر) . رواية عجز الثاني ، ولا الشمول ازدهتني ورواية الثالث ، الوى .... وغال صبري .
(٩) الابيات دون عزو في بديع اسامة ص ١٦ . ووقفت عليها في موضع فاتني قيده منسوبة للنعيمي .

(١٠) الاية الكريمة رقم ٢٦ ك سورة الأنعام رقم ٦

ومن كلام الرسول عليه السلام ـ لرجل سمعه ينشد على سبيل الافتخار ، وقيل : بل سأله عن نسبه فقال :

انى امرؤ حميريٌّ حين تنسبني   لامن ربيعة آبائي ولا مُضَرَ

فقال له (النبي) ـ صلى الله عليه وسلم ـ (ذلك) والله ألأم لجدّك ، وأضْرعُ لحدّك ، وأفلّ لحدّك ، واقل لعدّك ، وأبعد لك من الله ورسوله » . (١)

وقال بعضهم :

لله مافـعـلـتْ بـنـا   تـلـك المـحاجر في المـعاجرْ
أمـضى وأرهَـفُ في الـقـلو   بِ من الخناجر في الحناجرْ(٢)

وقال ابن هرمة :

وأطْـعَـنَ لِـلْـقرنِ يومَ الوَغى   وأطْعَمَ في الزَّمَنِ الماحلِ(٣)

ومنها « الترجيعُ » : ويسمّى الناقص ، وهو أن ترجع حروف احداهما في الاخرى ، كقوله عزّ وجلّ «(ان رّبهم بهم)»(٤)

وقول حبيب :

يمدون من أيْدٍ عواصٍ عواصِمٍ   تَصُولُ بأسْيافٍ قَواضٍ قَواضِبِ(٥) ..

وقول البحتري :

فيالَكَ من عَزْمٍ وحَزْمٍ طواهُما   جديدُ البلى تحت الصَّفا والصَّفائحِ(٦)

آخر :

وما مُنِعَتْ دارٌ ، ولا عَزَّ أهْلُها   منِ الناسِ الاّ بالقَنا والقَنابلِ(٧)

---

(١) الخبر والحديث النبوي الشريف في العمدة ١ / ٣٢٦ . وما بين عضادات استضفناها منها .
(٢) البيتان دون عزو في بديع اسامة ص ٢٢ . رواية الاول ، ماصنعت بنا .
. وهما في « الصناعتين » ص ٣٤٣ ورواية الثاني ، امضى وانفذُ .
(٤) البيت لابن هرمة في ديوانه ص ١٩٥ وروايته ، واضرب .

(٤) رقم الآية ١١ ك سورة العاديات رقم ١٠٠ . وتمام الاية الكريمة ، يومئذ لخبير .
(٥) البيت لابي تمام في ديوانه ١ / ٢٠٦
(٦) البيت للبحتري في ديوانه ١ / ٤[illegible] وروايته ، من حزم وعزم ... جديدُ الردى
(٧) البيت دون عزو في بديع اسامة ص ٢٦ . القنا ، الرماح . القنابل ، الطائفة من الناس ومن الخيل .

وقال بعضهم :

فمن داعٍ ومن راعٍ ومن مُطْرٍ ومن مُطرقْ
وكل خاشع الطرف لديه خاضع المنطق(١)

وقال بعض البلغاء : « ربّما أسْفَرَ السَّفرُ عن الظَّفرِ . وتَعَذَّرَ في الوطنِ قضاء(٦) الوطرِ » ومنها « العكسُ » : وهو أن تتكرر حروفهما غير مرتبة . كقول كعب يمدح النبي – صلى الله عليه وسلم – :

تحمله الناقةُ الادماءُ مُعْتجِراً بالبُرْدِ كالبدرِ جلّى ليلةَ الظُّلَمِ
وفي وشاحيه او اثناء بُردَته مايعلم الله من خيرٍ ومن كَرمِ(٧)

وقول حبيب :

بيضُ الصَّفائح ، لاسُودُ الصَّحائِفِ ، في مُتُونهنَّ جِلاءُ الشَكِّ والرِّيَبِ(٤)

ومنها « التصحيف » : وهو أن يكون النقط فرقاً بينهما . كقول البحتري :

ولمْ يَكُنِ المُغْتَرُّ باللهِ اذْ سَرَى لِيُعْجِزَ والمُعْتَزُّ باللهِ طالبُهْ !(٥)

وقال بعض البلغاء : « خُلْفُ الوَعْدِ من خُلُقِ الوَغْدِ » .(٦)

ومنها « التركيب » : وهو نوعان : أحدهما ان يركّب من كلمتين كحروف اخرى لفظاً . كقول بعضهم :

---

(١) البيتان دون عزو في العمدة ١ / ٣٢٧ .

(٢) القول للثعالبي انظره في مخطوطة « زاد سفر الملوك » الورقة ٤٦ ب . وقبله : اذا نبا بك بلدك فاستمر خافيه الغراب في الاغتراب او قادمة العقاب في اقتحام العقاب فربما أسفر ...

(٣) البيتان ليسا في ديوان كعب

ونسبا لعبد الله بن رواحة في تحرير التحبير ص ١٠٨ – ١٠٩ ورواية الثاني : وفي عطا فيه ... من دين وهما ليسا في ديوان عبدالله بن رواحة ولا في المستدرك على الديوان صنعة الدكتور سامي العاني .

(٤) البيت لابي تمام في ديوانه ١ / ٤٠

(٥) البيت للبحتري في ديوانه ١ / ٢١٥

(٦) القولة في العمدة ١ / ٣٢٧ دون عزو .

عارضاهُ في ماجَـــــنى عارضاه　　　أو دَعاني اضنى بما أوْ دَعاني(١)

وقول الآخر :

وانْ أقَرُّ على رقٍ أناملَهُ　　　اقرُّ بالرقّ كُتّابُ الأنام لَهُ(٢)

والاخر ان تكون احداهما مركبة من اسم وضمير مضاف كقول بعضهم :

انْ تَرْمِكَ الغربةُ في مَعْشرٍ　　　تَضافروا فيكَ على بغضهم
فدارِهِـــم مادُمْـــتَ في دارهـــم　　　وأرْضِهِمْ مادُمْتَ في أرْضِهم(٣)

وَمِثْلُهُ صدرُ البيت الذي تقدّم وهو :

« عارضاه في ماجنى عارضاهُ »

ومنها « المضاف » كقول أبي سعد :

أعان بدرَ الـــتـــمام ظُـــلـــماً　　　على المُعَنّى * ليلَ التمام(٤)

فهذا وما جرى مجراهُ اذا اتّصَلَ عُدّ تجنيساً . واذا انفصَلَ لم يُعدُّ لانّ معنى التمام وان كان واحداً . فقد صار كائنين لمّا قَرَنَهُ تارةً بالليل وتارة بالبدر . هذا حُكم هذا النوع عند جماعةٍ منهم الجرجاني ...

---

(١) البيت لابي الفتح البستي في المنزع البديع للسجلماسي ص ٤٩١ وروايته . بما جِنتَ ... أمْتَ بما وهو للبستي في بديع اسامة ص ٣٤ وروايته : ناظراهُ فيما جنى ناظراه
وانظره بالرواية الاخيرة في ديوان البستي ص ٣٠٨ / او دعاني امت بما أودعاني صنعة الدكتور محمد مرسي الخولي وهو للطاهر البصري في أنيس الجليس في غرر التجنيس و ١١

(٢) البيت لأبي الفتح البستي في يتيمة الدهر ٤ / ٣١٠ وروايته ، وان أمُر

(٣) البيتان لابن فضالة المجاشعي القيرواني في معاهد التنصيص ٢ / ٧٠ ورواية الثاني ، ان تلقك .... قد اجمعوا .

* نهاية السقط في المخطوطة الحجازية المرموز لها بالحرف أ .

(٤) لم اظفر بتخريجه ، وقد انشد ابن رشيق في العمدة ١ / ٣٣٠ من التجنيس المضاف ماهو شديد الشبه به معنى ومبنى وهو :

أيا قمرَ الـــتـــمام أعنــتَ ظــلــما　　　عــلــي تَــطولَ الــلــيــلِ الــتــمام

والرمّاني (١) يسميّ هذا النوع مزاوجاً (٢) ومَثَلة عندَهُ قولُ آخر :

خَمَتْني مِياهُ الوَفْر منها مَوارِدي فلا تَحْميانى وِرْدَ ماءِ العَناقِدِ (٣)

ومن المزاوجة عنده قوله عزّ وجلّ : «(يخادعُون اللهَ وهو خادعُهم)» (٤) و «(فمن أعتدى عليكم فأعتدُوا عليه بمثل ماأعتدى عليكم) » . (٥)

ومن مايُعدّ مجانسةً وليس بها قول الأعشى :

ان يَسُدِ الحوضَ فلم يَغْدُهُم وعامرٌ ساد بني عامرِ (٦)

(لانّ معناهُما واحدٌ ألا ترى الى قوله « ساد بني عامر ») (٧) فأضاف البيتين اليه . ولو قال « ساد عامراً » يعني القبيلة لكان تجانساً غير مدفوع . ومثلهُ قولُ آخر :

قَتَلْنا به خيرَ الضُبَيْعات كُلّها ضُبيْعَةِ قيسٍ لاضُبَيْعَة أضْخَما (٨)

لانّ كلتيهما قبيلتان . فكأنما جمعَ بينَ رَجُلَيْنِ مَتَفقي الاسم . وحقيقة المجانسة عند (   ) الرماني المناسبة بمعنى الاصل . كقول حبيب :

السيفُ أصْدَقُ أنباءً من الكُتُبِ في حدِّهِ الحَدُّ بينَ الجِدّ واللَّعِبِ (٩)

لانّ معناهما جميعاً أبلغُ . وأمّا قولك : قَرُبَ واقترب : والطلوع والمطلع وما شاكلها . فمن تصرّفِ اللفظ عنده فلا يُعدّ تجنيساً . ومن تصرّف المعنى عنده قولك : عين الميزان . وعين الانسان . (وعينُ الماءِ) (١٠) ونحوُهُ . ومن تصرُّف اللفظِ والمعنى جميعاً قولك : الضربُ والمضاربة والاستضرابُ وما أشبه ذلك . وكثيراً مايَستَعْمِلُ هذا

(١) ت : الترماني . وهو تحريف واضح

(٢) ت : مزواجاً . وهو تحريف .

(٣) البيت دون عزو في العمدة ١ / ٣٣٠ .

(٤) الآية الكريمة رقم ١٤٢ م سورة النساء رقم ٤ والآية بتمامها « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم » .

(٥) الاية الكريمة رقم ١٩٤ م سورة البقرة رقم ٢ .

(٦) البيت للأعشى في ديوانه ص ١٤١ ورواية صدره : سُدْت بني الاحوص لم تَعْدُهُم

(٧) ما بين عضادتين ساقط من ت .

(٨) البيت دون عزو في العمدة ١ / ٣٣٠ .

(٩) البيت لابي تمام في ديوانه ١ / ٤٠

(١٠) ما بين عضادتين سقط من ت

النوع جماعةٌ من شعراء وَقْتنا المذكورين . ويظنونَ انهم قد اتَوْا بشيء . ومن غريب التجنيس قولُ دعبل في امرأته سلمى : (١)

انّي أحِبُكِ حُبّاً لو تَضَمَّنَهُ « سلمى » سَمِيُّكِ ذلُّ(٢) الشاهقُ الراسي

فـ خنّسَ من غير ذكر تجنيس . (٣) لانَّ قولَهُ سَمِيُّكِ دالٌّ على مُرادِهِ .

باب الترديد *

وهو ان تُعَلّق لفظة بمعنى في البيت . ثم تورد معلقة بآخر فيه . كقول زهير :

ومن هابَ أسبابَ المنايا يَنَلْنَهُ ولو رامَ اسبابَ السماءِ بسُلَّمِ(٤)

وقد قدّم علماءُ الشعر أبا حيّة النميري في هذا الباب في قوله :

الا حيِّ من اجلِ الحبيبِ المغانيا لبِسْنَ البِلى ممّا لَبِسْنَ اللياليا
اذا ماتقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقاضاهُ شيءٌ لايَمَلُّ التقاضيا(٥)

فالترديد الذي انفرد فيه بالاحسان عندهم قوله :

لبسن البلى من مالبسن اللياليا

وكذلك قوله ، اذا ماتقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه . لانّ الهاء كناية عن المرء ، وان اختلف اللفظ .

---

(١) البيت لدعبل الخزاعي في ديوانه ص ٢١٣ وروايته ، ذلٌّ

(٢) في العمدة ١ / ٣٣٢ ، ذاك ، وهو تحريف .

(٣) في العمدة ١ / ٣٣٢ ، جنس .

* الباب كله ساقط في الاصل . وانظر مبحث الترديد في المصادر التالية ، العمدة ١ / ٣٣٣ بديع ابن منقذ ص ٥١ خزانة ابن حجة ١٦٤ حلية المحاضرة ٥٢ ــ ٥٤ الطراز ٣ / ٨٢ ــ ٨٣ نهاية الادب ٧ / ١٤١ حسن التوسل ٢٦٤ وتحرير التحبير ٢٥٣ ــ ٢٥٦

(٤) البيت لزهير في شرح ديوانه ص ٣٠ وروايته ، ولو نال .

(٥) البيتان لأبي حية النميري في ديوانه ص ١٠٠ ــ ١٠١

ويلحق هذا قول أبي نواس :

حمراءُ لاتنزل الاحزانُ ساحتَها لو مَسَّها حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرّاءُ(١)

وقول الخليع الحسين بن الضحاك :

لقد مَلَأتْ عيني بغُرّ محاسنٍ مَلأنَ فؤادي لوعةً وهُموماً(٢)

لقرب مابين اللفظتين . وكذلك قول حبيب :

راحٌ اذا ماالراحُ كُنَّ مَطِيَّها كانَتْ مَطايا الشَّوقِ في الأَحْشاءِ(٣)

المراد : مطيّها ومطايا الشوق .
ومن مليحه قول امرىء القيس :
فَثَوْباً نسيتُ وَثَوْبا أَجُرْ (٤)

وحمله قوم على أنه تكرار فاخطئوا . لأنَّ الثاني قد أفاد غير الاول على حسب ماشرطوا(٥).
ومن مليحه قول ابن العميد :

فانْ كانَ مَسْخُوطاً فَقُلْ شِعْر كاتبٍ وانْ كانَ مَرْضيّاً فَقُلْ شِعْر كاتبِ(٦)

لأنَّ قوله عند السخط « شعر كاتب » انما معناه التقصير وبسط العذر اذ ليس الشعر من صناعته . كما حكى ابن النَّحاس(٧) انهم يقولون « نَحْوُ فلانٍ كتابي » اذا لم يكن مجوّداً . وقوله عند الرضا « شعر كاتب » انما معناه التعظيم له . وبلوغ

(١) البيت لابي نواس في ديوانه ص ٦ (طبعه الغزالي) وروايته : صفراء
(٢) البيت للحسين بن الضحاك في ديوانه ص ١٠٧ وروايته : بحُسن محاسنٍ .
(٣) البيت لابي تمام في ديوانه ١ / ٢٧ . والراح الاولى الخمر . والراح الثانية : جمع راحة الكفّ .
(٤) عجز بيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٥٩ وصدره : فلمّا دنوتُ تسدَّيْتُها
(٥) وهذا الرأي لابن رشيق اورده في العمدة ١ / ٣٣٥
٦ البيت لابن العميد في العمدة ١ / ٣٣٥ و ٢ / ١١٠
٧ في الاصل : ابن النجار . وهو تحريف والتصويب عن العمدة ١ / ٣٣٥

النهاية في الظرف والملاحة . لمعرفة الكتّاب باختيار الالفاظ وطرق البلاغات . فقد ضادّ وطابق (في المعنى)(١). وان كان اللفظ تجنبياً مُرَدَداً(٢).

ومن أحسنه قول غيره :

فَصُبْحُ الوصالِ وليلُ الشَباب ... وصُبْحُ المَشيبِ وليلُ الصَّدود(٣)

باب التصدير *

ويسمّى ردّ الكلام على صدره ، وهو يشبه الترديد وليس به . والفرق بينهما انّ هذا مخصوص بالقوافي ترد على الصدور مع اتحاد معلقها وذلك في حشو البيت غالباً . ومعناه : ان تردّ عَجُزَ البيت على صدره ، فيدلّ بعضه على بعض ، ويسهل استخراج القافية ، ويكتسي بذلك رونقاً وديباجة . وهو ثلاثة انواع : أحدها : ان يوافق أوّل كلمة من البيت الآخر كقول جرير(٤).

غدأ باجتماع الحيّ نقضي لُبانةً ... وأقسم لاتُقْضَى لُبانَتُنا غَدا

والثاني ، أن يتفق آخر مصراعيه كقول(٥):
والثالث ، أن يوافق آخره بعض مافيه كقول جرير :

سَقى الرملَ جَوْنٌ مُسْتَهِلٌ رَبابُهُ ... وماذاكَ الاّ حُبُّ من حَلَّ بالرملِ(٦)

---

(١) زيادة استضفناها من العمدة ١ / ٣٣٥
(٢) في الأصل ، مردودا ، وهو تحريف .
(٣) البيت دون عزو في العمدة ١ / ٣٣٦ .
(٤) البيت لجرير في ديوانه ص ٨٤٨
* انظر باب التصدير في المصادر التالية ، حلية المحاضرة (١/ ٥٨ طبعة هلال ناجي) . والعمدة ٢ / ٣ – ٥ وسماه ابن الاصبع في تحرير التحبير ص ١١٦ باب رد الاعجاز على الصدور . وبديع ابن المعتز ٤٧ – ٥٣ وخزانة ابن حجة ١١٤ وحسن التوسل ٢١٤ .
وهذا الباب كله ساقط في المخطوطة الحجازية المرموز لها با بالحرف آ .

(٥) بياض بعدها في الاصل وابن المعتز يورد شاهداً لهذا النوع قول الشاعر :
تلقى اذا الامرَ كان عرمرماً ... في جيش رأي لايُفَلُّ عرمرم
(انظر البديع ٤٨) وروايته في العمدة ٢ / ٣ ، يُلفى اذا ماالجيش .
(٦) البيت لجرير في ديوانه ص ٩٤٨ .

فالتصدير عندي اعادةُ اللفظة مكررة . وقد أُنشد جماعة ابياتاً في هذا الباب يشتمل عليها حدَ الترديد ، وعلى بعضها حدَ التجنيس كما شرطوا امّا سَهْواً ، أو لانَ التصدير عندهم ردَ القافية . امّا مكررة أو معلقة بمعنى آخر أو مختلفة المعنى . كأنهم فعلوا ذلك مجازاً . أو مسامحة ، لانَ اللفظة وان اختلف معناها ، أو عُلّقت بمعنيين فانها مكررة لفظاً . وهذا العذر عمَن لم يحدّ الترديد . فامّا من حدّه ، فليس يبرأ من عهدة الغلط . فمن ذلك ماأنشده ابن رشيق :

يُلفى اذا ماالجيشُ كان عرمرماً في جيشِ رأيٍ لايُرام عرمومِ(١)

وانشد :

سريعٌ الى ابنِ العمّ يَشْتم عِرْضَهُ وليسَ الى داعي النَّدى بسَريعِ(٢)

وأنشد لابن احمر :

تَغَمَّرْتُ منها بعدما نَفِدَ الصّبا ولم يَرْوَ من ذي حاجةٍ من تَغَمُّرا(٣)

وكل هذا ترديد ، لانَّ الثاني قد أفاد غير فائدة الاول ، كما ذكر في بيت ابن العميد وبيت الكندي .

ومن أنواعه نوع يسمى « المضادة » والكُتّاب يسمّونه « التبديل » ، كقول الفرزدق :

أَصْدِرْ هُمومَكَ لايَغْلِبْكَ وارِدُها ، فَكُلُّ وارِدَةٍ يَوْماً لها صَدَرُ(٤)

ويقاربه قول ابن الرومي :

رَيْــحانُــهُــمْ ذَهَــبٌ على دُرَرٍ وشَرابُهُمْ دُرٌّ على ذَهَبِ(٥)

---

(١) البيت دون عزو في بديع ابن المعتز ص ٤٨ وفي العمدة ٢ / ٣

(٢) البيت للأقيشر الأسدي في معاهد التنصيص ٢ / ٨٢ وروايته ، يلطم وجهه . والبيت دون عزو في بديع ابن المعتز ص ٤٨ . وهو دون عزو في الصناعتين ٤٠١ وروايته ، يلطم وجهه ... داعي الوغى . وهو دون عزو في العمدة ٢ / ٣ ودون عزو ايضاً في انوار الربيع ٣ / ٩٥ ودون عزو في حسن التوسل ٢١٤ وبلا عزو في الحماسة البصرية ٢ / ٢٧٤ ونهاية الارب ٧ / ١٠٩.

(٣) البيت في ديوان عمر بن احمر الباهلي ص ٧٩

(٤) البيت للفرزدق في ديوانه ص ١ / ١٨٣ وروايته ، لايقتلك واردها .

(٥) البيت لابن الرومي في ديوانه ص ١٤٧ (الجزء الاول) .

وقول منصور بن الفرج في ذكر الشيب :

يا بـــياضاً أذرى دموعــيَ حــتى عاد منها سوادُ عيني بَياضا(١)

باب مااختلط فيه التجنيسُ والتطبيق *

اذا دَخلَ التجنيسَ نَفْيٌ عُدَّ طباقاً كقول الفرزدق :

لَعَمْري لئنْ قلَّ الحَصَى في عَدِيدكُم بَني نَهْشَلٍ مالُؤمُكم بِقَليلِ(٢)

فظاهِرُهُ تجنيسٌ ، وباطنُه تطبيقٌ ، لانَّ مَعْنى « قَلّ الحصا في عديدكُم » انكم كَثْرةٌ ، ومَعْنَى ( ) « مالؤمُكم بقليل » انَّهُ كثير .
وقولُ البحتريِّ :

تُقَيِّضُ لي من حيثُ لاأعلم النَّوى وَيَسْري اليَّ الشوقُ من حيثُ أعْلَمُ (٣)

فَظاهِرُهُ جِناسٌ وباطنُه طِباقٌ ، لانَّ قولَهُ لاأعلم كقوله أجهل . وفي الكتاب العزيزِ « (هل يَسْتوي الذّين يعلمونَ والذّينَ لايعلمونَ »)(٤) وقال اذ بن مالك لوَلَدِهِ في وصيَّة : « لاتكونوا كالجرادِ . أكَلَ ماوَجَد . وأكلَهُ ماوَجَدَهُ »(٥). فهذا مُجانسُ الظاهر مُطابِق الباطن . وكذلك جميعُ الاضدادِ تَجْري هذا المَجْرى كقولهم : جَلَلٌ بمعنى صغير ، وجَلَلٌ بمعنى كبير ، وجَوْنٌ للابيضِ وجَوْنٌ للاسود . وكذلك اسماءُ الفاعلينَ والمفعولينَ نحو خالق ومخلوق ، وطالب ومطلوب ، وَمُعْطٍ ومُعْطىً ، وَمُكْرِمٍ وَمُكْرَمٍ . وكذلك قَضَيْتُ واْقْتَضَيْتُ . وكذلك الوَعْدُ والوعيدُ وما أشْبَهَ ذلك ، لانَّ كُلَّ واحِدٍ منهما ضدُّ الآخر . فظاهِرُهُ تجنيسٌ وباطنُه تطبيقٌ ومن ماأُنشَدَهُ ثعلب :

---

(١) البيت لمنصور بن الفرج في بديع ابن المعتز ص ٥٠ والعمدة ٢ / ٤

* انظر هذا الباب في العمدة ٢ / ١٢ ـ ١٤

(٢) البيت للفرزدق في ديوانه ٢ / ٩١ وروايته ، في بيوتكم .

(٣) البيت للبحتري في ديوانه ص ١٩٢٨ .

(٤) الآية الكريمة رقم ٩ ك سورة الزمر رقم ٣٩ .

٥ القول منسوب في العمدة ٢ / ١٣ الى جلهمة بن أد بن مالك .

أبى حُبّي سُلَيْمى أن يبيدا وأضْحى حَبْلُها خَلقاً جديداً (١)

الجديدُ هنا : المجدودُ وهو المقطوعُ . وهو فَعِيلٌ بمعنى مفعولٍ . فهذا يُوهِم ظاهِرةُ الطباق عندَ من لا يُميِّز . فامّا المميِّزُ فيعلم انه لا يكون خَلقاً جديداً في حالٍ .

(   ) وقال العتّابيُّ يُعاتبُ المأمون وقد حُجبَ عنه وكان به حَفيّاً :

تَضْرِبُ الناسَ بالمهنَّدةِ البيضِ (م) على غَدْرهم وتَنْسَى الوفـاءَ (٢)

فظاهِرُ هذا طِباقٌ لذِكْرِ الغَدْرِ والوفاءِ . وباطِنُه جناسٌ . لانَّ قولَهُ : « وتنسى الوفاءَ » كقوله « وتَغْدِرُ » . وكذلك اذا دخلَ التطبيقَ نَفْيٌ عُدَّ جِناساً . كقول ابن الخطيم (١) :

وانّي لأغْنى الناسِ عن مُتَكَلِّفٍ يرى الناسَ ضُلّالاً وليسَ بمُهتدي

كأنّه قال « يَرى الناسَ ضُلّالاً وهو ضالٌّ » فجانسَ في الباطنِ . وطابقَ في الظاهر .

بابُ المقابلة (*)

المُقابلةُ بين التقسيم والطِباق . وتتصرّفُ في انواعٍ . وأصلها أن يُرتِّب الكلامُ على مايَجِبُ . فيُعْطى أوَّلهُ مايليقُ به اوّلاً . وآخرُهُ مايليقُ به آخِراً . ويؤتى في الموافق بما يُوافِقُهُ . وفي المُخالفِ بما يُخالِفُهُ . وأكثر ماتجيء في الاضدادِ . فاذا جاوزَ الطِّباق ضِدَّين كان مقابلة . كقول الجعديّ (٣) :

---

(١) البيت دون عزو في العمدة ٢ / ١٣ .

(٢) البيت في كتاب « العتابي ، حياته وما تبقى من شعره » صنعة الدكتور ناصر حلاوي ص ١٦ وروايته : تضرب الناس بالمثقفة السمر .

(*) انظر باب المقابلة في العمدة ٢ / ١٥ وتحرير التحبير ١٧٩ والصناعتين ٣٤٦ ونقد الشعر ١٥٢ ونهاية الارب ٧ / ١٠١ واللمعة في صنعة الشعر ص ٥ وسر الفصاحة ٢٥٨ وحلية المحاضرة ١ / ٤٩ ـ ٥١ (طبعة هلال ناجي) .

(٣) البيت لقيس بن الخطيم في ديوانه ص ٧٣ .

فتىً تمَّ فيه مايَسُرُّ صَدِيقَهُ ... على أنَّ فيه مايسوءُ الأعاديا(١)

فَقابَل يَسُرُّ بيسوء، وصديقه بالاعاديا. ولو كان كُلُّ مقابلٍ على وزنِ مقابلِهِ لكان ( ) أجود كما قال عمرو بن مَعْدِي كربَ:

ويَبْقى بعد حِلْمِ القومِ حِلمي ... ويَفنْى قبلَ زادِ القومِ زادي(٢)

فقال «يبقى بعد» و«يفنى قبل» كما ذكر.
وانشد قُدامةُ قول بعضهم:

فيا عَجَباً كيفَ اتَّفَقْنا، فَناصِحٌ ... وَفِيٌّ، وَمَطْوِيٌّ على الغِلِّ غادِرٌ؟!

قابلَ النُّصح والوفاء بالغِلِّ والغَدر.
ومن جَيِّدها قول بكر بن النطّاح:

أذْكي واوقد للعداوة والقِرى ... نارَيْنِ نارُ وَغىً ونارُ زِنادِ(٤)

ومِنْ خَفِيِّ القِسْمَةِ والمُقابلةِ قولُ عباس بن الأحْنَفِ.

اليومُ مِثْلُ الحول حتّى أرى ... وَجْهَكِ، والساعةُ كالشَّهرِ(٥)

وهذا مليحٌ لانَّ الساعةَ مِنَ اليوم كالشهر من الحول.
ومن كلام الصابى: «واعدّ لمحسنهم جَنَّةً وثواباً، ولمسيئهم ناراً وعقاباً»(٦)

---

(١) البيت للنابغة الجعدي في ديوانه ص ١٧٤

(٢) البيت لعمرو بن معد يكرب في ديوانه ص ٩٥ (طبعة مطاع الطرابيشي)

(٣) البيت دون عزو في العمدة ٢ / ١٥ وحلية المحاضرة ١ / ٥٠ ونقد الشعر ص ١٥٢ وروايته، فواعجبا وكتاب تحرير التحبير ١٨١ وروايته، فوا عجبا. ونهاية الادب ٧ / ١٠١ وانوار الربيع

(٤) البيت لبكر بن النطاح في ديوانه ص ١٨ وروايته:
اذكي ونور للعداوة والقرى ... نارين نار دم ونار رمادِ

(٥) البيت للعباس بن الاحنف في ديوانه ص ١٢٠ وروايته، مثل العام

(٦) كلمة ابراهيم بن هلال الصابي انظرها في العمدة ٢ / ١٨

ومن معيبها قولُ الكُميتِ يُخاطبُ قُضاعة :

رأيتكم من مالكٍ وادّعائه ... كرائمة الاولادِ من عَدَمِ النَّسْلِ

لانّ تشبيهَهُ وقع على الادّعاء والرِّيمانُ لا على صَحة المقابلة في التشبيهين ، لأنه زعم انهم يدّعون أباً وأنّها تدَّعي وَلَداً وهما ضِدّان .

والجيدُ قولُ بعضهم يهجو كاتباً : (٢)

حِمارٌ في الكتابةِ يدّعيها ... كدَعْوى آلِ حَرْبٍ في زيادِ(٣)

وممّا سقطَ فيه عبدالكريم من قبلِ المُقابَلَةِ وان كان تمثيلاً وتشبيهاً قوله ، (يمدح نزار بن معد صاحب قصر) : (٤)

الى مَلكٍ(٥) بين الملوك وبينَهُ ... مسافةُ ما بينَ الكواكبِ والتُّرْبِ(٦)

لانّه أتى بالملوك وبضمير الممدوح ، ثم أتى بالكواكب وهي جماعة تُقابل الملوك وبالترب وهو واحدٌ يقابلُ الضمير باتّحادِه فأوجَبَ له بهذا الترتيب ان يكون هو التربَ ، وتكون الملوك هي الكواكب ، ومُرادُه أن يجعله موضع الكواكب ويجعلهم موضع الترب .

ومن انواعها ماليس مخالفاً ولا مُوافقاً كما شُرِطَ ويسمّى هذا النوعُ « موازنةً » كقول النابغة :

أخلاقُ مَجْدٍ تجلّتْ مالها خَطَرٌ ... في البأسِ والجودِ بين الحلم والخبرِ

---

(١) البيت للكميت بن زيد الأسدي في ديوانه ٢ / ٥٩ وروايته ، كرائمة الاوتاد

(٢) ت ، كتاباً ، وهو تحريف .

(٣) البيت دون عزو في العمدة ٢ / ١٨ قال ، وانشده الجاحظ .
مابين عضادتين استضفناه من العمدة ٢ / ١٩ لفائدته

(٤) ت ، مالك ، وهو تحريف .

(٥) في الاصلين ، مابين الكواكب والبدر ، وهو تحريف بقرينة مابعده صوابه ماأثبتنا ، انظر العمدة ٢ / ١٩ ففيه البيت بعزوه .

(٦) البيت مما أخل به ديوان النابغة الذبياني ، وهو له في العمدة ٢ / ١٩

وعلى هذا ملأ النعمان فمَ النابغة دُرّاً .
(وكقول أبي الطيب) : (١)

نَصيبُكَ في حياتِكَ من حَبيبٍ ... نصيبُكَ في مَنامِكَ من خَيالِ (٢)

فوازَنَ « في حياتك » بقوله « في منامك » وكذا قولُه « من حبيبٍ » و « من خيالٍ » لانَّ تفعيلَهُما في العروضِ واحدٌ .
وقولُ غيلان :

اسْتَحْدَثَ الركبُ عن أشياعِهِمْ خَبَراً ... أمْ راجَعَ القلبَ مِنْ اطْرابِهِ طَرَبُ؟ (٣)

لأن « استحدثَ الركبُ » مُوازِنٌ « أمْ راجعَ القلبَ » و « عن أشياعهم خبراً » مُوازنٌ « من اطرابه طَرَبُ » . موازنة تحقيق وعدل . فالركبُ موازنُ القلب ، وعَنْ موازن مِنْ ، وأشياعهم موازنٌ اطرابه (٤).

باب التقسيم* ( )

وهو استقصاء الشاعر جميع اقسام ماابتدأ به . كقول بشار يصف هزيمةً :

بِضَربٍ يذوقُ الموتَ من ذاق طَعْمَهُ ... وتُدْرِكُ(٥) من نَجّى الفرارُ مَثالِبُهْ
فراحَ فريقٌ في الاسارِ ، ومثلهُ ... قتيلٌ ، وَمِثْلٌ لاذَ بالبحر هاربُه(٦)

---

(١) ما بين عضادتين ساقط من ت
(٢) البيت للمتنبي في ديوانه ص ٢٦٥ (طبعة صادر) .
(٣) البيت لذي الرمة في ديوانه ص ١
(٤) ت : اطرابهم ، وهو تحريف .
(٥) في الاصلين : ويدرك ، تحريف .
(٦) البيتان لبشار بن برد في ديوانه (جمع وتحقيق بدر الدين العلوي) ص ٤٦ ورواية الثاني : فراحوا .
* انظر باب التقسيم في المصادر التالية : نقد الشعر ص ١٤٩ وحلية المحاضرة ١/ ٤٥ ـ ٤٩ (ط . هلال ناجي) والعمدة ٢ / ٢٠ وتحرير التحبير ١٧٣ وجواهر الالفاظ ٦ وبديع اسامة ٦١ ، ونهاية الارب ٧ / ١٣٦ والصناعتين ٣٥٠ وسر الفصاحة ص ٢٧٧ وخزانة ابن حجة ٣٦٢ وحسن التوسل ٢٥٦ ومعاهد التنصيص ١ / ٢٤٥ واللمعة ص ٤

فالبيت الاول قسمان : امّا موتٌ وامّا حياةٌ تورثُ عاراً .
والثاني : ثلاثةٌ أسيرٌ وقتيلٌ وهاربٌ .
فاستَقْصَى جميعَ الاقسامِ ، ولا يوجَدُ في ذكْرِ الهزيمة زيادةٌ على ماذكَرَ .
وقال ابنُ أبي ربيعة :

وَهَبْها كشيءٍ لم يكُنْ ، أو كنازحٍ الدارُ ، أو منْ غيَّبَتْهُ المقابرُ[1]

ومن انواعِ التقسيم نوعٌ هو ماتقدَّم الاّ انَّ فيه تدريجاً وترتيباً فَصَعُبَ لذلك على مُتعاطيه وقلَّ جداً . وأحسَنُهُ قولُ زُهيرٍ[2]:

يطعَنُهم ماارتَمَوا حتّى اذا اطَّعَنُوا ضارَبَ حتى اذا ماضارَبُوا اعتنَقا[3]

قسَّم البيتَ على أقسامِ الحربِ في مراتبِ اللقاءِ ، ثمّ ألحقَ بكُلّ قسمٍ مايليهِ والمعنى الذي قصدَهُ من تفضيلِ الممدوحِ على أقرانه . ويليه قولُ عنترة[4]:

ان يُلْحقوا أكْرُرْ وان يُسْتَلْحموا أَشْدُدْ ، وان يُلْفَوا[5] بِضَنْكٍ أنْزِلِ

ومن نوعهما قولُ طريح الثَّقَفيّ[6]: ( )

ان يسمعوا الخير يُخْفُوه ، وانْ سَمِعوا شراً أذاعُوا ، وانْ لم يسمعوا كذبوا[7]

---

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ١٣٣ .
(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى في شرح ديوانه ص ٥٤
(٣) ت ، عنقا ، وهو تحريف .
(٤) البيت في ديوان عنترة ص ٢٤٨
(٥) في الاصلين ، يقفو . والتصويب عن الديوان .

(٦) هو طريح بن اسماعيل الثقفي ، شاعر اموي له ترجمة في الشعر والشعراء (ط . احمد محمد شاكر) ص ٦٧٨ واللآلي ٧٠٥ ومعجم الادباء ٤ / ٢٧٦ والاغاني ٤ / ٧٤ — ٨٢ .
(٧) البيت لطريح في العمدة ٢ / ٢٤

وأجودُ التقسيم ماكان في بيتٍ واحدٍ فامّا ماكان في بيتين او ثلاثةٍ فغيرُ عاجزٍ عنه كثيرٌ من الناس . قال الحصين بن الحمام(١) (يخاطب بعضَ قومه)(٢) :

دفعناكُمْ بالحلم حتى بَطِرْتُمُ | وبالكفّ حتى كان دفع الاصابع
فلمّا رأينا جَهْلَكُم غيرَ مُنْتَهٍ | وما قد مضى من حلمكُم غيرَ راجع
مَسَسْنا من الآباءِ شيئاً . وكُلّنا | الى حَسَبٍ في قومهِ غيرِ واضع
فلمّا بَلَغْنَ الأمّهاتِ وجدتُم | بني عَمّكُم كانوا كرامَ المضاجع(٣) :

كأنه يقول نحنُ اكرمُ منكم أمّهاتٍ ، فهذا هو التدريج في الشعر . وبعضهم في التقسيم على خلاف ماذُكر ، وزعم ابو العيناء ان خيرَ تقسيمٍ قول بن ابي ربيعة :

تَهيمُ الى نُعْمٍ فلا الشَّمْلُ جامعٌ، | ولا الحبلُ موصولٌ ، ولا أنْتَ مُقْصِرُ
ولا قُرْبُ نُعْمٍ ان دنَتْ لك نافعٌ، | ولانأيُها يُسْلي، ولاأنْتَ تَصْبِرُ(٤)

وقال اللّه عزَ وجلَ « هو الذي يُريكمُ البرق خوفاً وطمعاً »(٥) .

ومن أشرف منثوره قولُ النبي عليه السلام : (هل لك ياابن آدم من مالكَ الاّ ماأكلتَ فأفنيتَ ، أو لبستَ فأبليتَ ، أو ( ) تصدقتَ فأمضيتَ)(٦) فلم يُبْقِ قسماً رابعاً .

---

(١) الحصين بن الحمام ، من بني مرة شاعر فارس مقل جاهليّ . له ترجمة في الشعر والشعراء ص ٦٤٨ و الاشتقاق ١٧٦ والاغاني ١٢ / ١١٨ ـ ١٢٤ والمؤتلف والمختلف ١٣٦ والاصابة ٢ / ١٨ واسد الغابة ٢ / ٢٤ والاستيعاب ١٢٧

(٢) مابين عضادتين ساقط س

(٣) الابيات للحصين بن الحمام في ٢٤ ورواية عجز الاول ، رفع الاصابع .

(٤) البيتان لعمر بن أبي ربيعة في ديوانه ص ١٢٠ (طبعة صادر)

(٥) الآية الكريمة رقم ١٢ م سورة الرعد (وتمامها (وينشىء السحاب الثقال) .

(٦) الحديث النبوي الشريف في صحيح مسلم ٢ / ٣٨ وروايته ، ليس لك من مالك ....

ووقف أعرابيٌ على حَلقةِ الحسن البصري فقال : « رحم الله من تَصَدَّقَ من فَضْلٍ ، أو واسَى من كَفافٍ ، أو آثر من قوتٍ . فقال الحسنُ : ماترك منكم أحداً الاّ وقد سأله »(١).

وقال بعضُ الاعراب : « اذا كان الرأيُ عند من لا يُقْبَلُ منه ، والسلاح عند من لا يستعملُهُ ، والمال عند من لا ينفقُه ، ضاعت الامور »(٢).

وقال نافع بن خليفة(٣): « يابَنِيَّ ، اتّقوا الله بطاعته ، واتّقوا السلطان بحقّه ، واتّقوا الناس بالمعروف . فقال رجل : مابقي شيءٌ من أُمور الدنيا والآخرة الاّ وقد أمرنا به » . ومن مليحه قول داوود بن مُسلم :

في باعــــه طولٌ ، وفي وَجْــــهِــــه نورٌ ، وفي العرنين منهُ شَمَمْ.(٤)

فوصف بعض احواله وقسّمها .

وكان محمد بن موسى المنجمُ يحبُّ التقسيم (في الشعر)(٥). وكان معجباً بقول عباس بن الاحنف :

وصالُكُمْ صَرْمٌ ، وحُبُّكُمْ قِلىً ، وعطفُكُمْ صَدٌّ ، وسِلْمُكُمْ حَرْبُ(٦)

ويقول : أحسن والله فيما قسّم حين جعل حيال كُلّ شيءٍ ضدّه (والله ان هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات اقليدس)(٧)

ومن انواعه « التقطيع » وسمّاه قومٌ « التفصيلَ » وآخرون « التجزئة » ، وهو أن يكون البيت مقسماً أثلاثاً أو أرباعاً أو أكثر ، وربّما جاء قسمين كقول النابغة :

فللّه عَيْنا من رأى أهلَ قُبّةٍ أَضَرَّ لمنْ عادى وأَكثَرَ نافعا
وأعْـــظَــمَ أحْلاماً وأكْـــثَـر ســيّداً وأفضَل مَشْفوعاً اليه وشافعا(٨)

(١) كلام الاعرابي انظره في تحرير التحبير ١٧٦ وفيه ، ماترك الاعرابي منكم احداً حتى عمّه بالمسئلة .

(٢) قولة الاعرابي هذه انظرها في العمدة ٢ / ٢١ ـ ٢٢

(٣) قولة نافع انظرها في العمدة ٢ / ٢١

(٤) البيت له في معاهد التنصيص ١ / ٢٤٦ وفي العمدة ٢ / ٢٥ وفي الاغاني ٥ / ١٥٣ وروايته في وجهه بدر ، وفي كفه بحر ....

(٥) ما بين عضادتين سقط من ت .

٦ البيت للعباس بن الاحنف في ديوانه ص ١٩

٧ ما بين عضادتين استضفناه من معاهد التنصيص ١ / ٢٤٦ استكمالاً للنص .

٨ البيتان للنابغة الذبياني في ديوانه ص ١٦٤ ورواية الاول ، لله عينا ...

وقال آخر :

بيضٌ مفارقنا ، تَغْلي مراجِلُنا نأسوا بأموالنا آثار أيدينا(١)

(وقال البحتري) : (٢)

قِفْ مَشوقاً ، أو مُسْعِداً ، أو حَزيناً أو مُعيناً ، أوْ عاذراً ، أو عَذولاً (٣)

فقطَع وفصلَ كما تراه . وقال ابو الطيب :

فيا شَوْقُ ماأبقى ، ويالي من النّوى ، ويادمعُ ماأجْرى . ويا قَلْبُ ماأصْبى(٤)

ففصَل كما فعل أصحابهُ ، وجاءه(٥) على تقطيع الوزن كل لفظتين ربع بيت .

وقال ابن المعتز .

اذا أصلدوا أوْرى ، وان عجلوا ارتأى وان بَخِلُوا أعطى . وان غَدَروا أوفى

فللجُود ماأبقى ، وللمجد ماابتنى وللناس ماأبدى . ولله ماأخفى(٦)

وقال البحتري :

صارم العَزِم ، حاضرُ الحزْمِ ، ساري الـ فكر ، ثَبْتُ المقام ، صلبُ العود

سُؤْدَدٌ يُصْطَفى ، وجُودٌ يُرَجّى ، وثَناءٌ يبقى ، ومالٌ يودي(٧)

---

(١) البيت دون عزو في العمدة ٢ / ٢٦

(٢) مابين عضادتين ساقط من ت .

(٣) البيت للبحتري في ديوانه ص ١٧٦٦ .

(٤) البيت للمتنبي في ديوانه ص ٣٢٥ .

(٥) ت : فجاءه ، ولعل الصواب : فجاء به .

(٦) لم أجدهما في ديوان ابن المعتز ـ صنعة الدكتور يونس احمد السامرائي ـ ونسبهما ابن منقذ في بديعه لابن هانيء المغربي ص ٦٤ ورواية الاول ، وان عجلوا وفي . ورواية الثاني : فللجود ماأقنى . وهما لابن هانيء في ديوانه ص ٢١١ ورواية صدر الثاني : مااقتنى .

(٧) البيت الاول للبحتري في ديوانه ص ٦٣٤ .

والثاني للبحتري ايضاً في ديوانه ص ٦٣٦ وروايته : وثناءٌ يحيا والبيتان من قصيدة واحدة قالها في مدح محمد بن عبدالملك الزيات .

ثم أحدثَ المولَّدون (في هذا النوع)(١) اشياء عدُّوها تقسيماً وتقطيعاً ، كقول ديك الجنّ :

أحلُ وأمْرُرْ وَضُرَّ وأنْفَعْ وَلِنْ وآخْشُنْ وَرِشْ وابن وانتدبْ للمعالي(٢)

وصنعَ المتنبي مثل هذا وزادَ فيه حتى سُمِّي « رُقْيَة العقرب » ، وذلك قوله :(٣)

عِشْ ابْقَ اسْمُ سُدْ جُدْ قُدْ مُرِ انْـــهَ اسْرِفْـــهْ تـــسَـــلْ

غَظِ ارْمِ صبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِ لِ اثنِ نَلْ(٤)

( ) فهذه(٥) غايةُ المقت والبغاضة ، وان كان ولا بُدَّ فقوله على مافيه :

دانٍ بَعيدٍ مُحِبٍ مُبْغِضٍ بَهِجٍ أغَرَّ حُلْوٍ مُمِرٍ ليِّنٍ شَرِسٍ(٦)

ومن انواعه « الترصيعُ » وقد فَضَّلَهُ قُدامةُ وأطنب في نعتِه(٧)، وهو أن تكون مقاطع(٨) الاجزاء ، متقاسمة النظم ، متعادلة الوزن ، مسجوعةٍ ، أو شبيهةً بالمسجوع . والسجع ان يتكرر حرفُ الاعراب في كلمتين او كلمات . وسُمِّي ترصيعاً تشبيهاً بالحَلْي في ترصيع جوهرِه ، كقول توبة :(٩)

---

(١) مابين عضادتين ساقط من ت .

(٢) البيت لديك الجن في ديوانه ص ١٢٠ ورواية الديوان ، وابر وانتدب .

(٣) البيتان للمتنبي في ديوانه ص ٣٤١ .

(٤) في البيتين تحريف وسقط في الاصلين فاعتمدنا الديوان واثبتنا روايته .

(٥) ت ، فهذا

(٦) البيت للمتنبي في ديوانه ص ٢٥

(٧) انظر نقد الشعر لقدامه ص ٣٨

(٨) في الاصل ، يكون مقطع

(٩) البيت لتوبة بن الحمَير الخفاجي في ديوانه ص ٤٣ ورواية الديوان :

يـــــنون بأعـــــجازٍ ثـــــقالٍ وأسْوقٍ خِدالٍ ، واقدامٍ لـــــطافٍ خُـــــصورُها

لطيفاتُ اقدامٍ، نبيلاتُ أسوقٍ　　لفيفاتُ أفخاذٍ ، دقاقٌ خصورها

وقول الخنساء :

حامي الحقيقة مرضيُّ الخليقةِ مَهْـ　　ـدِيُّ الـطريـقةِ نَـفاعٌ وضَرّارُ
جَوّابُ قاصِـيةٍ جَزّازُ ناصـيةٍ　　عَقّادُ الويةِ للخيلِ جَرّارُ(١)

وقول ابي المثلّم يرثي صخر الغيّ :

لو كانَ للدهرِ مالٌ عندَ مُتْلِدِهِ　　لكان للدهرِ صخرٌ مالَ قُنْيانِ
آبي الهضيمةِ ناءٍ(٢) بالعظيمة متـ　　لافُ الكريمةِ لاسقْطٌ ولا واني
حامي الحقيقة بَسّال(٣) الوديقة معـ　　ـتاقُ الوسيقةِ جَلْدٌ غيرُ ثِنْيانِ
ربّاءُ مَرْقَـبةٍ مَـنّاعُ مَـغْـلَـبةٍ　　رَكّابُ سلهبَةٍ(٤) قَطّاعُ أقْرانِ
هَـبّاطُ أوديةٍ حَـمّالُ ألْويةٍ　　شَـهّادُ أنْديَةٍ سِرْحانُ فِـتْـيانِ
يُعطيك مالا تكادُ النفسُ تسلمُهُ(٥)　　من التّلادِ وَهوبٌ غيرُ مَنّانِ(٦)

والمذهَبُ المحمودُ أن يؤتى ببيت من مثل هذا او بعض بيتٍ ، كقول الكندي :

فأوتادُه ماذِيَّةٌ وَعِـــمادُهُ　　رُدَيْنِيَّةٌ فيها أسِنَّةُ قَعضَبِ(٧)

ومن جيّد ماللمحدثين قول ديك الجن :

حُرُّ الاهابِ وسيمُهُ . برُّ الاياب كريمُهُ . مَحْضُ النجارِ صميمُهُ(٨)

فاكثر البيت ترصيع كيف ماادرته .(٩)

---

(١) البيتان مما أخلّ بهما ديوان الخنساء ـ طبعة صادر وطبعة دار التراث ـ وهما له في كتاب الصناعتين ص ٢٩٣ . رواية الاول : محمود الخليقة .

(٢) في ديوان الهذليين : نابٍ

(٣) في ديوان الهذليين : نَسّال .

(٤) : سهلبة ، وهو تحريف .

(٥) في ديوان الهذليين : ترسله .

(٦) الابيات لأبي المثلم في ديوان الهذليين ٢ / ٢٣٨ ـ ٢٤٠ (طبعة دار الكتب المصرية) .

(٧) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٥٣ . وقعضب : رجل قشيري يعمل الاسنّة .

(٨) البيت في ديوان ديك الجن ص ١٩١ وروايته : محض النصاب

(٩) في الاصليين : كيف مأردة ، وهو تحريف

وقال الله عزّ وجلّ «(انّ الينا ايابَهم ثمّ انّ علينا حسابَهم)»(١)
ومن كلام ابي سعد ، « لازالت مُسْبلةٌ على عُفاتِه غيوث نِعَمِه ، مُشْبِلةٌ على عُداتِه ليوث نِقَمِه » .
وأمّا ماهو شبيهٌ بالمسجوع فكقول امرىء القيس ،

فَـتورُ الـقـيامِ ، قـطوع الـكلا . م ، تَفْتَرُّ عن ذي غُروبٍ خَصِرْ(٢)

وقوله ،
ألَصُّ الضُّروس خَنِيُّ الضُّلوع تَبوعٌ طَلوبٌ نشيطٌ أشِرْ(٣)

فجاء فتورٌ في وزن قطُوع ، وكذلك الضروس والظلوع وتبوعٌ وطلوبٌ . ومن انواعه « التسميط » ، وهو ان تكون الاجزاءُ متواليةً مسجوعةً ، أو كالمسجوعةِ ، او من جنسٍ واحدٍ في التعديل والتصريف ، والفرقُ بينَهُ وبين الترصيع ان محلّ التسجيع في الترصيع مقاطع الاجزاء ، (   ) ومحلّه في التسميط الاجزاءُ . وسُمّي تسميطاً تشبيهاً بالسِمْط في نظمه كقول الكندي ، مِكَرٍّ مِفَرٍ مَقْبِلٍ مُدْبِرٍ معاً(٤)
فجاء باللفظتين الأوليين مسجوعتين في تصريف واحدٍ ، وجاء بالتاليتين شبيهتين بهما في التعديل والتصريف .

بابُ التطريز *

وهو أن تأتي(٥) في الابيات مواضعُ متقابلةٌ كأنّها طُرَرٌ كقول ابي تمّام ،(٦)

---

(١) الآية الكريمة رقم ٢٥ ك سورة الغاشية رقم ٨٨ .
(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٥٧ وروايته ، قطيع الكلام .
(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٦١ .
(٤) صدر بيت لامرئ القيس في ديوانه ص ١٩ وعجزه ، كجلمود صخر حطّه السيلُ من عَلِ
* سمّاه « التطريز » ، وسمّاه ابن أبي الاصبع « التوشيع » في تحرير التحبير ٣١٦ ، وكذلك العلوي في الطراز ٣ / ٨٩ سماه « التوشيع » ومثلهما ذهب ابن حجة في الخزانة ص ١٦٩ والنويري في نهاية الارب ٧ / ١٤٨ . وانظر معالم الكتابة لابن شيث القرشي ص ٧٢ ولكن اسامة بن منقذ مزج شواهد التوشيع بشواهد التطريز وعنون الباب باسم باب التطريز ص ٦٤ وعلى أثره جرى ابن الاثير .
(٥) ت ، يأتي
(٦) الابيات لابي تمام في ديوانه ٣ / ١٥١ ـ ١٥٢ . رواية الاول ، ينسى طولها . ورواية الثاني ، هجر اردفت .

أعوامُ وَصْلٍ كان يُنسي طيبَها ... ذكرُ النَّوى فكأنَّها أيامُ
ثمّ انبرتْ ايّامُ هَجْرٍ اعقبت ... بجوىً أسىً فكأنَّها اعوامُ
ثم انقضَتْ تلك السّنونُ وأهلُها ... فكأنَّها وكأنَّهُمْ أحْلامُ

وقولُ البحتري :

١ ـ في حُلَتي ، رَوْضٍ وَوَشْيٍ ، فالْتَقى ... وَشْيانِ ، وَشْيُ رُبىً ووشْيُ برودِ
٢ ـ وَسَفَرْنَ ، فامتلأت خُدودٌ زانها ... وَرْدانِ ، وَرْدُ جَنىً وورد خُدودِ
٣ ـ فمتى يُساعدنا الزمانُ ، ودهرُنا ... يومان ، يومُ نوىً ويومُ صُدودِ(١) ؟ !

قال آخر :

١ ـ لم يبق غير خَفيِّ الروحِ في جسدي ... فداؤك الباقيان ، الروحُ والجَسَدُ
٢ ـ اني لأحسدُ في العشاق مُصطبراً ... وحسبُكَ القاتلان ، العشقُ والحسَدُ(٢)

ومن جيِّد هذا الباب قولُ ابن الرومي في عبدالله بن سليمان بن وهب ويروي لاحمد (بن محمد) الكاتب :(٣)

١ ـ اذا ابو قاسمٍ جادَتْ لنا يَدُهُ ... لم يُحمد الأجْودان ، البحرُ والمطرُ
٢ ـ وانْ(٤) أضاءَتْ لنا أنوارُ غُرّته ... تضاءَلَ النيّران ، الشمسُ والقمرُ
٣ ـ وان مضى رأيُهُ أو جدُّ(٥) عَزْمَتِه ... تأخّر الماضيان السيفُ والقَدَرُ
٤ ـ من لم يَبِتْ حَذِراً من سوءِ(٦) سطوته(٧) ... لم يَدْرِ ماالمزعجانِ ، الخوفُ والحَذَرُ

---

(١) الابيات للبحتري في ديوانه ص ٦٩٨ . رواية صدر الاول ، في حلّتي حِبَر وروضٍ ... ورواية الثاني ، فامتلأت عيون راقها . ورواية الثالث ، ومتى يساعدنا الوصالُ .

(٢) البيت الاول من قطعة غير منسوبة في تحرير التحبير ٣١٦ ـ ٣١٧ ورواية عجزه ، فدىً لك الباقيانِ وهو في خزانة ابن حجة ص ١٦٩ وروايته ، فهىً لك . وهو في نهاية الهرب ٧ / ١٤٨ . والبيت الثاني . مما انفردت به مخطوطتنا .

(٣) الابيات ماعدا الخامس في ديوان ابن الرومي ص ١١٤٩ نقلاً عن العمدة .
والابيات كاملة لابن الرومي في الطراز ٣ / ٩٠ ورواية صدر الثالث فيه ، وان نعنا حده أرسلّ عزمته ورواية الرابع ، من سطو سطوته .

(٤) الديوان ، ولو أضاءت

(٥) الديوان ، حدّ عزمته

(٦) الديوان ، خوف

(٧) ت ، سوطته ، تحريف .

٥ ـ ينالُ بالظنِّ مايعيا العيانُ به　　والشاهدانِ عليه ، العَيْنُ والأثَرُ
٦ ـ كأنَّه وزمامُ الدهرِ في يَدِهِ　　يرى عواقبَ مايأتي وما يَذَرُ

بابُ التفويفِ *

واشتقاقهُ من البرد المُفوَّفِ ، وهو الذي وَشْيُهُ شيء من البياض كقول جرير :

١ ـ هُمُ الأخيار مَنْسكةً وعدلاً　　وفي الهيجا كأنّهم صُقورُ
٢ ـ بهم ·حَدَبُ الكرامِ على المعالي　　وفيهم عن مساءتهم فُتورُ
٣ ـ خلائق بعضهم فيها كبعضٍ　　يَؤمُّ كبيرهُم فيها الصغيرُ (　)
٤ ـ عن النكراءِ كُلُّهُمُ غَبيٌّ　　وبالمعروف كلّهم بصيرُ(١)

وقول ابراهيم بن العباس :

تَطلّعُ من نفسي اليكِ نوازعٌ　　عوارقُ ان اليأس منك نصيبُها
حلالٌ لليلي أن تروع فؤادَهُ　　بهَجْرٍ ومعفورٌ لليلى ذُنوبُها(٢)

وقول بن أبي حفصة :

---

* انظر باب التفويف المصادر التالية ، تحرير التحبير ٢٦٠ ونهاية الارب ٧ / ١٤١ والطراز ٣ / ٨٤ ـ ٨٦ وحسن التوسل ٢٦٥ .

(١) الابيات لجرير في ديوانه ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣ رواية الاول ، منسكة وهديا .... الصقور ، رواية الثالث ، صغيرهم فيها الكبير .

(٢) البيتان لابراهيم بن العباس الصولي في الطرائف الادبية ص ١٣٩ ـ ١٤٠

١ـ بنو مَطَرٍ يوم اللقاءِ كأنّهم   أسودٌ لها في غيل خفّان أشبُلُ
٢ـ هُمُ يمنعون الجارَ حتى كأنّما   لجارهم بين السماكين منزلُ
٣ ـ بهاليلُ في الاسلام سادوا ولم يكن   كأوّلهم في الجاهلية أوّلُ
٤ ـ هم القومُ ان قالوا أصابوا وان دُعوا   أجابوا وان اعطوا أطابوا وأجْزلوا
٥ ـ ولا يستطيع الفاعلون فعالَهم   وان أحسنوا في النائبات واجملوا(١)

(باب(٢) المجاز) *

وهو أن يُسَمَّى الشيء ممّا قاربَهُ ، وكان منه بسبب . ومعنى المجاز طريقُ القول ومأخذُهُ . وهو مصدر « جُزْت » ، والعرب تستعمله كثيراً لانّه يدلُّ على الفصاحة والبلاغة . وهو في كثير من الكلام ابلغ من الحقيقة . واحسنُ موقعاً في القلوب والاسماع . وما عدا الحقيقة من جميع الالفاظ ثم لم يكن مُحالاً مَحْضاً فهو مجازٌ ، لاحتماله وجوه التأويل . فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما (   ) من محاسن الكلام داخلًا تحتَهُ ، كقول جرير :

(١) الابيات لمروان بن ابي حفصة في ديوانه صنعة د . قحطان رشيد التميمي ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ وترتيبها مختلف . ورواية الثالث : لها ميم في الاسلام . ورواية الخامس في الديوان : وما يستطيع

(٢) عنوان الباب ساقط في الاصليين .

* انظر باب المجاز في المصادر التالية : تحرير التحبير ٤٥٧ والعمدة ١ / ٢٦٦ والصناعتين ص ٢٧٤ (الاستعارة والمجاز) واسرار البلاغة ص ٣٢٤ وخزانة ابن حجة ٤٣٦

اذا سَقَطَ السماءُ بارضِ قومٍ رَعَيْناهُ وان كانوا غِضاباً(١)

وأرادَ المطرَ لقُربِهِ من السماءِ . وقيل أرادَ بالسماءِ السحابَ لانَّ كُلمّا أظلَّكَ فهو سماءٌ . وقوله : « سقط » يريدُ سقوطَ المطر الذي فيه . وقولهُ : رَعَيناهُ يريدُ النَّبْتَ الذي يكونُ عنه . لانَّ المطرَ لايُرعى . فهذا كُلّه مجازٌ . وقال اللهُ عزَّ وجلّ «(فتبارك اللهُ أحسن الخالقين)»(٢) وهو الخالقُ حقاً . وغيرُه الخالق مجازاً . وقال «(واسألِ القرية)»(٣) . أي أهلَ القريةِ . (وقال)(٤) «(وقال ياأيُها الناسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيرْ)»(٥) والحيوان الناطق الانسُ والجِنّ والملائكة لاغير .

بابُ الاستعارةِ *

وهي استعمالُ العبارة على غير ماوُضِعَتْ لَهُ في أصل اللغة . كقول الحجّاج :

« اني أرى رؤوساً قد أيْنَعَتْ وحانَ قطافُها » .(١)

واذا وقعتْ مَوْقِعها ونزلتْ مَوضِعَها كانت من احسن الكلام . والناسُ فيها مُخْتَلِفُون . فبعضُهمْ يُخرجُها مَخْرَجَ التشبيهِ كقولِ غيلان :

أقامتْ بها حتىَ ذَوَى العُودُ والثرى(٧) وساق الثُرَيّا في مُلاءَتِه الفَجْرُ(٨)

---

(١) البيت لمود الحكماء واسمه معاوية بن مالك انظر المفضليات ص ٦٩٧ والصناعتين ٢٨٣ (الهامش) ومعاهد التنصيص ١ / ٢٢٨ ووهم ابن رشيق في العمدة وابن ابي الاصبع في تحرير التحبير ص ٤٥٨ اذ نسباه لجرير. وليس في ديوانه .

(٢) الاية الكريمة رقم ١٤ ك سورة (المؤمنون) رقم ٢٣ . واولها (ثم انشأناه خلقاً آخر) .

(٣) الاية الكريمة رقم ٨٢ ك سورة يوسف رقم ١٢ ونصها (واسئل القرية التي كنا فيها والعير التي اقبلنا فيها) .

(٤) زيادة يقتضيها السياق

(٥) الآية الكريمة رقم ١٦ ك سورة النحل رقم ٢٧ .

* انظر باب الاستعارة في المصادر التالية . حلية المحاضرة ١ / ٣٣ (طبعة هلال ناجي) . الصناعتين ٢٧٤ العمدة ١ / ٢٦٨ بديع ابن المعتز ١٩ بديع ابن منقذ ٤١ جواهر الالفاظ ص ٥ أسرار البلاغة ٢٩ المثل السائر ٢ / ٧٠ ـ ١١٥ خزانة ابن حجة ٤٧ معالم الكتابة ٨٤ الطراز ١ / ١٩٧ نهاية الارب ٧ / ٤٩ حسن التوسل ص ١٣٦ بديع القرآن ١٧ البيان والتبيين ١ / ١٥٢ وقواعد الشعر لثعلب ٤٧ اسكت للرماني ص ٨٥ الوساطة للجرجاني ٣٤ الوافي للتبريزي ٥٨ التبيان للزملكاني ٤١ .

(٦) قول الحجاج انظره في العقد الفريد ٤ / ١٢٠ وفيه : « واني لأرى .... »

(٧) أ . والهوى . وهو تحريف . وفي ت . والثرى

(٨) البيت في ديوان ذي الرمة ص ٢٠٧ وروايته : في الثرى .

فاستعارَ للفجر مُلاءةً . وأخرجَ لفظةَ مخرج التَشْبيهِ . وكان ابو عمرو لا يرى انّ لأحدٍ مثل هذه (العبارة . ويقول : ألا ترى كيف صيّر له ملاءةً . ولا ملاءة له . وانما استعار له هذه اللفظة ؟ واذا)(١) استُعير للشيء مايقرب منه ويليقُ به كان أولى ممّا ليسَ منه في شيءٍ . كقول ارطأة بن سُهيّة :٢

فقلتُ لها يا أمّ أرطاة انني   هُريقَ شبابي واستشنَّ أديمي(٣)

فقال : هُريقَ شبابي . لما في الشباب من الرونق والنضارة التي هي كالماء . ثم قال : واستشنّ أديمي . والشَنُّ : القربةُ اليابسةُ . فكأنه صار شنّاً لما هُريقَ ماء شبابِهِ . وقول بعضهم :(٤)

فَوَضَعْتُ رَحْلي فوق ناجيةٍ   يقتاتُ شحمَ سَنامِها الرَّحْلُ

جعل شحم سنامِها قوتاً للرحل . وهذه كأنّها حقيقةٌ لشدّةِ تمكنها . وقول ابي نواس :

بِصَحْنِ خَدٍ لم يَغِضْ ماؤهُ   ولم تَخُضْهُ أعْيُنُ الناسِ ٥

عبَّر عن شباب الموصوفِ وصيانَتِه بهاتين الاستعارتين اللطيفتين على سبيل التتبيع . ومنهم من يستعيرُ للشيء ماليسَ منهُ ولا اليه كقول لبيدٍ :

وغَداةِ ريحٍ قد وزعتُ وَقَرَّةٍ   اذْ اصْبَحَتْ بيدِ الشَمالِ زمامُها(٦)

---

(١) ما بين عضادتين ساقط في الاصلين فاستضفناه من العمدة ١ / ٢٦٩

(٢) البيت لارطأة بن سهيّة في العمدة ١ / ٢٧٤ وروايته . يالم بيضاء .

(٤) البيت للطفيل الغنوي في ديوانه ص ١٠٨ وروايته :

وحملتُ كُوري خلفَ ناجيةٍ

والناجية : الناقة السريعة .

(٥) لم أجده في ديوان أبي نواس ـ طبعة الغزالي ـ وهو له في العمدة ١ / ٢٧٦

(٦) البيت للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ٣١٥ .

فاستعار للشمال يداً ، وللغداة زماماً ، وجعل زمامَ الغداةِ بيد الشمال . وليست اليدُ من الشمال ، ولا الزمامُ من الغَداة في شيء .

وبعضهم يُفضِّل ماكانَ من نوع بيت لبيدٍ على ماتقدم ، ويقول ، خيرُ الاستعارة مابَعُدَ ، وعُلم من اوَّلِ وَهْلَةٍ انه مستعار فلم يَدْخُله لبسٌ ، والصوابُ ماذُكر أوَّلاً ، ولو كان البعيدُ أفضل لما استهجن قول بشار ؛

وجَذَّتْ رقابَ الوصْلِ أسيافُ هجرنا وقَدَّتْ لِرِجْلِ البينِ نَعْلين من خَدِّي[1]

وقيل ؛ ماأهجن رقابَ الوصل ، ورجل البين ، وأقبح استعارتهما ، ولو كانت الفَصاحة بأسرها فيهما .

بابُ التمثيل [*]

وهو ضَرْبٌ من الاستعارة ، وكلاهما من التشبيه الاّ انهما بغير آلته ، وعلى غير اسلوبه ، والمثَلُ المضروب في الشعر كقول طرفة ؛

ستُبدي لكَ الايامُ ماكنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالاخبارِ منْ لمْ تُزَوِّدِ[2]

راجعٌ الى ماذكر ، لانَّ معناهُ ستبدي لك الايامُ كما أبدت لغيرك ، وتسمية (المِثْل)[3] دالّةٌ على ذلك لانَّ المِثْلَ والمَثَلَ للشبه والنظير ، ومعنى التمثيل اختصار مثلُ قولك كذا وكذا ، وهو أن يُمثِّل[4] شيَأً بشيء فيه اشارة منه كقول الكنديّ وهو مما اخترع :

---

(١) البيت لبشار في ديوانه (صنعه بدر الدين العلوي) ص ٨٣ . وروايته ، هجرها

(*) انظر باب التمثيل في المصادر التالية ، العمدة ١ / ٢٧٧ ــ ٢٨٠ وتحرير التحبير ٢١٤ ونقد الشعر ١٨١ وسر الفصاحة ٣٢٤ والطراز ٢ / ٢ وخزانة ابن حجة ١٣٤ ونهاية الارب ٧ / ٦٠ والتبيان ٤٤ .

(٢) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٤٤ ــ طبعة مكس سلغسون في شالون ١٩٠٠ ــ .

(٣) مابين عضادتين ساقط من ت

(٤) ت ، تمثل .

وما ذَرَفَتْ عيناكِ الاّ لتَضْربي   بِسَهْمَيكِ في أعشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[1]

فمثَّلَ عينيها بسهمي المَيْسِر يعني المُعلَّى والرقيب وقلبه باعشار الجَزور . فتمَت له جهاتُ الاستعارة والتمثيل .

وقول ابي خراش من قصيدة رثى بها زُهير بن عَجْوَة . وقد قتَلَهُ جميلُ ( ) بن مَعْمَر يوم حُنينٍ مأسوراً :

وليس كَعَهْدِ الدار ياأمَّ مالكٍ   ولكن أحاطتْ بالرقابِ السلاسـلُ[2]

يقول : نحن من عهد الاسلام في مثل السلاسل . والاّ كُنّا نقتلُ قاتلَهُ . وهو من قول الله عزّ وجلّ في بني اسرائيل «(ويضعُ عنهم اصرَهُمْ والاغلال التي كانت عليهم)»[3] يريدُ الفرائضَ المانعة لهم من اشياء رُخِصَ فيها لهذه الأمة . والى نحو ذلك ذهب عمرو بن معدي كرب حين خَفَقَهُ عمر بالدِرَّة (بقوله) :[4] « اضرعتني لك الحُمّى » .[5] يعني الدِّينَ .

والمثل قديم وحقيقته (الحُمّى أضرعتني للنوم)[6]

ومن كلام النبّي عليه السلام في التمثيل قوله : (الصَّوْمُ في الشتاء الغنيمة الباردة)[7] وقوله : (نِعمَ الخَتَنُ القَبْرُ)[8].

---

(١) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٣ وروايته : الاّ لتقدحي .
(٢) البيت لأبي خراش في ديوان الهذليين ٢ / ١٥٠ وروايته : فليس .
(٣) الآية الكريمة رقم ١٥٧ ك سورة الاعراف رقم ٧
(٤) ما بين عضادتين ساقط من ت .
(٥) في العمدة ١ / ٢٧٨ : الحُمى اضرعتني لك .
وانظر جمهرة الامثال للعسكري ١ / ٣٤٨ ـ ٣٤٩ وفيه رواية اخرى مفصلة لما جرى من حديث عمرو بن معد يكرب مع الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ونصه فيها (الحمى اضرعتني لك) .

(٦) المثل لم أجده في جمهرة الامثال .
(٧) الحديث الشريف في العمدة ١ / ٢٧٨
(٨) الحديث الشريف في العمدة ٨ ٢٧٩ وروايته : نعم الصهر القبر

باب المَثَل السائر *

وسُمّيَ(١) مَثَلاً لأنَه ماثلٌ لخاطر الانسان ابداً أي(٢) شاخصٌ يتأسّى به ويتعَظُ ويخشى ويرجو . والشاخصُ ، المنتصبُ . وهو من قولهم طَلَلٌ ماثلٌ أيْ شاخصٌ ، فاذا قيل رسْمٌ ماثلٌ فهو الدارسُ . وهو من الاضداد ، وقد جاء بمعنى الصِّفَةِ كقوله عزّ وجَلَّ « (ولله المَثَلُ الأعْلى) »(٣) أيْ الصِفَةُ العليا وهي قولُه لا آله إلاّ اللهُ . وقوله « (مَثَلُ الجنَّة التي وُعِدَ المتقون) »(٤) أي صفتها . والامثالُ في الكتاب العزيز وكلام العرب كثيرةٌ نظماً ونثراً ، وأفضَلُها اوجزها ، وأحكمها أصدَقُها(٥) ( ) وقولُهم مَثَلُ شرودٌ وشاردٌ أي سائرٌ لايَرِدُ كالجمل الصَّعْب الذي لا يكادُ يُعرض له ولا يُركَبُ ، كقوله عزّ وجلّ « (كَمَثِل صفوانٍ عليه تُرابٌ فأصابَهُ وابلٌ فتركَهُ صلداً) »(٦) وقوله عزّ وجلّ « (كَمَثَل العنكبوتِ اتّخَذَتْ بيتاً) »(٧) وقوله سُبحانَهُ « (كَمَثَل الحمارِ يحملُ أسفاراً) »(٨) ومن كلام الرسول عليه السلامُ قوله ، (كُلّ الصيد في جوف الفَرا)(٩). وقوله ، أيّاكم وخضراءَ الدِّمَنِ ! (قالوا ، وما خضراء الدمن يارسول الله ؟)(١٠) قال ، المرأةُ الحسناءُ في منبت السوء)(١١)

---

* انظر المثل السائر في المصادر التالية ، العمدة ١ / ٢٨٠ ـ ٢٨٦ وحلية المحاضرة ١ / ٢٤١ .

(١) ت ، ويسمى

(٢) (أي) سقطت من ت .

(٣) الآية الكريمة رقم ٦٠ ك سورة النحل رقم ١٦ وتمام الآية (وهو العزيز الحكيم) .

(٤) الآية الكريمة رقم ١٥ م سورة محمد رقم ٤٧ وتمامها (فيها انهار من ماء غير آسن) .

(٥) ت ، واصدقها .

(٦) الآية الكريمة رقم ٢٦٤ م سورة البقرة رقم ٢ .

(٧) الآية الكريمة رقم ٤١ ك سورة العنكبوت رقم ٢٩ .

(٨) الآية الكريمة رقم ٥ م سورة الجمعة رقم ٦٢ .

٩ الحديث الشريف قاله الرسول لأبي سفيان بن حرب حين أسلم انظر العمدة ١ / ٢٨١

١٠ ما بين عضادتين ساقط من الاصلين .

١١ الحديث الشريف مع اختلاف في العمدة ١ / ٢٨٢

الاشعار فمنها مافيه (مَثَلٌ واحدٌ)(١) كقول عنترة :

نُبِّئْتَ عَمْراً غيرَ شاكرِ نِعْمَتي　　　والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لنَفْسِ المُنْعِمِ(٢)

جاء بالمثل غير محتاج الى ماقبْله .

ومنها مافيه مَثَلان كقول الكنديّ :

اللهُ أنجحُ ماطلبتُ بهِ　　　والبِرُّ خيْرُ حقيبةِ الرَّجلِ(٣)

في كُلِّ قسمٍ منهُ مَثَلٌ قائمٌ بنفسِه غير محتاج الى صاحبِه . ومثلُه قولُ الحُطيئةِ :

من يفْعَلِ الخيرَ لايَعْدَمْ جوازيَهُ　　　لايَذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والناسِ(٤)

ومنها مافيه ثلاثةٌ كقول زهير :

وفي الحِلْمِ ادْهانٌ وفي العَفْوِ دُرْبَةٌ　　　وفي الصِّدقِ مَنْجاةٌ من الشرِّ فاصدقِ(٥)

أتى بكلِّ مثلٍ في ربعِ بيتٍ ، ثم جعلَ الربْعَ الاخيرَ زيادةً في شرحِ ماقبْلَهُ . ومنها مافيه (　　) اربعةٌ ، انشد الاصمعي :

فالهمُّ فَضْلٌ ، وطولُ العيشِ مُنْقَطِعٌ ،　　　والرزْقُ آتٍ ، ورزْقُ اللهِ مُنْتَظَرُ(٦)

ومنها مافيه خمسة كقول القزّاز :

خاطِرْ تُفِدْ ، وارتَدْ تَجِدْ ، وأكرِمْ تَسُدْ　　　وانقُدْ تَقُدْ ، واصغر تُعَدَّ الأكبرا(٧)

ومنها كلماتٌ سارَتْ على وجْهِ الدهر كقولهم : (تسمعُ بالمُعيديِّ لا أن تَراهُ)(٨) ، ويقالُ ايضاً ، خيرٌ من أن تراهُ . ويُضْرَبُ مثلاً للّذي رؤيتُهُ دونَ السَماعِ به وقولُهم : (على أهْلِها دلَّتْ براقشُ)(٩) ، يُضربُ مثلاً للرجل يهلكُ به قوْمُهُ .

(١) مابين عضادتين زيادة يقتضيها السياق استئناساً بما في العمدة ١ / ٢٨٢ .

(٢) للبيت لعنترة العبسي في ديوانه ص٢١٤

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٢٣٨ .

(٤) البيت للحطيئة في ديوانه ص ٢٨٤

(٥) في ت ، جوايزه ، هو تحريف .

٦ البيت لزهير في ديوانه ص ٢٥٢

٧. البيت في العمدة ١ / ٢٨٤ وروايته ، ورَوِّحْ الله .

٨ البيت للقزاز الـناط في العمدة ١ / ٢٨٥ من قصيدة يمدح بها الامير تميم بن المعز .

باب التشبيه

وهو صفةُ الشيء بما قاربَه وشاكلَهُ من جهةٍ واحدةٍ أو جهاتٍ كثيرة . لانّهُ لو ناسبَهُ مناسبةً كُليّةً لكان أيّاهُ . فقولُهم[2] خدٌ كالورد . انما أرادوا حمرةَ أوراقه ونضارتها . ولم يريدوا صُفرة وسَطِه ولا خُضْرَةَ كمائمه . وفلانٍ كالبحر » انّما يريدون كالبحر سماحةً أو عِلْماً . ولم يريدوا مُلوحَتَهُ وزعُوقَتهُ (٣) . وكاللَّيْث انما

يريدون كالليث شجاعةً أو اقداماً ولم يريدوا شتامَتَهُ (٤) ولا زهومَته . ووقوعهُ (٥) على الاعراض لا على الجواهر . لانّ الجواهرَ في الاصل واحدٌ . اختلفتْ انواعُها أو اتفقتْ . لانهم يُشبِّهون الشيء بِسَمِيِّه ونظيرهِ من غير جنسِه كقولهم : عَيْنٌ كعين المهاة . وجيدٌ كجيد الريم . ( ) وهذا الأسمُ يقعُ على هذه الخاصّة من الانسانِ والمهاة . والكاف للمقاربة . يريدون ان هذه العين لكثرة سوادِها قاربت ان تكونَ كُلّها سوداء كعين المهاةِ . وانّ هذا الجيد لانتصابه وطُولِه كجيد الريم . والتشبيه أصعَبُ أنواع الشعر وأبعدها مُتَعاطاً لما يحتاج اليه من شاهد العَقْلِ . واقتضاء العيان . وهو ضَربان : حسَنٌ وقبيحٌ . فالحسَنُ مايُخرج الأغمضَ الى الأوضَح فيفيدُ بياناً . والقبيحُ بضدّه . يعني انّ أحسَنَهُ الذي يُقرِّبُ بينَ البعيدينِ حتى يصير بينهما مناسبةٌ واشتراكٌ كقول الاشجعيّ (٦) :

كأنّ أزيزَ الكيرِ ارزام شخْبِها اذا امْتاخَها في مِحْلَبِ الحيّ ماتِحٌ (٧)

شبّهَ ضرع العَنْز بالكير . وصوتِ الحلبِ بأزيزه . فقرَّبَ بين الاشياءِ البعيدة

---

(١) المثل في جمهرة الامثال للعسكري ١ / ٢٦٦

(٢) المثل في جمهرة الامثال للعسكري ٢ / ٥٢

انظر باب التشبيه في العمدة ١ / ٢٨٦ ويلاحظ نقل ابن الاثير عن ابن رشيق بوضوح . ونعت التشبيه في نقد الشعر ١٢٢ وحلية المحاضرة ١ / ٦٤ (طبعة هلال ناجي) وجوهر الكنز ٦٠ وتحرير التحبير ١٥٩ وحسن التوسل ١٠٦ وبديع ابن المعتز ١٢١ والصناعتين ٢٤٤ .

(٣) ت : زعومته .

(٤) في الاصلين : وسامته . وهو تحريف .

(٥) اي وقوع التشبيه .

(٦) هو جبهاء الاشجعي انظر ترجمته المؤتلف والمختلف ١٠٤ .

(٧) البيت للاشجعي في العمدة ١ / ٢٨٩ . ونقد الشعر ١٢٣ وروايته : اجيج الكير .

بتشبيهِ حتى تناسبَتْ . وسبيلُه اذا كانت فائدتُه انما هي تقريب المشبَّهِ من فهْمِ سامِعِه ، وايضاحُهُ له ، أن يُشبِّهَ الأدنى بالأعلى اذا اردتَ مدْحَهُ ، والأعْلى بالأدنى اذا اردتَ ذمَّهُ .

فيقول في المدح : تُرابٌ كالمسك وحصىً كالياقوت . (وفي الذمّ : مسكٌ كالتُراب)(١) وياقوتٌ كالزجاج . وأفضلُه عند « قُدامة » ماوقعَ بين شيئين اشتراكُهما في الصِّفاتِ أكثرُ من انفرادهما فيها حتى يُدني بهما الى حالِ الاتحاد(٢) وأنشد في ذلك ( ) :

لَهُ أيْطَلا ظَبْيٍ ، وساقا نَعامَةٍ وارخاءُ سِرْحانٍ ، وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ(٣)

وهكذا كما ذُكر في قُرب التشبيه . الاّ أن فضلَ الشاعر فيه غير كثير . لأنّه تشبيهُ نَفْسِ الشيء المُشَبَّه مع دُخول الكافِ أو مثل أو كأنّ وما شاكلَها شيءً بشيء في بيتٍ واحدٍ . حتى قال امرؤ القيس في صفة عُقابٍ :

كأنَّ قلوبَ الطيرِ رطباً ويابســاً لدى وَكْرِها العُنّابُ والحَشَفُ البالي(٤)

شبّه رَطْبَ القُلوب بالعُنّاب ويابسَها بالحشف . بالغ في وَصْفِها بكثرةِ الاصطيادِ لأنَّ للجوارح رغبةً في أكل القُلوب ايثاراً لها على غيرها . والقلبُ جُزءٌ يسير من الحيوان بالنسبة الى سائره . فاذا كانت القلوبُ على ماوصَفَ فما ظنُّكَ بغيرها ؟ وذهبَ بعضهم الى انّ الجوارح لاتأكلُ قلوب الطير وغرُّهُ ماذكرَ الكنديُّ من كثرتها يابسةً ورطبةً . وهذا غلطٌ في التأويل . والصواب ماذكر . لما يُشاهد من رغبةِ الجوارح فيها (فشبّه شيئين بشيئين في بيت واحد)(٥) . ثم اتبعه الشعراءُ .

(فـ) قال لبيد :

(١) مابين عضادتين ساقط من ت .

(٢) انظر نقد الشعر ص١٢٢ . وفي الاصلين الايجاد ، وهو تحريف .

(٣) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٢١

(٤) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٨

(٥) مابين عضادتين استضفناه من العمدة ١ / ٢٩٠ ليستقيم به الكلام .

وَجَلا السيولُ عن الطلولِ كأنّها زُبُرٌ تُجِدُّ مُتونَها أقْلامُها(١)

شبّه الطلولَ بالزُبر والسيولَ(٢) بالاقلام ، زادَ فشبّه جلاء هذه عن هذه بتجديد تلك لتلك .

وقال الطرمّاح في صفة ثور وحش وأحسن ماشاء :

يبدو ، وتُضْمِرُهُ البلادُ ، كأنّه سَيْفٌ على شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ(٣)

(   ) وقال بشّارٌ ،

كأنّ مُثارَ النَقْعِ فوق رؤوسِهِم وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكِبُه(٤)

وقال ابو سعد في قالب بيت لبيد :

فجادتْ شؤوني بالدموعِ كأنّها اوائلُ مُزْنٍ اوسِقَتْ فاستهلّتِ(٥)

شبّهَ شؤونَه بالسحاب ودموعَهُ بالمطر .
وقال ابن الرومي وأحسن ماشاء :

كأنّ تلك الدموعَ قطرُ ندىً يَقْطُرُ من نرجسٍ على وَرْدِ(٦)

وأمّا شيءٌ بشيءٍ فكثيرٌ كقول ابنِ الرّقاع ،

لولا الحياءُ وانّ رأسي قد عَلا فيه المشيبُ لزُرت أمّ القاسمِ
وكأنّـــها بين النـــساءِ أعارَها عَيْنَيْه أحْورُ من جآذرِ جاسمِ

(١) البيت للبيد بن ربيعة العامري في ديوانه ص٢٩٩ .
(٢) ت ، السيوف ، وهو تحريف .
(٣) البيت للطرماح في ديوانه ص١٤٦ .
(٤) البيت لبشار في ديوانه ١ / ٣٦٨
(٥) لم نظفر بتخريجه .
(٦) البيت لابن الرومي في ديوانه ٢ / ٧٦٧

وسْنانُ أقْصَدَهُ النُعاسُ فَرَنَّقَتْ   في عَيْنِه سِنَةٌ وليس بنائم(١)

وقد تُحذَفُ آلةُ التشبيه ويُقام مايُضاف اليها مقامَها كقول امرىء القيس ،

اذا قامتا تضوّع المِسْكُ منهما   نسيمَ الصّبا فاحت بريّا القُرنفُلِ(٢)

وقولُ غيلان ،

ولّما رأيتُ الشمسَ والشمسُ حيّةٌ   حياةَ الذي يَقْضي حُشاشَةَ نازع(٣)

وقولُ مُرقش(٤)،

النشرُ مسكٌ والوجوه دنا   نيرٌ وأطرافُ الأكُفِّ عَنَمْ(٥)

ابن المعتز ،

بدرٌ وليلٌ وغصنٌ   وجهٌ وشَعْرٌ وقَدُّ
خمرٌ ودُرٌّ ووردٌ   ريقٌ وثغرٌ وخَدُّ(٦)

التشبيهات عُقم لم يسبق اصحابُها اليها . واشتقاقُها من الريح العقيم وهي التي لاتُلقح شجرةً ولا تُنْتِجُ ثمرةً ، كقول عنترة ،

---

(١) الابيات لعدي بن الرقاع في الشعر والشعراء (طبعة احمد شاكر) ص ٦٢٠ ورواية الثاني ، وكأنها وسط النساء . وهي في الاغاني ٨ / ١٧٤ ومعجم البلدان ٢ / ٨ والثاني والثالث في الحلية ١ / ٦٩ وفي العمدة ١ / ٣٠١ والتحرير ٣٩٥

(٢) البيت لامريء القيس في ديوانه ص ١٥ وروايته ، اذا التفتت نحوي تضوّع ريحُها وفي ت ، جاءت بريا .

(٣) البيت لذي الرمة في ديوانه ص ٣٦٤ ورواية صدره ، فلمّا رأينَ الليلَ .

(٤) ت ، امرىء القيس ، وهو وهم .

(٥) البيت لمرقش في العمدة ١ / ٢٩٢ .

(٦) البيتان لابن المعتز في ديوانه ٣ / ٢٥٧

وخَلا الذُباب بها فليس ببارحٍ　　غرِدٍ كفعل الشارب المُتَرَنِّم
هَزِجاً يَحُكُّ ذِراعَهُ بذراعِه　　قدح المكبِّ على الزنادِ الأَجْذَمِ[1]

وقول الحطيئة :

ترى بين عينيها اذا ماتَزَغَّمَتْ　　لُغاماً كبيتِ العنكبوتِ المُمَدِّدِ[2]

وقال مُضرّس بن ربعي يصفُ رأسَ نعامةٍ :

صكّاءُ عارية الأخادع[3] رأسُها　　مثل المدقِ وأنْفُها كالمبردِ[4]

وفي الكتاب العزيز « والقمر قَدَّرناهُ منازلَ حتّى عادَ كالعُرجونِ القديم »[5]
ومن كلام النبيِّ عليه السلام : (الناسُ كأسنان المُشْطِ ، وانّما يتفاضلونَ بالعافية)[6] وقال : (الحَسَدُ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ)[7]. وقد رغبَ أكثر المولّدين عن تشبيهاتٍ وردت في اشعار العرب استبشاعاً وان كانت بديعةً كقول امرىء القيس :

---

(١) البيتان لعنترة بن شداد في ديوانه ص ١٩٧ ـ ١٩٨ ورواية الاول : فترى الذباب بها يغني وحده هزجاً ورواية الثاني : غرداً يسنّ ... فعل المكب

(٢) البيت للحطيئة في ديوانه ص ١٥٥ وروايته : بين لَحْيَيْها

(٣) ت : الاخداع ، وهو تحريف .

(٤) البيت لمضرس بن ربعي في العمدة ١ / ٢٩٨ وروايته : سكّاء عارية الاخادع ... كالمسرد والبيت له في حلية المحاضرة ١ / ٧٩ (طبعة هلال ناجي) وروايته : صفراء عارية الاكارع .... ومضرس بن ربعي : من بني أسد شاعر مخضرم حسن التشبيه والرصف انظر مصادر ترجمته في الاعلام ٨ / ١٥٣ .

(٥) الآية الكريمة رقم ٣٩ ك سورة ياسين رقم ٣٦

(٦) ت : بالعاقبة . والحديث الشريف في العمدة ١ / ٢٩٩

(٧) الحديث الشريف في العمدة ١ / ٢٩٩ .

وتَغطُو برَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ(١) كأنّه أساريعُ ظَبْيٍ أو مَساويكُ إسْحِلِ(٢)

شبّه بنانَها بالأساريع وواحدتُها أسروعَةٌ . وهي دُودَةٌ كأحْسَنِ البَنانِ ليناً وبياضاً واستواءً ( ) وحمرة رأس كأنه ظفر قد خُضِبَ(٣) بحنّاء ورُبّما كان رأسُها اسود . لانّ الحضريّةَ المولَّدة اذا سمعتْ قول ابن الرومي :

بنفسي قصرٌ بالرُصافة شاقني بأعلاه قَصريُّ الدّلالِ رُصافي
أشار بقضبانٍ من الدُرِّ قُمِّعَتْ يواقيتَ حُمرا فاستباح عفافي(٤)

أو قول ابن المعتز :

أشارت على خوفٍ بأغصان فِضَّةٍ مُقَوَّمةٍ أثمارهُنَّ عقيقُ(٥)

كان أحَبَّ اليها من تشبيه بنانها بالدود . وان كان تشبيه امرىء القيس اشدّ اصابة . والعربُ تشبّه البنان بالعنم والاقلام ونحوها لانّها قريبَةُ التشبيه في القدّ والاستواء والملوسة . والاوّلُ على كراهِيَته اشبهُ بها . وعاب الاصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة :

نَظرتْ اليكَ بحاجةٍ لم تَقْضِها نَظَرَ السَّقيم الى وُجوهِ العُوَّدِ(٦)

وفضّل عليه قول عديّ بن الرقاع وقد تقدم . على أنّه تشبيه لايلحق ولا يُشق غُبار صاحبه . ولم يَجِدْ فيه مطعناً الاّ بذكر المريض لأنه رُغِبَ عن تشبيه المحبوبة به .

(١) ت ، شين ، وهو تحريف .
(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ١٧
(٣) ت ، خضبت .
(٤) البيتان لابن الرومي في ديوانه ص ١٦٢٧ . رواية صدر الاول ، سقى الله قصراً . ورواية عجز الثاني ، تستبيح عفافي . وفي الاصلين ، أشارت .... فاستبان ، وهو تحريف .
(٥) البيت لابن المعتز في ديوانه ٢ / ٣٦٩ وروايته ، أشرن على .
(٦) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٩٣

وعيب قولُ مسلم :

وغطت بأيديها ثمارَ نُحورها   كأيدي الأسارى أثقلتْها الجَوامعُ(١)

رغبة عن ذكر الأسارى . وهذا من قول النابغة :

يُخَطِّطْنَ بالعيدانِ في كُلِّ منزلٍ   ويَخْبَأْنَ رُمّانَ الثُدِيِّ النَّواهِدِ(٢)

(   ) وعاب الرمّاني على بعض أهل عصره قولَهُ :

صُدْغُهُ ضِدُّ خدِّهِ مِثْلُ ماالو   عدَ -اذا مااعتبرتَ- ضِدُّ الوعيدِ
ولـــــه(٣) غُرَّةٌ كلونِ وصالٍ   تحتها طُرَّةٌ كلونِ الصُدودِ(٤)

من قِبَلِ أنّه شبَّه الاوضحَ بالأغمَضِ . وما تَقَعُ عليه الحاسَّة بما لاتقعُ . وليس بمعيبٍ لأنَّ الشاعر قصَد أن يُشَبِّه بما يقومُ في النفسِ دليلُه باكثر ممّا هُو عليه في الحقيقة كأنّه اراد المبالغة . لأنَّ معرفة النفسِ والعقلِ أعظم من ادراك الحاسَّةِ . وقد جاء مثلُه في القرآنِ والشعر . قال اللّٰه عزّ وجلّ «(طَلْعُها كأنه رؤوس الشياطين)»(٥) فَشَبَّهَ بما لايُشك أنه مُنكر قبيحٌ . لما جعل في انفُس الانسِ من بشاعة صُور الشياطين وان لم يروها عياناً .
وقال امرؤ القيس :

أيقتُلني والمَشْرفيُّ مُضاجِعي   ومَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كأنْيابِ أغْوالِ(٦)

شبَّه نصال النبل بانياب الغُول لما في النفس منها . وامّا قول ابن المعتز :

(١) البيت لمسلم بن الوليد في ديوانه ص ٢٧٣ وروايته . فغطت
(٢) البيت للنابغة في ديوانه ص ١٣٩ وروايته . في كل مقعد
(٣) ت . طرة
(٤) البيتان دون عزو في العمدة ١ / ٢٨٧ ورواية عجز الثاني . فوقها طرّة كلون صدود
(٥) الآية رقم ٦٥ ك سورة الصافات رقم ٣٧
(٦) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص٣٣ .

وأقبل نحوَ الماءِ يستلّ صَفْوَهُ　　كما غمدتْ أيدي الصياقل مُنْصُلا[1]

فانه تشبيهٌ عجيبٌ ، وصفَ شُرْب حمار وحشٍ ، وشبّه انصبابَ الماءِ في شِدْقَيْهِ الى حَلْقه بمنصُلٍ يغمد ، وهذا يُدرك بالحسّ ، ويَتَمثّلُ في العقل . وكرّر هذا فقال يذكر ابل سفر : (　　)

واغمدنَ في الاعناقِ أسْيافَ لُجّةٍ　　مُصَقّلةٍ تُفْرى بهنّ المفاوزُ[2]

بابُ المذهب الكلاميّ *

وهي اشتمالُ المعنى على حُجّةٍ بالغةٍ يتَجنّبُ العُقلاءُ ردَّها لشدّةِ تمكّنها من الانفس ، ولا يقع الاّ في الاعتذار غالباً . وفي الاتيان به دليلٌ على بُعد مرمى الشاعر وفرط مقدرته كقول الذبياني :

ولكنّي كنتُ امْرأً ليَ جانبٌ　　من الارضِ فيه مُسْتَراد ومَهْرَبُ
مُـلوكٌ واخوانٌ اذا مالَـقِـيْـتُـهم　　أحَـكَّـمُ في أموالـهـم وأقَرّبُ
كَفِعْلكَ في قومٍ أراكَ اصطنعتَهُمْ　　فلم تَرهُم في مثل ذلك أذنبوا[3]

أي لاتلُمني على مدح آلِ جفنة وقد أحسنوا اليّ ولا تَعُد ذلك ذنباً ، كما لو أحسنتَ الى قوم فشكروا لك لم تر ذلك[4] ذنباً . وهذه طريقة الجَدَلِ . وانما اتّفق له بقوّة الغريزة وفضل التمييز .

وقول ابي سعيد يعتذرُ عن أمرٍ صَدَر منه وكتب به الى بعض اخوانه :

جرى القضاءُ بما فيه فانْ تَلُم　　فلا مَلامَ على ماخُطّ بالقَلَم
وان تُرِدْ خبري فالحال ناقصةٌ　　والقلبُ في شُغُلٍ، والجسمُ في ألَمِ[5]

(١) البيت لابن المعتز في ديوانه ٢ / ٣٧٩ وروايته ،
(٢) فلما وردن الماء واستل .... اغمدت ..
(٣) البيت لابن المعتز في ديوانه ٢ / ٥١ وروايته ، فاغمدن .

* انظر باب المذهب الكلامي في الصناعتين ص ٤٢٦ وفي العمدة ٢ / ٧٨ ــ ٧٩ .
وفي بديع ابن المعتز ص ٥٣ وتحرير التحبير ١١٩ ونهاية الارب ٧ / ١١٤ وحسن التوسل ٣٢ .
الابيات للنابغة في ديوانه ص ٧٣ . رواية الاول ، ومذهب . رواية الثاني ، اذا ماأتيتهم . ورواية الثالث ، في شكر ذلك أذنبوا .
ت ، لك .
البيتان لم نظفر بتخريجهما .

فالاوّل منهما ، من افْضَلِ هذا الباب ، والثاني ، من احسن التقسيم .

وقول ابراهيم بن المهدي ، (   ) يعتذر الى المأمون من وثوبه على الخلافة ،

البِرُّ بي منكَ وَطّا(١) العُذْر عندكَ لي فيما فعلتُ ، فلم تَعْذُل ولم تَلُم
وقام علمُكَ بي فاحتَجَّ عندكَ لي مقامَ شاهِدِ عدلٍ غيرِ مُتَّهمِ(٢)

بابُ التشكيك *

ويُسمَّى التجاهلُ ، وهو من مليح الشعرِ وطُرَقِ الكلامِ ، وله في النفس حلاوةٌ وحسن موقع بخلاف ماللغلوّ . وفائدته للدلالة على قرب الشِبْهَيْن حتى لا يكادُ يفرِّقُ بينهما ، ولا يميِّز أحدهما عن الآخر ، كقول ابن ميّادة ،

وأشْفِقُ من وشْكِ الفراق وانّني أظُنُّ لمحمولٌ عليه فَراكِبُهْ
فواللهِ ماادري أيغلبني الهوى اذا جدَّ جدُّ البين أم أنا غالِبُه
فان استطعْ أغلِبْ وان يغلب الهوى فمثلُ الذي لاقيت يُغْلَبُ صاحِبُه(٣)

قوله ، « أظنُّ » مليحٌ ، وكذلك قوله ، « ماأدري أيغلبني » و « أم أنا غالبه » .

وأخذ ابن أميّة(٤) هذا المعنى فقال ،

فديتُكَ لم تَشْبَعْ ولم تَروَمن هَجْري أيَسْتَحْسَنُ الهجرانُ اكثَر من شَهْرِ؟!
أراني سأسلُو عنك ان دام ماأرى بلا ثِقَةٍ، لكن أظُنُّ ولا أدري(٥)

---

(١) ت ، البرُّ منك وطاءٌ .

(٢) البيتان لابراهيم بن المهدي في العمدة ٢ / ٧٩ ورواية صدر الاول ، البر منك وطاء العذر عندك لي . وهما له في الصناعتين ٤٢٦ وفي بديع ابن المعتز ص ٥٤

* انظر باب التشكيك في العمدة ٢ / ٦٦ وتحرير التحبير ٥٦٣ وكتاب الصناعتين ص ٤١٢ ـ ٤١٣ وبديع القرآن ٢٧٩ .

(٣) الابيات لابن ميادة في ديوانه ص ٢١ ـ ٢٢

(٤) ت ، ابن امية .

(٥) البيتان لابن أبي مية في العمدة ٢ / ٦٨ . وفي الاصلين أراني سلوا . وهو تحريف صوبناه .

وقول غيلان :

هيا ظَبْيةَ الوَعْساء بينَ جُلاجِلٍ ... وبين النَّقا آأنْتِ أمْ أمُّ سالم[1]

( ) وقول سلم[2] :

تَبَدَّتْ فقلتُ الشمسُ عند طلوعها ... بجلدٍ غَنيِّ اللون عن أثر الوَرْسِ
فَلَمّا كررتُ الطرفَ قلتُ لصاحبي ... على مِرْيَةٍ: ماهاهُنا مطلعُ الشمْسِ[3]

وتناول أبو بديلٍ[4] الوضّاحُ بن محمد الثقفي هذا المعنى فقال يمدحُ المستعين بالله :

وقائلةٍ والليلُ قد نَشَرَ الدّجى ... فغطّى بها مابينَ سَهْلٍ وقَرْدَدِ
أرى بارقاً يبدو من الجوسقِ الذي ... به حلَّ ميراث[5] النبيِّ مُحَمَّدِ
فظَلَّ عذارى الجزع ينظمن تحتَهُ ... ظَفاريّةَ الجزع الّذي لم يُسَرَّدِ
أضاءَتْ به[6] الآفاقُ حتّى كأنّما ... رأينا بنصفِ الليلِ نورَ ضحى الغد
فقلتُ: هو البدرُالذي تعرفينه[7] ... والاّ يكُنْ فالنورُ من وَجْه احمدِ[8]

بابُ الاشارة [*]

ومعناها اشتمالُ اللفظ القليل على المعاني الكثيرة . ولا يتأتّى الاّ للمُبَرِّز الحاذق . وهي في كل نوع من الكلام لمحَةٌ دالّةٌ . واختصارٌ . وتلويحٌ يُعْرَفُ مُجملاً ومعناه

---

[1] البيت لذي الرمة في ديوانه ص ٦٢٢ ورواية الديوان : أيا .
[2] ت : سالم . والصواب ماأثبتنا ، وهو سلم بن عمرو الخاسر .
[3] البيتان لسلم الخاسر في العمدة ٢ / ٦٧ وفي تحرير التحبير ص ٥٦٤ . وفي ت : ماهنا وهو خطأ .
[4] في العمدة ٢ / ٦٧ : ابو زيد .
[5] ت : محراب .
[6] في الاصلين : له . وهو تحريف .
[7] الاصلين : تعرفونه والتصويب عن العمدة .
[8] الابيات له في العمدة ٢ / ٦٧
[*] انظر مبحث الاشارة في حلية المحاضرة ١ / ٣٧ (طبعة هلال ناجي) وكتاب الصناعتين ص ٣٥٨ وبديع اسامة ٩٩ والعمدة ١ / ٣٠٢

بعيدٌ من ظاهر لفظِه . وهي أنواعٌ منها نوعٌ يُسَمَّى « التفخيم » ، كقول الله عزّ وجلّ « (القارعةُ ماالقارعة) »(١) .

وقال كعبُ بن سَعْدِ الغنويُّ :

أخي ماأخي لافاحِشٌ عندَ بَيْتِه ولا فَزِعٌ عند اللّقاءِ هَيُوب(٢)

ومنها « الايماءُ » كقوله عزّ وجلّ « (فَغَشِيَهُم من اليَمّ ماغَشِيَهُم) »(٣) فأومأ اليه وترك التفسير مَعَهُ .
وقال كثيّر :

تجافيتِ عنّي حينَ لاليَ حِيلةٌ وَخَلَّفتِ ماخَلَّفْتِ بين الجوانح(٤)

وقال ابنُ ذريح :

أقولُ اذا نَفْسي من الوَجْدِ أصْعَدَتْ بها زَفْرَةٌ تعتادني هيَ ماهيا(٥)

وقوله : « وخلّفت ماخلفت » ايماءٌ مليحٌ . وكذلك قول الآخر « هي ماهيا » .
ومنها :
« التَّعْريضُ » ، كقوله ( ) عزّ وجلّ « (ذُقْ انك انت العزيز الكريم) »(٦)
نزلتْ في ابي جهلٍ لأنه قال : ما بين أخشبيها ـ اي جبليها ـ يعني مكة، أعزُّ منيّ ولا أكرمُ ، وقيل : بل خُوطِبَ بذلك استهزاءً .
وقال كعبُ بن زهير(٧) :

---

(١) الآيتان ١ و ٢ ك سورة القارعة رقم ١٠١

(٢) البيت لكعب بن سعد في العمدة ١ / ٣٠٣ وروايته ، ولا وَرِعٌ .

(٣) الآية الكريمة رقم ٧٨ ك سورة طه رقم ٢٠ واول الآية ، فاتبعهم فرعون بجنوده .

(٤) البيت لكثير عزة في ديوانه ص ٥٢٦ ورواية الديوان ، تناهيت عني .... وغادرت ماغادرت ورواية ت ، وغادرت ماغادرت .

(٥) البيت لقيس بن ذريح في ديوانه ١٦٠

(٦) الآية الكريمة رقم ٤٩ ك سورة الدخان رقم ٤٤

(٧) البيت لكعب بن زهير في شرح ديوانه ص ٢٣ وروايته ، في عصبة .

(في فتيةٍ من قُريشٍ قال قائلُهم ببطنِ مكّةَ لمّا أسْلموا زُولوا

فعرَّضَ بعُمرَ وقيل بأبي بكر وقيل بل برسول الله صلى الله عليه .

ومنها : التلويحُ . كقول المجنون قيس بن مُعاذ)(١) :

لقدْ كنتُ أعْلُو حُبَّ لَيْلى فَلَمْ يَزَلْ بي النقضُ والابرامُ حتّى علانيا(٢)

ومن أجود هذا النوع قول النابغة يصف طول الليل :

تقاعسَ حتى قلتُ : ليسَ بِمُنْقَضٍ وليسَ الذي يهدي (٣) النجومَ بآيبِ(٤)

أراد براعي النجوم : الصُبحَ . وأقامَهُ مقامَ الراعي الذي يغدو ويذهبُ بالماشية ولوّح به تلويحةً عجباً في الجودة .

ومنها : « الكنايةُ والتمثيلُ » . كقول ابن مُقبلٍ وكان يبكي أهل الجاهلية فقيل له في ذلك فقال :

ومالِيَ لاأبكي الديارَ وأهْلَها وقد رادَها رُوّادُ عكٍّ وَحِمْيرا(٥)

وجاء قطا الأجْبابِ من كلّ جانبٍ فوقّع في أعطانِها . ثم طيّرا(٦)

ومنها : « الرمزُ » . وهو الكلامُ الخَفيُّ الذي لايكادُ يُفهم . ثم استُعمل حتّى صار للاشارة . قال الفرّاء : وأصْلُهُ بالشفتين خاصةً(٧) .

قال بعضُ العرب يصف امرأةً قُتِلَ زوجُها وسُبِيَتْ : ( )

عددتُ لها من زوجها عَدَدَ الحصى مع الصُبح أوْ مَعْ جُنح كلِّ أصيلِ(٨)

(١) مابين عضادتين ساقط من ت .

(٢) البيت في ديوانه ص ٢٩٤ وروايته : وقد وهوله في العمدة ١ / ٣٠٤ .

(٣) كذا في الاصلين . والصواب : يرعى .

(٤) البيت للنابغة في ديوانه ـ تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ـ ص٤٠ وروايته: تطاول... يرعى النجوم.

٥ البيت لابن مقبل في ديوانه ص ١٤١ وروايته : وقد حَلّها

٦ البيت لابن مقبل في ديوانه ص ١٣٢ وروايته : فنقّر في اعطانه .

٧ قال ابن رشيق في العمدة ١ / ٣٠٥ « فكنّى عما أحدثه الاسلام ومثّل كما ترى » .

٨ (انظر قوله الفراء في العمدة ١ / ٣٠٦

البيت دون عزو في العمدة ١ / ٣٠٥ وروايته : عقلت لها .

أي أعطيتُها دِيَةَ زوجها النَهمُ الذي يدعوها الى عَدّ(١) الحصى . وهذا من قول الكنديّ :

ظَللتُ ردائي فَوْقَ رأسيَ قاعداً أعدُّ الحصى ماتَنْقَضي حسراتي(٢)

ومنها : « اللغز » وهو أن يكون للكلام ظاهرٌ عجيبٌ لا يُمكِنُ ، وباطنٌ بضدّ ذلك . واشتقاقه من لَغَزَ اليربوع اذا حفر لنفسه مُستقيماً ، ثم أخذ يمنةً ويسرةً ليُعَمّي على ملتمسه ، كقول غيلان يصف عين انسان :

وأصْغَرَ مِنْ قَعْبِ الوليدِ تَرى بِهِ بيوتاً مُبنّاتٍ وأوديةً قَفْراً(٣)

الباء في « به » للالصاق ، وان توهّم السامعُ انها بمعنى في ، لاستحالة ذلك عقلاً
ومثله قول أبي المقدام

وغلامٍ رأيــــتُـــــه صارَ كـــلــــباً ثمَّ من بعد ذاك صارَ غزالا(٤)

صار هُنا بمعنى عطفَ وما أشْبَهَهُ، ومستقبله يصُور
قال الله عز وجلَ « (فَخُذْ اربعة من الطير فصُرْهُنَّ اليك) »(٥) وليست أخت كانت التي معناها استقرَّ بعد تحوُّلٍ .
ومنها : « اللَّحْنُ » ، وهو كلامٌ يعرفُه المُخاطَبُ بفَحْواه ، وان كان على غير وجهه كقول بعض العرب :

خَلّوا على(٦) الناقة الحمراء أرحُلَكُمْ والبازلَ الأصهبَ المعقولَ فاصْطَنِعُوا
انّ الذئابَ قد اخضَرَّتْ براثنها والناسُ كلُّهُمْ بَكْرٌ اذا شَبِعُوا(٧)( )

---

(١) : عدد ، وهو تحريف .
(٢) البيت لامرىء القيس في ديوانه ص ٧٨ وروايته : ماتنقضي عبراتي
(٣) البيت لذي الرمة في ديوانه ص ١٨١ ورواية العجز : قباباً .... خُضْرا
(٤) البيت لابي المقدام العمدة ١ / ٣٠٧ .
(٥) الآية الكريمة رقم ٢٦٠ م سورة البقر رقم ٢ وأولها : قال فخذ ....
٦ في الاصلين : حلوا عن ، وهو تحريف
٧ البيتان دون عزو في العمدة ١ / ٣٠٨

أراد بالناقةِ الدهناء وبالجمل الصمّانِ وبالذئاب ، الاعداء .

يقول ، اقدامُهم قد اخضرّت من المَشْيِ في العُشْبِ من الخصْب . والناسُ كلُّهم اذا شبعوا طلبوا فصاروا عدّواً لكم كما ان بكر بن وائلٍ عدوٌّ لكم .

ومنها ، التوريةُ وهي في اشعار العرب كناية بشاةٍ او شجرةٍ او بيضةٍ او نعجةٍ او ماشاكل هذا كقول عنترة :(١)

ياشاة ماقَنَصَ لمن حلَتْ له خَرُمت عليّ وليتها لم تَحْرُمِ

اراد امرأةً يهواها . وقيل اراد عبلة وكانت(٢) امرأة أبيّةً وقيل كانت جاريةً ولذلك حرَّمها على نفسه . والعَربُ تُسمّي المهاةَ شاةً ونعجةً وفي الكتاب العزيز «(ان هذا اخي له تسعٌ وتسعون نعجةً ولي نعجةٌ واحدةٌ)»(٣) كنى بالنعجة عن المرأة .

وقال حميد بن ثور :(٤)

أبى اللهُ الاّ انّ سَرْحةَ مالكٍ على كلّ أفنان العِضاهِ تَروقُ
فيا طيبَ ريّاها ويا بَرْدَ ظِلّها اذا كان من شمس النهار شروقُ
فهل أنا ان عَلّلْتُ نفسي بسَرْحَةٍ من السرح مَسْدُودٌ عليّ طريقُ

وانّما ورّى لانّ بعض الخلفاء حظر ذكر النساء على الشعراء . وقال الكندي :(٥)

وبـــيــــضة خِدْرٍ لايُرام خِـــباؤها تمتعتُ من لَهْوٍ بها غيرَ مُعْجَلِ

كنى بالبيضة عن المرأة . وقد يُوَرّى عن الشيء بما يوهم انّه هُوَ وهو سَمِيُّه ، وهذا النوعُ هو مذهَبُ المحدثين في التورية غالباً ، وقد ورّثَ العربُ بذلك .

قال الحطيئةُ :(٦)

(١) عنترة . الديوان / ٢١٣
(٢) في تاء ، وكانت ابيّة ..
(٣) سورة صَ الآية (٢٨)
(٤) حميد بن ثور . الديوان / ٤١ ـ ٤٢ ورواية البيت الثاني
اذا حانَ من حامي النهار وَدُوقُ
(٥) هو امرؤ القيس والبيت من مطولته في ديوانه / ١٣
(٦) اخل به ديوانه والبيت لجميل في ديوانه / ٦٢ وفيه ... اذا قلت مابي يابثينة

اذا حُدِّثْتُ ان الذي بي قاتلي   من الحُبِّ ، قالت : ثابتٌ ويزيدُ

بابُ التجاوز(١)

ويُسمى التتبيع والارداف ، وهو ان تُريد ذكر شيء فتتجاوَزَهُ وتذكر مايتبعه في الصفة وينوب عنه بالدلالة عليه ، واوّل من أشار اليه امرؤ القيس(٢) بقوله :

وتُضحي فتيتُ المِسْكِ فوق فِراشِها   نؤوم الضُحى لم تنتطق عن تفضُّلِ

فيه التتبيع في ثلاثة مواضعَ وصَفَها بالنعمةِ والنعمةِ وعدم الامتهان في الخدمة فجاء بما يتبعُ الصفة ويدلُّ عليها افضلَ دلالةٍ ، ومثله قول عنترة :(٣)

بَطلٌ كأنَّ ببابه في سرجه   يُحذي نِعالَ السِبت ليسَ بتوأمِ

وصفهُ بالطولِ والشرف وقُوَّة التركيب .
ومثلهُ قولُ الاخطل :(٤)

أسِيلَةُ مجرى الدمع أمّا وشاحُها   فجارٍ وامّا الحَجلُ منها فما يَجرْى

وصفَ خدّها بالسهولة وخصرها بالدِقَّةِ وساقها بالامتلاء .

وقال الحطيئة :(٥)

لعمرك ماقُرادُ بني نميرٍ   اذا نُزع القُراد بمستطاعِ

أراد انهم لا يخدعون عن عزّهم وابائهم فيقدر عليهم ، وذلك انّ الفحل اذا مُنع الخطام نزع من قُرادِهِ شيءٌ فلذّ لذلك وسكن اليه ولان حتى يلقى الخطام في رأسه .

(١) العمدة ١ / ٣١٣ .
(٢) ديوانه ١٧ .
(٣) عنترة . الديوان / ٢١٢ وفيه ... ببابه في سَرْجِهِ
(٤) الاخطل . ديوانه ١ / ١٧٩ تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة
(٥) الحطيئة . الديوان / ٦٢ وفيه .. لعمراك ماقُراد بني رياح ..

وقال ابن مقبل : (١) (   )

(نحن المُقيمونَ لم تَبْرَحْ ظَعَائِنُنا   لانستجيرُ ، ومَنْ يَحْلُلْ بِنَا يُجَرِ

أراد أنهم في مُستقرّ عز ، وليسوا ممن ينتقل خوفاً ، وانهم لذلك يجيرون ولا يستجيرون وكل ماوقع من قولهم : طويل النجاد ، وكثير السهاد والرفاد ونحو ذلك فهو من هذا الباب .

باب المساواة ..(٢)

وهو ان يكون اللفظ مساوياً للمعنى كقول زهير : (٣)

ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ   وان خالها تخفى على الناسِ تُعْلَمِ
وقوله : (٣)
اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا   أصبتَ حليماً أو اصابَكَ جاهلُ
وقول جرير : (٤)
فلو شاءَ (قومي) كان حلميَ فيهم   وكان على جُهّال اعدائهم جهلي

بابُ التذييل (٥)

ومعناه اعادة الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد بعينه ليظهر لمن لم يفهمه ويتأكد عند من فهمه وهو ضد الاشارة كقوله : (٦)

فدعَوا نزالِ فكنتُ أوّل راكب   وعَلامَ أركـــبـــه اذا لـــم أنزلِ

---

(١) ديوانه ٨٨ .
(٢) البديع في نقد الشعر ١٩٥ . بديع القرآن ٧٩ ، جوهر الكنز ٢٠٠ .
(٣) ديوانه ٣٢ ، ٣٠٠ وفيه ، لم تقصر عن الجهل .
(٤) الديوان / ٣٧١ والزيادة منه .
(٥) البديع في نقد الشعر ١٢٥ . بديع القرآن ١٥٥ ، جوهر الكنز ٢٠٠ .
(٦) البيت لربيعة بن مقروم في شعره / ٣١٠ وروايته فكنت أول نازل وهو أصوب

فاستوفى المعنى في المصراع الأول ، وذيّله بالثاني وقول آخر :(١)

اذا ماعـــــــقدنا لـــــــــه ذِمَّةً　　شَددْنا الـعِـنـاجَ وعَـقْد الـكَرَبْ

وقول ابي نواس :(٢)

عرم الزمان على الذين عهدتهم　　بـك قاطـنـيـن ولـلـزمان عرام

وقول الرضي :(٣)

قـمر اذا استخجلته بعتابه　　لبس الغروبَ ولم يَعُدْ لطلوع
أبغي رِضاهُ بشافعٍ من غيره　　شرّ الـهوى مارمـتـهُ بـشـفـيـع

باب التسهيم(٤)

وقدامة يُسميه التوشيح ، وابن وكيع المطمع ، فمن سماه تسهيماً كأنه أخذه من تسهيم البرود ، وهو أن يرى ترتيب الألوان فيعلم اذا أتى أحدها مايكون بعده . ومن سماه توشيحاً فمن تعطف أثناء الوشاح بعضها على بعض ، وجمع طرفيه . أو من وشاح اللؤلؤ والخرز ، لأن له فواصل معروفة الأماكن تشبه بها ، ومن سماه المطمع فلما فيه من سهولة الظاهر وقلة الكلفة ، فاذا حاولته أمتنع مرامه . وسرّه ان يكون معنى البيت مقتضباً قافيته ، دالاً عليها كقول الراعي وهو من أجود انواعه :(٥)

وانْ وزن الحصا فوزنت قومي　　وجدت حصا ضريبتهم وزينا

(١) البيت لابي داود الايادي في ديوانه / ٢٩٢
(٢) ابو نواس . الديوان / ٥٠٣
(٣) ديوانه ١ / ٦٥٢ وفيه ، هواه بدل رضاه ، ونلته بدل رمته .
(٤) العمدة ٢ / ٣١ ، جوهر الكنز ٢٤٨ .

(٥) الراعي النميري . الديوان / ١٥٣ (تحقيق القيسي وناجي)
وهو رواية تختلف عن رواية الديوان وفي الديوان اذا ... حصى ضرائبهم رزينا

وهو انواع منه مايشبه المقابلة كقول جنوب بنت اخت عمرو ذي الكلب(١)

فأقسمُ ياعَمْرُو لو نبَّهاك اذاً نبَّها منْكَ داءً عُضالا
اذاً نبَّها ليْثَ عِرِّيسَةٍ مُفيتاً مُفيداً نُفُوساً ومالا)(٢)

وخَرقٍ تَجاوزْتَ مَجهُولَهُ بوجناءَ حَرْفٍ تشكّى الكَلالا
فكنتَ النهارَ به شمسَهُ وكُنت دُجى الليل فيه الهِلالا

فقابلت مُفيتا بالنفوس ومفيداً بالمال . ثم ذكرت النهار فجعلته شمساً والليل فجعلته هلالاً لمكان القافية ولوكانت رائية لجعلته قمراً .

وقال العباس بن مرداس وهذا النوعُ شبيهٌ بالتصدير : (٣)

همُ سوَّدوا هُجْناً وكُلّ قبيلةٍ يبيّنّ عن أحسابها من يسودُها

ومن اجود قول الخنساء : (٤)

ببيض الصِّفاح وسُمر الرماح بالبيض ضَرباً وبالسُّمرِ وَخْزاً
ونَلْبَسُ في الحرب نسج الحديد ونلبَسُ في السِلم خزاً وقزّاً

وحُكي ان عَديَّ بنَ الرقاع لمّا انشدَ في صفَة الظبية وولدها :
« تُزْجي أغنَّ كأنَّ ابرةَ رَوْقه »

غفلَ عنه الممدوحُ فسكت . فقال الفرزدق لجرير : ماتراهُ يقولُ ؟ فقال : (٥)
يقول : « قَلَمٌ أصابَ من الدواة مِدادَها » .

---

(١) في كتاب شرح اشعار الهذليين ٢ / ٥٨٣ قالت اخت عمرو ذي الكلب ترثيه ورواية الأول .. فأقسمتُ ... والثاني ... مفيداً مفيتاً .. والمفيت . المهلك

(٢) من ت . وقد سقطت من الأصل عند التصوير .

(٣) العباس بن مرداس . الديوان / ١٢٢ ورواية العجز ... يبيّن عن أحسابها .

(٤) الخنساء . شرح ديوان الخنساء / ٤٧ ورواية الاول فبالبيض ... ورواية الثاني ونسحب في السلم ...

(٥) في نسخة (ت) .. قال .

فلمّا اقبل اليه أنشدَ كما قال جريرٌ .
ومن جيّده قولُ بعضهم ، (١)

ولو انني اعطِيتُ من دهرَي المُنى   وما كُلُّ من يُعطى المنى بمسدَّدِ
لقلتُ لايّام مَضَيْنَ ألا ارجعي   وقلتُ لايّامِ أتَيْنَ ألا ابعدي

بابُ التفسير(٢)

وهو ان يستوفي الشاعرُ شرحَ ماابتدأ به مُجملاً وقُصارى مافيه السلامَةُ من سوء التضنين (   ) فأكثر مجيئه في بيتين كقول الكندي ، (٣)

وتعرفُ فيه من أبيه شمائلاً   ومن خاله ومن يزيد ومن حُجُرْ
سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاء ذا   ونائلَ ذا اذا صحا واذا سَكِرْ

فذكر الشمائل في البيت الاول مُجملةً ثم فسّرها في الثاني مُفَصَّلةً .

وقول الفرزدق ، (٤)

لقد خُفْتَ قوماً لو لجأتَ اليهم   طريدَ دمٍ أو حاملاً ثقل مَغْرَمِ
لالفيتَ منهم مُعطياً ومُطاعِناً   وراءك شَزْراً بالوشيج المُقَدَّمِ (٥)

بيَّن قولَهُ حاملاً ثقل مغرم بقوله لأُلفيتَ منهم(٦) معطياً . وقوله طريد دمٍ بقوله مُطاعناً . وهذا جيّد المعنى الا انه غير مُرتَّبٍ لانه فسّر الآخر اوّلاً والأول آخراً فجاء فيه بعضُ التقصير لان(٧) رأي من يرى انّ ردُّ الاقرب على الاقرب والابعد على الابعد أصحُ في الكلام .

(١) في نسخة (ت) واني لو اعطيت من دهري المُنى
(٢) العمدة ٢ / ٣٥ ، جرهر الكنز ١٤٨ .
(٣) هو امرؤ القيس بن حجر الكندي والابيات من قصيدة في ديوانه / ١١٣
(٤) الفرزدق الديوان ٢ / ٧٤٩ وفيه لقد خُنْتَ .
(٥) في النسخة (ت) لألفيت فيهم ...
(٦) في النسخة (ت) فيهم ..
(٧) في النسخة (ت) الا على رأي من يرى

وقد يجيء في بيتٍ كقول الكندي : (١)

ولو انّ ماأسْعى لادنى معيشَةٍ كفاني ولم اطلب قليلٌ من المالِ

وقول أبي الطيب : (٢)

فتىً كالسحاب الجون يُخشى ويتّقى يُرجّى الحيا منه وتُخشى الصواعقُ(٣)

وقد احكم (٤) هذا حتى أربى فيه على البحتري اذ يقول : (٥)

بأورع من طيٍ كأنّ قميصَهُ يزرّ على الشيخين زيدٍ وحاتم
سماحاً وبأساً كالصواعق والحيا اذا اجتمعا في العارض المتراكم

وأصْلُ هذا من قول الله عزّ وجلّ «(وهو الذي يريكم البرق خوفاً وطَمعاً)»(٦)
ومن مليحه لأبي الطيب : (٧)

ان كُوتبوا أو لُقوا أو حوربوا وُجدوا في الخطِّ واللفظ والهيجاء فرسانا

ففسّر وقابل كل نوع بما يليقُ به مرتباً .
ومن مليح التفسير قول محمود بن الحُسين وهو كشاجم : (٨)

في فمها مسكٌ ومشمولةٌ صرفٌ ومنظومٌ من الدُرّ
فالمسكُ للنكهة والخمر للـ ـريقة واللؤلؤ للثغر

---

(١) هو امرؤ القيس والبيت في ديوانه / ٣٩

(٢) المتنبي الديوان ٢ / ٢٤٦ وفيه ويرتجى ...

(٣) في النسخة (ت) .. يخشى ويرتجى بالوشيج المقوم وهي رواية الديوان

(٤) في النسخة (ت) وقد احكم في هذا

(٥) البحتري . الديوان / ٥٨ وروايته ... يُرجّى الحيا منها ..

(٦) الرعد ١٢ .

(٧) المتنبي . الديوان ٤ / ٢٤٧

(٨) كشاجم . الديوان / ٢٤٢

وقال لقمان لابنه ، اياك والكسل والضجر فانك اذا كَسِلْتَ لم تَرُدَّ حقاً ، واذا ضجرت لم تصبر على حقٍ .

بابُ النفي (١)

وقد ورد كثيراً ولا يكادُ يخلو من التضمين كقول جميلٍ : (٢)

فما روضَةٌ بالحزن جاد قرارها ذهاب الثُريا الوطف والديم الفضلُ
بها ثمرُ الريحان يندى وبقلَةُ ومن كُلِّ افواه الشِعاب بها بقلُ
بأطيبَ من رَيّا بثينة مَوْهناً ألا بَلْ لريّاها على الروضة الفَضْلُ

ومن مَعيب هذا الباب قول كثيِّر : (٣)

فما روضةٌ بالحَزْن طَيِّبَةُ الثرى يمجّ الندى جثجاثها وعَرارها
بأطيبَ من أرْدان عزّة موهنا وقد أوقِدَتْ بالمندلِ الرطب نارُها

( ) هجّن معناهُ ذكرُ المندَلِ وقيلَ لو أوقِدَت نارُ زنجيّةٍ بالمندَلِ(٤) لكانت ريحُ اردانها طيبة . والمليحُ اخبار جميل في صدر البيت بانّ الروضة التي وصَفَها بما وصَفَ ليست ريّاها باطيب من ريّا بُثينة ثم أضربَ عن ذلك وجعل لريّاها الفَضْلَ عليها .

---

(١) البديع في نقد الشعر ١٢٣

(٢) جميل . الديوان / ١٥٦ مع بيت اخر ورواية عجزه .. نحاهٌ من الوسمي أو ديمٌ هطل
وجاء الثاني مفرداً في / ٢٢٨ وروايته ..

بها قضب الريحان تندى وحَنوَةٌ ومن كل افواه البقول بها بَقْلُ

نقلاً من اللسان (حنو)

(٣) كثيّر . الديوان / ٤٢٩ ــ ٤٣٠

(٤) في النسخة (ت) سقطت لفظة (بالمندل) .

بابُ القَسَمِ (١)

وهو من محاسن الشعر كقول مالكٍ الأشتر : (٢)

بقيتُ وَفْرِي وانحرفتُ عن العُلى ولقيتُ أضيافي بوجْهِ عَبوسِ
ان لم أشنّ على ابن حَرْبٍ غارةً لم تَخْلُ يوماً من ذَهاب نُفوسِ

وقولُ ابي علي البصير : (٣)

اكذبتُ احسَنَ مايظنّ مؤمّلي وهدَمْتُ ماشادتْهُ لي أسلافي
وعَدِمْتُ عاداتي التي عوَّدْتها قِدْماً مـن الاتلاف والاحلاف
وصحبتُ أصحابي بعرضٍ مُعْرضٍ مـتـحـكـمٍ فـيـه ومالٍ وافـي
وغضضت من ناري ليخفى ضوْءها وقريـتُ عُذْراً كاذباً اضـيافـي
ان لم أشنّ على عليٍ حُلّةً تُضحي قذىً في أعيُن الأشْرافِ

ومن أحسن القَسَم قول بعضهم : (٤)

فان لم تكُن عندي كسمعي وناظري فلا نظرَتْ عيني ولا سَمِعَتْ أذني
وانك أحلى في جفوني من الكرى وأطيب طعماً في فؤادي من الأمْنِ

بابُ الهزل الذي يُرادُ به الجدّ (٥)

وهو من مليح الشعرِ ويدلُّ على بلاغة الشاعر كقول بعضهم : (٦)

اذا ماتَـمـيـمـيٌّ أتاك مُـفـاخراً فَقُل عدّ عن ذا كيفَ اكلك للضَّبّ ؟

(١) بديع القران ١١٢ . حسن التوسل ٢٧٧ .
(٢) البيتان في حماسة ابي تمام شرح المرزوقي ١ / ١٤٩ ورواية الثاني من نِهاب نفوسِ وينظر شعره في مجلة البلاغ العدد الثامن ١٩٧٨ .
(٣) اشعار ابي علي البصير / ١٦٣ ــ ١٦٤ (المورد . المجلد الاول / ١٩٧٢ العددان (٣ ــ ٤) .
(٤) الاول بلا عزو في تحرير التحبير / ٣٢٨ ونهاية الارب ٧ / ١٥١
(٣) تحرير التحبير ١٣٨ . الطراز ٣ / ٨٢ .
(٦) البيت لابي نواس في ديوانه / ٥٧٧ وينظر البديع / ١١٣ وتخريجه في تحرير التحبير / ١٣٩

ومن مليحهِ قول ابي العتاهية يقتضي عُمرَ بن العَلاِء :(١)

أصابت علينا جودك العينُ ياعُمَرْ فنحنُ لها نبغي التمائم والنُشَرْ
سَنَرْقيك بالأشعار حتى تملّها فانْ لم تفق منها رقيناك بالسُوَرْ

بابُ الاستطرادِ

وهو انّ الشاعر يرى انه يريد وصف شيء وهو يريدُ غيره فان قَطعَ ورَجَعَ الى ماكانَ فيه فذلك استطرادٌ وان تمادى فذلك خروجٌ وأصلهُ ان يريك الفارسُ انّه فرَّ وانّما فَرَّ ليَكُرُّ. وكذلك الشاعرُ يريك انه في شيء فَعَرضَ له شيءٌ لم يقصد اليه وذلك قَصْدُه حقيقةً كقول السموأل :(٢)

ونحنُ أناسٌ لانرى القتلَ سُبَّةً اذا مارأتْــــهُ عامرٌ وسَــــلولُ
يُقَرّبُ حبّ الموت آجالنا لنا وتــكرهُــهُ آجالــهــم فَــتَــطُولُ

(   ) وقال الفرزدق فأجاد :(٣)

كأن فقاحَ الأزد حولَ بن مسمع اذا اجتمعُوا افواهَ بكر بن وائلِ

ومن مليحه قول أبي الشمقمقْ :

وأحببتُ من حُبّها الباخلين حتى وَمِقْتُ ابن سَلْمٍ سعيدا
اذا سيل عُرفاً كسا وجهَهُ ثياباً من اللؤم حُمراً وسُودا

---

(١) أبو العتاهية . الديوان / ٥٥٧

(٢) السموأل . الديوان / ١٢

(٣) الفرزدق . الديوان / ٧٠٨ وروايته ... فقاح الأسد اذا عرفت افواه ..

(٤) أبو الشمقمق . شعراء عباسيون / ١٥٤ والثاني من اللؤم صفراً وسوداً

وقال الحاتميُّ : (١) وقد يقع من هذا الاستطراد مايخرج به من ذم الى مدح كقول زُهير : (٢)

انّ البخيل ملومٌ حيث كان ولا ... كنَّ الجوادَ على عِلّاتِه هَرِمُ(٣)

(   ) فسمّى الخروج استطراداً اتساعاً وانشد في الخروج بالاستطراد من مدح الى ذم قولَ بكر بن النطّاح يمدح مالك بن طوقٍ : (٤)

عرضتُ عليها ماأرادتْ من المُنى ... لِتَرضَى . فقالت قُمْ فجئني بكوكبِ
فقلتُ لها هذا التعنُّتُ كُلُّه ... كمن يتشهّى لحم عنقاءَ مُغْرِبِ
سلِي كُلَّ أمْرٍ يستقيم طِلابُه ... ولا تذهبي ياذرّ بي كُلَّ مَذْهَبِ
فأقسِمُ لو أصبَحْتَ في عزِّ مالكٍ ... وَقُدْرته أعيا بما رَمْتِ مَطْلبي
فـتىً شَـقِـيَـتْ أموالـه بـعُـفاتِـه ... كما شَقِيتْ قيسٌ بأرماحِ تَغْلبِ

فهذا مليحٌ اوّله خُروجٌ وآخِرُه استطرادٌ . وسَبَبُ ملاحتِه انّ مالكاً من بني تغلب فصارَ الاستطرادُ زيادةً في مَدْحِه .

ومن انواعِهِ نوعٌ يُسمَى الادْماج ، كقول عبيد الله بن عبدالله بن طاهر لعُبيد الله بن سُليمان بن وهب حين وزَر للمُعْتَضِد(٥) :

أبى دهرُنا اسعافَنا في نُفوسِنا ... واسعفَنا فيمن نُحِبُّ ونُكرِمُ
فقلتُ له نعماك فيهم أتمَّها ... ودعْ أمرنا انّ المهمَّ المُقدَّمُ

وكتب عمرو بن مسعَدةَ الى المأمون : « كتابي الى أمير المؤمنين أعزّهُ الله ومن قِبَلي من قُوادِه (   ) واجناده في الطاعةِ والانقياد على أحسَن مايكونُ عليه

(١) في النسخة (ت) قاله الحاتمي ..
(٢) زهير . الديوان / ١٥٢
(٣) في النسخة (ت) ... حيث كاذ ولا
(٤) بكر بن النطاح . شعره / ٧ ورواية الرابع ..
فلو أنني اصبحت في جود مالك ... وعزته مانال ذلك مطلبي
والخامس .. أمواله بسماحه
(٥) البيتان في العمدة ٢ / ٤١ وفيه أبى الدهر من اسعافنا ..

طاعةُ جندٍ تأخرت ارزاقُهم واختلت احوالهم » . فجعلَ يُرَدِّدُ فيه النظر . ثم قال لأحمد بن يوسف الكاتب : لعلّك ياأحمد فكّرتَ في ترديدي النظر في هذا الكتاب ؟ قال : نعم ياأمير المؤمنين . (قال) : ألم تَرَ ياأحمد الى ادماجه المسئلة في الاخبار واعفاء سلطانه من الاكثار . ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهُر.

بابُ التّفْريع (١)

ويسمى التعليقَ والادماجَ . وسمّاه العسكريُّ المُضاعف : وهو ان يقصد الشاعرُ وَصْفاً ثم يُفَرّعُ منه آخر يزيد الموصوف توكيداً وهو من الاستطراد كالتدريج من التقسيم وحقه أن يكون الآخر من الموصوفين زائداً على الاول درجةً في الحسن ان قصد المدحُ وفي القُبح ان قُصِدَ الذمُّ . وقد يكونان مُتساويين وهو نوعٌ خَفِيٌّ الا على الحاذق كقول ابن المعتز (٢):

كلامـــهُ أخدعُ مـــن لـــحـــظــهِ ووَعْدُهُ اكذبُ من طيفه (٣)

فبينا هو يَصِفُ خَدْعَ كلامِه فرَّع خدعَ لحظِه . ويصف كِذْبَ وَعْدِهِ فرَّع كذب طيفه . وقال يصفُ ساقي كأس (٣):

وكأن حُمرةَ لونها من خَـــدِّه وكأنَّ طيبَ نسيمها من نشرهِ
حتّى اذا صُبَّ المزاجُ تبسَّمتْ عن ثغرها فحسبتُه عن ثَغْرِهِ ( )
مازال ينجزني مواعِدَ عينه فَمُهُ فأحسبُ ريقَهُ من خمره

الاوّلان تفريعٌ جيّدٌ والآخِرُ ليس بجيّد ، لنزول الخمر عن رتبة الريق عند العاشق . ومثلُه قولُ البحتري (٤):

واذا تألّق في النَدِيّ كلامُهُ الـ مصقولُ خلتَ لسانَهُ من عَضْبِه

---

(١) العمدة ٢ / ٤٢ . تحرير التحبير ٣٧٢ .
(٢) ابن المعتز / الديوان ١ / ٣٠٢
(٣) في النسخة (ت) .. اخدع من لفظِه .
(٤) البحتري . الديوان ٢ / ٢٣٥

لانّ حقّ اللسان في باب المدح أن يكون امضى من العَضْبِ .
وقال الكميتُ(١) :

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم يُشْفَى بها الكَلَبُ

فوصفَ شيْئاً ثم فرَّع منه آخر بتشبيهه شفآء هذه .
وقال محمد بن وهيب(٢) :

طللان طال عليهما الأمَدُ دَثرا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ
لبسا البلى فكأنّما وجدا بعد الأحِبَّةِ بَعْضَ ماأجِدُ

ومن جيّده قول الصنوبري(٣) في وصف كاتب :

ماأخْطَأتْ نُوناتُهُ من صُدْغِه شيئاً ولا ألِفاتُهُ من قَدِّهِ
فكأنّما أنفاسُه من شعره وكأنّما قرطاسُهُ من جِلْدِهِ

ووصفَ بعضُ البلغاء كاتبةً فقال : « كأنّما خَطُّها أشكال صُورَتِها . وكأنّما بيانُها سحرُ مقلتها . وكأنّ سكينها غُنج لَحْظِها . وكأنّ مدادَها سواد شَعْرِها . وكأنّ قِرطاستها أديم وجهها . وكانّ قلمها بعض أنامِلها . وكأنّ مِقَطُّها قلبُ عاشقها » .
ومن جيّد هجو ابن الرومي قولُهُ(٤) : ( )

له سائسٌ ماهرٌ يجولُ على مَتْنِهِ
ويطعنُ في دُبرِهِ افانِينَ من طعْنِهِ
باطولَ من روقِهِ واغلظ منْ ذهنِهِ

ومن لطيفِه قول أبي الطيب يصف ليلًا(٥) :

(١) ديوانه ١ / ٨١ .
(٢) العمدة ١ / ٤٤ .
(٣) ديوانه ٤٧٤ .
(٤) العمدة ١ / ٤٤ .
(٥) المتنبي . الديوان ١ / ١٤٠

أقلّبُ فيه أجفاني كأنّي أعدُّ به على الدهر الذُنوبا

فبينا يصفُ سَهَرَهُ وادارةَ الحاظِه ، شَبَّهها بكثرةِ ذنوب الدهر عندَهُ .

بابُ الالتفات(١)

وسَمّاهُ قومٌ الاعتراضَ وآخرون الاستدراك . وهما نوعان منه ، وهو :

ان يأخذ الشاعرُ في معنىً فيعرضُ له غيرهُ فَيَعْدِلَ اليه قبل تمامِه ثُمَّ يعود الى الاوّل فيتممُه من غير ان يُخلّ في الثاني بشيء . ومنزلتهُ في وَسَطِ البيت كمنزلة الاستطراد في آخره وان كان ضدّه في التحصيل لانك تأتي بالالتفات(٢) عفواً وانتهازاً ولم يكن لك في خَلَدِ فتقطع له كلامك ثم تصلهُ بعد ، والاستطرادُ تَقصِدُه في نفسك وتحيدُ عنهُ في لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره وتلقيه وتعودَ الى ماكُنتَ فيه ، كقول جرير يرثي امرأته ام حرزة :(٣)

نِعْمَ القرينُ وكنتِ عِلْقَ مَضَنَّةٍ وأرى بِنَعْفِ بُلَيَّةِ الاحجار

قوله « وكنت علق مضنّة » التفاتٌ .

وقولِ عوفِ بن مُحلّم(٤) لعبدالله بن طاهر :

انَّ الثمانينَ وبُلِّغْتَها قد احوجتْ سمعي الى تُرجمانِ

وقد عَدَّ جماعةٌ قوله « وبلغتها » تتميماً ، والالتفاتُ أشكل بهِ وأدلّ بمعناه .

وقول العباس بن الاحنف وقد احسن ماشاء :(٥)

قد كنتُ ابكي وانت راضيةٌ حذار هذا الصدودِ والغَضَبِ
ان تمَّ ذا الهجر ياظلومُ ولا تمَّ فما لي في العيش من أرَبِ

(١) العمدة ٢ / ٤٥ . التبيان في علم البيان ٧٣ .

(٢) في نسخة (ت) في الألتفات .

(٣) جرير . الديوان / ١٥٤

(٤) العمدة ٢ / ٤٥ . الأقصى القريب ٥٩ . منهاج البلغاء ٣١٥ . المنزع البديع ٤٥٢ .

(٥) العباس بن الاحنف . الديوان / ٣٣ وفيه ، ان دام .... ولا دام ...

وقد يجيء في آخر البيت كقول جرير :(١)

متى كان الخيامُ بذي طُلوحٍ سُقيتِ الغيثَ أيتُها الخيامُ

وحكى عن اسحاق الموصلي انه قال . قال لي الاصمعي : اتعرف التفات جرير ؟ قلت : وما هو ؟ فانشدني :(٢)

أتنسى اذْ تُوَدِّعُنا سُلَيمى بفَرعِ بَشامةٍ سُقيَ البَشامُ

ثم قال : أما تراهُ مقبلاً على شعره اذ التفت الى البشام فدعا له . ولا يَعُدّ ابن المعتز التفاتاً الاّ ماكان من هذا النوع وقال : هو انصرافُ المتكلِّم عن الاخبار الى المُخاطَبة وعن المُخاطبة الى الاخبار وتلا

«(حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبّة)»(٣)

ومن انواعه « الاعتراض » كقول كثير:(٤)

لو انّ الباخلينَ وأنتِ منهم رأوكِ تعلموا منك المطالا

وقولهُ « وانت منهم » اعتراضُ كلامٍ في كلامٍ .

وقول الذبياني(٥):

ألا زعمَتْ بنو عَبْسٍ بأنّي ألا كذبوا كبيرُ السنّ بالي

---

(١) جرير . الديوان / ٤١٦

(٢) جرير . الديوان / ٤١٧

(٣) سورة يونس الآية (٢٢) وفي النسخة (أ) وجرين بهم ... ح طيبة .
وفي النسخة (ت) وجرين بهم بريحة طيبة .

(٤) كثيّر . الديوان / ٥٠٧

(٥) أخلّ به ديوانه . وهو له في العمدة ٢ / ٤٥ وروايته : فاني .

(   ) قوله « الا كذبوا » اعتراض

ومن أحسن الاعتراض قولُ نُصيب (١):

فكدتُ ولم اخلَق من الطـيران بدا ـــنا بارقٍ نحو الحجاز أطـيرُ

قوله « ولم أخلق من الطير » اعتراضٌ عجيبٌ . ولما سمعت معشوقتَهُ هذا البيت تنفَست نَفَساً شديداً فصاحَ ابنُ ابي عتيقٍ : أوَّه والله أجبتِه بأحسَنَ من شعره ، ولو سَمِعَك لنَعَقَ وطار .

فجعله غُراباً لسواده .

ومن انواعه « الاستدراك » كقول زهير(٢):

حيِّ الديار التي لم يعفُها القِدَمُ بلى وغيرَّها الارواحُ والدِّيَمُ

ومثلُه قول جريرٍ(٣)

غداً باجتماع الحيِّ نقضي لُبانةً وأقـسِـمُ لاتَـقْـضـي لـبانَـتُـنا غدا

ومن نوعهما قولُ بشّار (٤):

نُـبئْـتُ فاضَـح امـِّهِ يـغـتابـنـي عندَ الأميرِ وهل عليَّ أميرُ

قولهُ « وهل عليَّ أميرُ » استدراكٌ .

بابُ الاستثناء (٥)

وهو توكيدُ مَدْحٍ بما يُشْبِهُ الذمَّ كقول الذبياني (٦):

(١) نصيب . الديوان / ٩١

(٢) زهير . الديوان / ١٤٥

(٣) جرير . الديوان / ١٤٣

(٤) بشار . الديوان / ٣ / ٢٩٦ وفيه آكل خُرئه .

٥ العمدة ٢ / ٤٨ .

٦ النابغة الذبياني . الديوان / ٦٠

ولا عيبَ فيهم غير انّ سيوفهم بهنّ فُلولٌ من قراع الكتائبِ

جعل فلولَ السيوفِ عيباً وذلك آكد للمدح .

وقول الجعدي (١) :

فتىً كَمُلَتْ اخلاقُه غير أنّه جوادٌ فما يُبقي من المال باقيا

فاستثنى جُودَه بالذي يستأصلُ مالَهُ بعد أن وصَفَهُ بالكمال . وبهذا الاستثناء زاد كمالاً وتأكّد حُسنُهُ .

ومن مليحة قولُ أبي هفّان (٢) وقد جَوَّدَهُ :

ولا عيبَ فينا غير أنّ سماحَنا أضرَّ بِنا والبأس من كلّ جانبِ
فأفْنى الرّدى أرواحَنا غير ظالمٍ وأفْنى النّدى اموالنا غير عائبِ

فقولهُ ان عيوبَهم اضرارُ السّماح والباس بهم ليس بعيبٍ على الحقيقة بل توكيد مدحٍ . وقولُه « غير ظالم » و « غير عائب » أحسَنُ من الاوّل وألطفُ مَوْقِعاً

وقول حاتم (٣) :

وما تتشكّى جارتي غير انّني اذا غابَ عنها زوجُها لاأزورهـــا
سيبلغها خيري ويرجعُ أهلُها اليه ولم يُقْصَرْ عليها ستورها

وقال ابن الرومي (٤) :

لـيـسَ لـهُ عـيـبٌ سوى انّـه لاتَـفـتَـحُ الـعـيـنُ على مـثـلـهِ

جعل انفرادهُ في الدنيا بالحُسْنِ دون أن يكون لهُ قرينٌ يؤنسُهُ عيباً وهذا يُولِدُ حُسْنَهُ .

(١) النابغة الجعدي . الديوان / ١٧٣

(٢) العمدة ٢ / ٤٨ . تحرير التحبير ١٣٣ . معاهد التنصيص ٣ / ١٠٩ . وفي النسختين : سماحنا غير ظالم .

(٣) حاتم . الديوان ٢٤٧ وفيه بعلها مكان (زوجها) و (أهلها) . واليها مكان اليه .

(٤) العمدة ٢ / ٤٩ . وفيه : على شبهه .

باب التتميم(١)

وهو أن تأخذ في معنىً فتتوهم ان السامع لا يتصوره فتعمد اليه فلا تدع شيأ تتمم به حسنه حتى توردهُ أمّا مُبالغةً واماً احتياطاً واحتراساً من التقصير كقول طرفة(٢) : (   )

فسقى ديارَكَ غيرَ مُفسِدِها　　　صوبُ الربيعِ وديمةٌ تهمي

قولُه « غير مفسدها » تتميم واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر .
ومثلُه قول جرير(٣) :

فسقاكِ حيثُ حللتِ غير فقيدةٍ　　　هزجُ الرّواحِ وديمةٌ لاتُقلعُ

قوله « غير فقيدة » تتميم لما أرادَ من دُنُوّها وسقياها غير راحلةٍ ولا مَيّتةٍ اذْ كانت العادة جارية بالدُعاءِ للغائب والمَيّتِ بالسُقيا فاحترس من ذلك . وعاب قُدامةُ قول غيلان(٤) :

ألا ياأسلمي يادارَ ميّ على البِلى　　　ولا زال مُنْهلاً بجرعائِكِ القَطْرُ

وزعم انه لم يحترس كما احترس طرفةُ . سهوٌ منه لأنّ الشاعر قدّم الدُعاءَ لها .
وقولُ زهير(٥) :

من يلق يوماً على عِلاّتِه هَرِماً　　　يَلْقَ السماحةَ منه والنّدى خُلُقا

---

(١) العمدة ٢ / ٥٠
(٢) ديوانه ٩٧ وفيه : بلادك .
(٣) جرير . الديوان / ٢٦٨
(٤) ذو الرمة . الديوان / ٥٥٩ .
(٥) زهير . الديوان / ٥٣

فقوله « على علاّته » مُبالغةٌ وتتميم عجيبٌ .

وقال الله عزّ وجلّ «(ويُطعمون الطعامَ على حُبّه مسكيناً ويتيماً وأسيرا)»(١) فقوله « على حُبّه » تتميمٌ(٢) ومبالغةٌ في قول من قال : ان الهاء ضمير الطعام . وان كانت كنايةً عن اسم الله تعالى فليس من الباب .

وقال الله تعالى «(وَمن عمل صالحاً من ذكر وانثى وهو مؤمنٌ)»(٣) فتتميم بقوله وهو مؤمن .

بابُ نفي الشيء بإيجابهِ(٤)

وهو من المبالغة وليس بها محضاً ويُعدّ من محاسنِ الكلام واذا تأمّلْتَهُ وجدتَ باطنَهُ نفياً (   ) وظاهره ايجاباً كقول امرىء القيس(٥) :

على لاحِبٍ لايُهتدى بمناره ... اذا سافَهُ العَوْدُ النَّباطيّ جَرْجَرا

أراد انه لامنارَ له فيُهتدى بذلك المنار .

وقول زهير(٦) :

بأرضٍ خلاءٍ لايُسَدُّ وَصِيدُها ... عليَّ ومعروفي بها غيرُ مُنكر

فاثبت لها وَصِيداً في اللفظ ومُرادُه انّها لاوَصِيدَ لها فيسدّ عليّ . لأنَّ البَرّية ليس لها بابٌ . وقد جاء في تفسير قوله تعالى «(لايسألون الناسَ الحافاً)»(٧) أي لايسئلون البتّة وهذا يشهد لما تقدّم .

---

(١) سورة الانسان . الآية (٨)
(٢) سقطتْ عبارة « على حُبّه تتميم من النسخة (ت)
(٣) سورة غافر الآية (٤٠) وجاءت الآية في النسختين بلا (واو)
(٤) العمدة ٢ / ٨٠ .
(٥) الديوان / ٦٦
(٦) أخلّ به ديوانه . وهو له في العمدة ٢ / ٨١ .
(٧) البقرة (٢٧٣)

بابُ السلبِ والايجاب(١)

وهو أن يوقع الكلام على نفي شيء وايجابه في بيتٍ كقول السموأل(٢):

ونُنكرُ انْ شِئنا على الناس قولَهُمْ ولا ينكرونَ القـولَ حـينَ نقولُ

فاثبت الانكار لهم ونفاهُ عن الناس.

وقولُ الشمّاخ(٣):

هَضيمُ الحشا لا يملأ الكفَّ خَصْرُها ويَملأ منها كُلُّ حِجْلٍ وَدِمْلَج

فقال: لا يملأ ويملأ فنفي عن شيءٍواثبت لشيء، وصف خصرها بالدِقَّةِ وأطرافها بالامتلاء.

بابُ العكس والتبديل(٤)

وهو أن تأتي أَحَدُ الجملتين عكسَ الأخرى كقول بعضهم(٥): (   )

واذا الدُرُّ زانَ حُسنَ وجوهٍ كان للدُرّ حُسْنُ وجهك زَيْنا

وقول آخر(٦)

مُنَعّمة الاطرافِ زانت عقودَها باحسن ممّا زَيّنتها عقودُها

وقول بعض المجّان(٧):

---

(١) العمدة ٢ / ٨٠

(٢) ديوانه ١٧.

(٣) الديوان ٧٥.

(٤) البديع في نقد الشعر ٤٦، التبيان في علم البيان ١٨١، تحرير التحبير ٣٦٨.

(٥) بلا عزو في تحرير التحبير ٣١٩.

٦ الحسين بن مطير، ديوانه ١٥٨ (عطوان)

٧ بلا عزو في البديع في نقد الشعر ٤٧ وتحرير التحبير ٣١٩.

ها قد غدا من ثيابِ الشعرِ في كَفَنٍ   وقد تَعَفَّت مَعاني وَجْهِهِ الحَسَنِ
وكان يُعرض عنّي حين أبصُره   فصِرْتُ اعرضُ عنهُ حينَ يُبْصِرني

رَمى الحَدَثانُ نِسْوةَ آلِ حَرْبٍ   بِمقدارٍ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودا
فَرَدَّ شُعورَهُنَّ السود بيضاً   وردُّ وُجوهَهُنَّ البيض سُودا

وقول آخر :

قَنِعْتُ بطيفٍ من خَيال بَعَثْنَهُ   وكنتُ بوَصْلٍ منهمُ غير قانع

بابُ المُبالغةِ(١)

والناسُ فيها مختلفونَ فبعضُهم يؤثرها ويُفَضِّلُها وبعضُهم يراها عِيّاً من الشاعر اذا أعياهُ ايرادُ معنىً حسن ، فكأنّه يستريحُ بها ويشغل الاسماعَ بما هو مُحالٌ ويُهَوِّلُ على السامعين ورُبّما أحالت المعنى وألبَسَتْهُ على السامع . وينبغي ان يكون من أهمّ اغراض المتكلم الابانَةُ والافصاحُ وتقريبُ المعنى عليه بالمجاز أو أحد انواعِه كالاستعارة والتشبيه والتجاهل ونحو ذلك لدلالته على البيان (   ) زهيرٌ حيث يقول(٢) :

وما أدري وسَوفَ أخالُ أدري   أقومٌ آلُ حِصنٍ أم نِساءٌ

ولوْ حَطَّ درجتهم عن النساءِ واخرج لفظَهُ مخرجَ الخبر لما ظُنَّ به الصدق فاحتال في تقريب المشابهة بالتجاهل لانَّ في قُربها لطافةً تقعُ في القلوب وتدعو الى الصدق وانما يقصد المبالغة من ليس بمتمكِّنٍ من محاسن الكلام اذ تمكنه ولا تَتَعذَّرُ عليه

---

(١) شعره / ١٤٣ . وقد نسب أيضاً الى الكميت بن معروف (ينظر ، شعره / ١٧١ في مجلة المورد ، المجلد الرابع ـ العدد الرابع ١٩٧٥) . والى أيمن بن خريم (ينظر ، شعره / ١٢٦ في حوليات الجامعة التونسية العدد التاسع ١٩٧٢) .

(٢) العمدة ٢ / ٥٣ .

(٣) زهير . الديوان / ٧٣ .

وتنجذب كلما أرادها اليه هذا في ماكان فيه بُعْدٌ . وليس كلّ مبالغةٍ كذلك . ألا ترى ان التتميم اذا طلبت حقيقتَه كان ضرباً منها وان ظهر انّه من انواع الحشو المُستحسَن . ولو عيبت على الاطلاق لعيبَ التشبيهُ والاستعارةُ وغيرهما من محاسن الكلام .

وهي انواع فمن أحسنها واعرقها « التقصّي » وهو بلوغُ الشاعر اقصى ما يكون من وصفِ الشيء . كقول عمرو بن الأيهم التغلبيّ(١) :

ونُـــكرِمُ جارَنا مادامَ فـــيـــنا وَنُـتْـبِـعُـهُ الـكرامةَ حـيـثُ كانا

فتقصّى مايمكنُ ان يقدرَ عليه ووصفَ به قومَهُ .

ومنها « ترادُفُ الصِّفات » وفي ذلك تهويلٌ(١) مع صحّةِ لفظٍ لايُحيل معنىً كقوله عزّ وجلّ(٢) «(أو كظُلُماتٍ في بحرٍ لجّيٍ يغشاهُ موجٌ من فوقهِ موجٌ من فوقِهِ سَحابٌ ظُلماتٌ بعضُها فوق بعضٍ)» .

ومن ابياتها قولُ امرىء القيس(٣) :

كأنَّ المُدامَ وَصوبَ الـــغـــمام وريحَ الخُزامى وَنَشْرَ القُطُرْ
يُـــعَـــلُّ بـــه بردُ انـــيـابـــها اذا طرَّبَ الـطائرُ المُـسْـتَـحِرْ

فوصف فاها بهذه الصِفةِ وخصَّها بوقت السَّحرِ لأنه مَظنّةُ تَغَيُّرِ الافواهِ فما ظنك به في أوّلِ الليل .

---

(١) العمدة ٢ / ٥٥ .

(١) في نسخة (ت) تحويل
(٢) النور . الآية (٤٠)
(٣) ديوانه ١٥٧ ــ ١٥٨ .
(٤) العمدة ٢ / ٥٧

بابُ الايغال (٤)

وهو ضَرْبٌ من المُبالغةِ . والحاتميُ وأصحابُه يسمونه التبليغ . وهو تَفْعيلٌ من بلوغ الغاية . وهذا يَدُلّ على انه ضربٌ من المُبالغةِ وليس بينه وبين التتميم كبير(١) فَرْق . الآ انّ هذا في القافية وذاك(٢) في حشو البيت . واشتقاقُه من أوغَلَ في الارض اذا أبعدَ فيها . وكُلُّ داخلٍ في شيء دُخولَ مُسْتَعْجلٍ فقد أوغل فيه . فعلى القول الأوّل كأنَّ الشاعر أبْعَدَ في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب . وعلى الثاني كأنّه اسرع الدخولَ(٣) في المبالغة بمُبادرته هذه القافية . وفي الإتيان به دليلٌ على حذق الشاعر لأن كلامَهُ ينقضي قبلَ القافية . فاذا احتاج اليها أفاد بها معنىً كقول امرىء القيس(٤) :

اذا ماجرى شَأْوَيْن وابتلّ عِطْفُهُ تقولُ هَزِيزَ الريح مَرَّتْ بأثْأبِ

فبالغ بانْ جَعَلَهُ على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين ويبتلّ عِطفُهُ بالعَرق ثم زاد ايغالاً في المبالغة بذكر الاثاب وهو شجرٌ للريح في أضعاف اعضائه(٥) حفيفٌ عظيم . وهذا المعنى ممّا اخترع . وكقوله(٦) :

كأنّ عُيونَ الوحشِ حولَ بيوتنا وأرْحُلِنا الجَزْعُ الذي لم يُثَقّب

قولُه « لم يثقب » ايغال في التشبيه افادَ معنىً لانه اذا لم يُثَقّب كان أبلغ في صفاته واتّبعَهُ زهيرٌ فقال(٧) :

كأنّ فُتات العِهْن في كُلّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ به حَبُّ الفنا لم يُحَطّمِ

---

(١) في النسخة (ت) كثير .
(٢) في النسخة (ت) وذلك
(٣) في النسخة (ت) في الدخول .
(٤) الديوان / ٤٩ .
(٥) في النسخة (ت) اغصانه
(٦) الديوان / ٥٣ .
(٧) زهير . الديوان / ١٢

فأوغَلَ في تشبيه ماتناثَرَ من فتات الارجُوان بحبّ الفنا الذي لم يُحَطَّم لانّ ظاهِرَهُ احمر وباطنَه ُ ابيضُ . فاذا لم يُحَطَّم كان خالصَ الحمرة وهو عِنَبُ الثَّعلب . واتبعَهُ الأعشى(١) :

غرّاءُ فرعاءُ مصقولٌ عوارِضُها تمشي الهُوينا كما يمشي الوَجِي الوَجِلُ

فأوغل بقوله الوَجِلُ بعد أن قال الوجي .
وكان الرشيدُ معجباً بقول صريع(٢) :

اذا ماعلَتْ منّا ذؤابةَ شاربٍ تمشَّتْ به مَشْيَ المُقيَّدِ في الوَحْلِ

وكان يقول : قاتله اللّٰه ماكفاهُ انه مُقَيَّدٌ حتى جعله في وَحْلٍ . وهذا معنى الاعشى بعينِه نقلَهُ عن صفَةِ المرأة الى صفة السكران .

ومن جيّد قول جرير(٣) :

بات الفرزدقُ عائذاً وكأنّها قَفو ، تعاورَهُ السقاةُ مُعارُ
فاوغل لأنه اذا كان مُعاراً كَثُر استعمالُه وقلّ التحفظ به .

بابُ الغُلُوّ(٤)

ويسمى الاغراقَ والافراط واشتقاقُهُ من غَلْوَةِ السهم وهي مدار رَمْيَتِهِ يقالُ غاليتُ فلاناً ( ) مُغالاةُ وغلاء اذا اختبرتُما أيُّكما أبعدَ غلوة سهم والاغراقُ أصله في الرمي ايضاً وهو أن يُجذبَ السهمُ في الوتر عندَ النزع حتى يستغرقَ جميعُه وذلك لبُعد الغرض الذي يُرمى وبعضهم يرى ان فضيلة الشاعر معرفتُه وُجُوهَ الاغراق وليس بشيءٍ بمحالفته الحقيقة وخروجه عن المُتعارَفِ وخيرُ الكلام الحقائقُ فان لم يكن فما قاربَها وأنشد المُبَرِّدُ(٥) :

(١) في النسخة (ت) كمشى وهو وهم . والبيت في ديوانه ٤٢ (جاير) .
(٢) ديوانه ٤٢ .
(٣) ديوانه ٨٦٩
(٤) العمدة ٢ / ٦٠ . تحرير التحبير ٣٢٣ .
(٥) للأعشى . ديوانه ٢٤٠ (جاير) .

فلو انّ ماابقيت منّي مُعَلّق بـــــعُود ثُـــــمامٍ ماتأوّد عُودُها

فقال هذا متجاوز وأحسن الشعر ماقارب فيه القائلُ اذا شبَّه وأحسن منه الحقيقة . وهو عند قُدامةَ تجاوزُ ماللشيء ان يكون عليه وليس خارجاً عن طباعه كقول النمر بن تولب في صفة سيفٍ شبَّهُ به نفسَهُ(١):

أبقى الحوادثُ والأيامُ من خَمِرٍ اسبادَ سيفٍ قديمٍ اثرهُ بادي
تظلّ تحفر عنه ان ضربتَ به بعد الذراعين والساقين والهادي

اذْ ليسَ خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الشيءَ العظيمَ ويغوص بعد ذلك في الارض . ومخارج الغُلوّ عنده على يكاد(٢) وعلى هذا تأوّل جمهورٌ من المفسرين قوله عزّ وجلّ « (وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ) »(٣) أي كادت . والناس فيه مختلفون فمن مُسْتَحْسِنٍ . (   ) قابلٍ ومَسْتَقْبِحٍ رادٍّ ولهُ رُسومٌ من ؤقفَ عندها سَلِمَ ومن تجاوزها اتّسعَتْ له الغايةُ وأدّتْهُ الحالُ الى الاحالةِ وهي نتيجةُ الافراط وشُعْبَةٌ من الاغراق .

ومن أبياته قولُ مهلهلٍ(٤):

فلولا الريحُ اسمعَ من بَحْجرٍ صليلَ البَيْضِ تُقْرع بالذُكورِ

قليلٍ أنه اكذبُ بيتٍ قالتْهُ العربُ ، لأنَّ بين حجرٍ ومكان الوقعة مسافة عشرة أيامٍ وهذا غُلوٌّ مُفْرِطٌ ، وهو أشدّ غُلُوّاً من قول الكنديّ (٥):

تنورتُها من أذرعـاتٍ وأهلُها بيثربَ أدنى دارها نَظَرٌ عالِ
لأنَّ حاسّة البصر أقوى من حاسّة السمع .

---

(١) النمر بن ترلب . شعره / ٥٣ .
(٢) في النسخة (ت) على تأكد .
(٣) الأحزاب ١٠ .
(٤) في النسخة (ت) .. تسمع من بحجر . والبيت في العمدة ٢ / ٦٢ ونهاية الأرب ٧ / ١٤٩ ....
(٥) امرؤ القيس . الديوان ٣١ .

وقول جرير (١)،

ولو وُضِعَتْ فقاحُ بني نُميرٍ   على خبَثِ الحديدِ اذن لذابا

والمتنبي اكثر الناس غُلواً وأبعدهم فيه(٢) همّة حتى لو قَدرَ ماأَخْلَى منهُ بيتاً. الا ترى الى قوله(٣) ؛

كأنى دحوتُ الارضَ من خبرتي بها   كأني بنى الاسكندرُ السدُ من عَزْمي

فشبّه نفسَهُ بالخالقِ تعالى عمّا يقولُ الظالمون عُلواً كبيراً ثم انحطَّ الى الاسكندر. وكذلك قوله(٤)،

تَصُدُّ الرياحُ الهوجُ عنها مخافةً   وتفزَعُ فيها الطيرُ أن تَلْقُطَ الحَبّا

فكم بين خَوْفِ الرياح الهُوج وصُدودِها وبين فَزَع الطائر أن تلقُطَ الحبُ لاسيُما (   ) وافزع الطير بهائمةَ التي تلقط الحبُ(٥) لضَعفها وعَدِمها السلاحَ واقلُّ خيال امتثالٍ(٦) يحمي مزدرعاً منها، فبينما هو في الثريا صار في الثرى. ومِثْلُهُ في انحطاطه قول الخبز رزي(٧)،

ذبتُ من الشوقِ فلو زُجَّ بي   في مقلة الوسنان لم ينتبِهْ
وكان لي فيما مضى خاتمٌ   فالآن لو شئتُ تمنطقتُ بِهْ

ومن معيبه قول أبي نواسٍ(٨)،

وأخفتَ أهلَ الشركِ حتى أنه   لتخافُكَ النُطَفُ التي لم تُخْلَقِ

---

(١) الديوان / ٨٢٠

(٢) في النسختين، فهم. وما أثبتناه من العمدة ٢ / ٦٣.

(٣) ديوانه ٤ / ٥٢.

(٤) ديوانه ١ / ٦٧

(٥) من بداية العبارة لاسيما تلقط الحبُ .. ساقط من نسخة (ت)

(٦) في النسخة (ت) او تمثال ..

(٧) العمدة ٢ / ٦٤.

(٨) ديوانه ٤٧٩.

اذ جعل مالم يُخلق يَخافُ . فان نزعَ التطبيعُ الشاعرَ ولم يجد منه بدأ فليقّلْ منهُ جداً ولا يَجْعَلهُ دأبَهُ كالمتنبي .

وأحسن الغُلوّ مانُطِقَ فيه بكاد أو كأنّ أو لوْ أو لولا ونحوها مالم يناسب قول أبي الطيب ليسلم منْ قُبح الغُلوّ ويُدرك المراد . ألا ترى ماأحسن قول زهير(١) :

لو كانَ يقعُدُ فوقَ الشمس من كرمٍ ... قومٌ بأحسابهم أو مَجْدهم قَعَدُوا

وقول أبي صخر(٢) :

تكادُ يدي تندي اذا مالمسْتُها ... وينبُتُ في أطرافِها الورقُ الخُضْرُ

وقول آخر (٣) :

لها قِسْمَةٌ من خُوط بانٍ ومن نقا ... ومن رشأ الاقوارِ جيدٌ ومذْرَفُ

يكادُ كَليلُ الطَّرْفِ يجرحُ خدُها ... اذا مابَدَتْ من خدْرها حينَ يَطْرفُ

وفي الكتاب العزيز « (اذا أخرجَ يدَهُ لم يكد يراها ويكاد البرقُ يخطف ابصارهم) » . (٤) ( ) ومن أحسنِه قولُ امرىء القيس (٥) :

جـمـعـتُ رُدَيْـنـيّاً كأنَّ سِـنانَـهُ ... سنا لَهَبٍ لم يتّصل بدُخانِ

بابُ الحشو(٦)

ويُسمّى الاتّكاد وهو نوعان حَسَنٌ وقبيحٌ . فالحسَنُ مايؤتى به زيادةً في حُسنِ البيت وتقويةً لمعناهُ . كالذي تقدُم من التتميم والإلتفات والاستثناء . فمنْ ذلك قول الفرزدق(٧) :

---

(١) ديوانه ٢٨٢ .

(٢) في النسخة (ت) وينبت في اوراقها ... والبيت في شرح أشعار الهذليين ٩٥٧ .

(٣) في النسخة (ت) لها قامة ...

(٤) النور الآية (٤٠)

(٥) ديوانه ١٧٨ .

(٦) العمدة ٢ / ٦٩ .

٧ ديوانه ٦٦٧ وفيه : ستأتيك .

سيأتيك منّي انْ بقيتُ قصائدٌ يُقَصّرُ عن تحبيرها كلُ قائلِ(١)

فقوله(٢) « ان بقيت) حَشْوٌ في ظاهر لفظِه وقد أفاد معنىً زائداً وهو شبيهٌ بالالتفات من جهةٍ وبالاحتراسِ من أخرى .

وقول ابن المعتز(٣) :

صببنا عليها ظالمينَ سياطَنا فطارتْ بها ايدٍ سراعٌ وأرْجُلُ

فقولهُ « ظالمين » حَشْوٌ أقامَ به الوزنَ وبالغَ في المعنى في أشدّ مُبالغةٍ حتى عُلِمَ انَّ اتيانَهُ بهذه اللفظة التي هي حشوٌ في ظاهر الأمْرِ أفْضَلُ من تركها وهذا شبيهٌ بالتتميم فما كان هكذا فهو حَسنٌ وليس بحشوٍ الاّ على المجاز أو بَعْدَ أن يَنْعَتَ ( ) بالجودة والحسن . والقبيحُ أن يكون في داخل البيت لفظةٌ لاتفيد مَعْنىً وانّما جيءَ بها لإقامةِ الوزنِ . ولا يُطْلَقُ اسمُ الحشوِ إلاّ على ماهذه سبيلُهُ كقول أبي صفوان(٤) يصفُ بازياً :

ترى الطيرَ والوحش من خَوْفِهِ جَواحِر مـــنـــه اذا ماغــتدى

قوله « منهُ » بعد قوله « من خوفه » حَشْوٌ لأنَّ في القسيم (الاول مايدلّ عليه) (٥) ولا معنى لَهُ .

وكذلك قولُ أبي تمامٍ(٦) يَصِفُ قصيدةً :

خُذْها ابنةَ الفِكْرِ المُهَذّبِ في الدّجى والـلـيـلُ اسودُ رُقْـعَةِ الـجـلـبابِ

قولهُ « في الدجي » حَشْوٌ لانّ في القسيم الثاني مايَدُلُّ عليه مع زيادة استعارتين مليحتين ، وانْ لم يُجْعَلْ حَشْواً كان القَسِيمُ الثاني فَضْلَةً .

---

(١) في النسخة (ت) .. عن تجهزها

(٢) في النسخة (ت) سقطت لفظة منقولة..

(٣) العمدة ٢ / ٦٩ .

(٤) أمالي القالي ٢ / ٢٣٨ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من ت .

(٦) ديوانه ١ / ٩٠ .

ويُكْرَهُ استعمالُ ذا وذي وهو والذّي ونحوها . وكان ابو الطيّب(١) مُولعاً بها حتى حَمَلَهُ ذلك على استعمال الشاذّ في قولِه :

لو لم تكُن من ذا الورى اللذ منك هو عـقـمـت بـمولد نـسـلـها حَوّاءُ

ومما يكثرُ به حَشْوُ الكلام : أضحى وأمسى وظلّ وبات وغدا ويوماً ونحوها وكذلك حقاً . الآ ان يَقَعَ مَوْقِعَها في قولِ الاخطلِ(٢):

فأقسم المجدُ حقاً (لا) يُحالفُكُم حتّى يُحالف بطنَ الراحةِ الشَعَرُ

وقد احسن عبد الله بن طاهر(٣) في قوله لابن المعتزّ : (   )

وَلو قُبلَتْ في حادثِ الدهرِ فِدْيَةٌ لقُلنا على التحقيقِ نحنُ فِداؤُهُ

فقولُه « على التحقيق » حشوٌ مليحٌ فيه زيادةُ فائدةٍ .

ومن انواعِه نوعٌ سمّاهُ قُدامةُ(٤) التَّفْصيلَ . بالفاء وزعمَ قومٌ انه بالعَيْنِ كانّهم يجعلونَهُ إعوجاجاً من قولهم: نابٌ أعْضَلُ(٥) أي مُعوَجٌ وجعلهُ بعينٍ مُهْمَلةٍ وضادٍ مُعْجَمةٍ وكأنّه عندهُم من تَفْضيل(٦) الوَلَدِ اذا اعترضَ في الرَّحم . وظاهرُ البيتِ الذي أنشدَهُ قُدامة يَدُلُّ على انّه بالفاءِ وهو قولُ دُريد بنُ الصِمَّةِ(٧):

وَبَلّغ نُميراً ان عرضت ابن عامرٍ وأيُّ فتىً في النائباتِ وطالبِ

وأقبح منه قول ابي الطيب(٨):

---

(١) ديوانه ١ / ٣١ .

(٢) ديوانه ١١٢ . و (لا) ساقطة من النسختين . وفي الديوان : لا يحالفهم

(٣) أخل به شعره . وهو لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر في العمدة ٢ / ٧١ .

(٤) نقد الشعر ٢٥١

(٥) ت : أعظل .

(٦) ت : من تعظيل .

(٧) ديوانه ٢٧ .

(٨) ديوانه ١ / ١٥٨ .

حَمَلْتُ اليه من لساني حديقةً سقاها الحجي سَقْيَ الرياض السحائب

لانَ دُريداً فصَلَ بين الموصوفِ والصفةِ(١) . وأبا الطَيب فَصَلَ بين المُضافِ والمضافِ اليه وهُما كالشيء الواحد . ومن نوع بيت دُرَيْدٍ قولُ لابن الخطيم :

قضى لها اللهُ حين صَوَّرَها الخالِقُ أن لاتكِنُها سُدَفُ

بابُ الاستدعاءِ(٢)

وهو أن لا يكون للقافية فائدةٌ الاّ كونُها قافيةً كقول ابي عَديٍ القُرشيّ(٣) :

ووُقِيتَ الحُتوفَ من وارثٍ وا لِ وأبقاكَ صالحاً رَبُّ هودِ

ولا معنى لتخصيص هودٍ عليه السلام الاّ كونُهُ قافيةً .

وقولُ علي بن محمدٍ(٤) صاحبِ البصرة :

وسابغةِ الأذيالِ زَغْفٍ مُفاضَةٍ تكنّفها منّي نجادٌ مُخَطَّطُ

ولا معنى لتخطيط النجاد . وهذا أقلُّ مافي تكلّفِ القوافي من الشَرْدَةِ اذا ركبها غيرُ فارسها وساسَها غيرُ سائسها .

بابُ الاطّراد(٥)

ومن حُسنِ(٦) الصنْعة ان تَطّرِدَ الاسماءُ من غير كُلْفَةٍ ولا حَشْوٍ فارغٍ كقول الاعشى(٧) :

(١) ت : بين الموصوف وصفته .
(٢) العمدة ٢ / ٧٣ .
(٣) نقد الشعر ٢٥٦ .
(٤) نقد الشعر ٢٥٥ .
(٥) العمدة ٢ / ٨٢ .
(٦) ت : ومن أحسن .
(٧) ديوانه ١٢٨ .

أقيسُ بنَ مسعود بن قَيس بن خالدٍ وانت امرؤٌ ترجو شبابك وائلُ

فأتى كالماءِ الجاري اطّراداً وقِلّة كُلْفةٍ(١) وبَيَّنَ النسب حتى أخرجه عن مواضع اللَّبس . وقول دريد :

قتلنا بعبد اللهِ خيرَ لِداتِه ذُؤابَ بنَ اسماءَ بن قيس بن قاربِ

قيل ان عبد الملك بن مروان لمّا سمع هذا قال كالمتعجب منه :

لولا القافية لبلغ به آدمَ . وقد أتى اكثر ممّا تقدم قال : ( )

منْ يكُنْ رام حاجةً بَعُدَتْ عنه وأعْيَتْ عليهِ كُلّ العَياءِ
فلها أحمدُ المرجّى بن يحيى بن مُعاذِ بن مُسلِمٍ بن رَجاءِ(٢)

فجاء كلامهُ نَسقاً واحداً الاّ انه فصَلَ بينه بقوله « المُرَجّى » غير انَّ مجانسه « رجاء » غفرتْ ذَنْبَهُ .

وقد تعسّف المتنبي(٣) في قوله لسيف الدولة :

فانتَ ابو الهيجا بن حمدونَ ياابنَهُ تشابَهَ مولودٌ كريمٌ ووالدُ
وحمدان حمدون وحمدون حارث وحارث لقمان ولقمان راشدُ (٤)

فقصّر لأنه جاء بالمعنى في بيتين ثم جعلهم انيابَ الخلافةِ بقوله :

اولئك انيابُ الخلافة كُلُّها وسائرُ املاكِ البلادِ الزوائدُ

وهم سبعةٌ بالمدوح . والانيابُ في المتعارف اربعةٌ . ألاّ ان تكون الخلافَةُ تمساحاً أو كلبَ بَحرٍ فأنّ لكُلٍ منهما ثمانية انياب . وان كان اراد كُلَّ واحدٍ منهم نابَ الخلافة في زمانِه خاصّة فانّه يَصحُّ .

(١) ت : وكلفة (٢) ديوانه ٢٧ .
(٢) بلا عزو في العمدة ٢ / ٨٣ .
(٣) ديوانه ١ / ٢٧٧ .
(٤) ت : وحمدا حمدون وحمدون .

بابُ التكريرِ(١)

وله مواضعُ يحسُنُ فيها ومواضعُ يقبُحُ واكثرُ وقوعه في الالفاظ دون (   ) المعاني . فاذا تكرَّرَ اللفظُ والمعنى جميعاً فذلك الخِذْلانُ ولا يجبُ للشاعر أن يكرِّرَ اسماً الّا على جهةِ التشوُّق والاستعذابِ ان كانَ في نسيبٍ أو تَغَزُّلٍ كقول امرىءِ القيس(٢):

ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذي الخالِ   ألحَّ عليها كُلُّ أسحَمَ هطَّالِ
وتحسب سلمى لاتزال ترى على   بوادي الخُزامى أو على رأس أو عالِ(٣)
وتحسب سلمى لاتزال ترى طَلاً   من الوحش أو بيضاً بمَيْثاءَ مِحْلالِ

أو على سبيل التنويه والاشادةِ ان كان في مدحٍ كقول أبي الأسد(٤):

ولائمةٍ لامَتْكَ يافَضْلُ في النَّدى   فَقُلْتُ لها لن يَقْدحَ اللومُ في البحرِ
أرادتْ لتثني الفضلَ عن عادة الندى   ومن ذا الذي يثني السحابَ عن القطرِ
كأَنَّ وفودَ الفضلِ حينَ تَحَمَّلوا   الى الفضلِ لاقَوا عندَهُ ليلة القَدْرِ
مواقعُ جودِ الفضلِ في كُلِّ بلدةٍ   مواقعُ ماءِ المُزْنِ في البَلَدِ القَفْرِ

فتكريرُ اسمِ الممدوحِ ها هنا تفخيمٌ له في القُلوب والاسماع واشادَةٌ بِذِكْرِه وتنويةٌ(٥). وكذلك قولُ الخنساءِ(٦): (   )

وانَّ صَـــخْراً لو الـــيـــنا وسَـــيِّدنا   وانَّ صـــخراً اذا نَـــشْـــتُو الـــنَـــحَّارُ
وانَّ صـــخراً لـــتأتـــمُّ الـــهداةُ بِـــهِ   كأنَّـــه عَـــلَـــمٌ في رأسِـــه نارُ.

---

(١) العمدة ٢ / ٧٣ .

(٢) ديوانه ٢٧ ـ ٢٨ .

(٣) ت ، لاتزال ترى بوادي ...

(٤) العمدة ٢ / ٧٤ .

(٥) ت ، وتنويه به .

(٦) ديوانها ٢٦ ـ ٢٧ .

أوْ على سبيلِ التقريرِ والتوبيخ كقول بعضهم(١)،

الى كمْ وكمْ اشياءَ منكم تُريبُني　　　أغمّضُ عنها لستُ عنها بذي عَمَى

ومن هذا النوع قول أبي الطيب(٢)،

عَظُمْتَ فلمّا لم تُكَلّمْ مَهابَةً　　　تواضَعْتَ وَهْوَ العُظْمُ عُظْماً على العُظْمِ

قيل انّ ابن عبّادٍ(٣) لمّا سَمِعَهُ فقال، ماأكثر عظامَ هذا البيت مع انّه من قول الطائي(٤)،

تَعَظّمْتَ عن ذاك التَعَظُّمِ منهمُ　　　وأوصاك نُبْلُ القَدْرِ أنْ تَتَنَبّلا

ومن المُعجزِ في هذا النوعِ قولُه عز وجلّ في سورة الرحمن(٥)« (فبأيِّ آلاءِ ربكما تكذّبان) » كُلمّا عَدّد نعمةً كرّرَ هذا .

أو(٦) على سبيل التعظيم للمحْكيِّ عنهُ كقولِ بَعْضِهم(٧)،

لاأرى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شيءٌ　　　سَبَقَ الموتُ ذا الغِنا والفقيرا

أو على جهة(١) الوعيد والتهديد في العتابِ المُوجع كقول الأعشى(٨) ليزيدَ بن مُسْهِرٍ

أبا ثابتٍ لاتعلقنك رماحُنا　　　أبا ثابتٍ أقْصِرْ وعمرُك سالمُ
وذَرْنا وقوماً ان هُمُ عمدوا لنا　　　أبا ثابتٍ واقعُدْ فإنّك ظالمُ(٩)

---

(١) بلا عزو في العمدة ٢ / ٧٥ .
(٢) ديوانه ٤ / ٥٨ .
(٣) هو الصاحب بن عباد .
(٤) ديوانه ٣ / ١٠٠ وفيه ، ألاّ تَنْبُلا .
(٥) الآيات ١٣ ، ١٦ ...
(٦) (أو) ساقطة من ت .
(٧) هو سوادة بن عدي في كتاب سيبويه ١ / ٣٠ .
(٨) في النسخة (ت) أو على وجه
(٩) ديوانه ٥٨ (جابر) وفيه ، واجلس .. ناعم . وفي ت ، ان هم عهدوا لنا .

أو على وَجْهِ التَفَجُّع ان كان رثاءً كقـول مُتَمّم(١)،

وقالوا اتبكي كُلّ قبرٍ رأيتَهُ ... لقبرٍ ثَوى بين اللّوى فالدّكادك
فقلتُ لهم انّ الأسى يبعث الأسى ... ذَروني فهذا كُلّه قبر مالكِ(٢)

وهذا الباب اولى بالتكرير لمكانِ الفجيعةِ وشِدّةِ القُرحة .
أو على سبيل الاستغاثة في باب المدح كقول ابن العرجاء(٣)،

بني مِسْمَعٍ لولا الالّهُ وانتم ... بني مِسْمَعٍ لم ينكرِ الناسُ مُنْكرا

ويقع في الهجاء على سبيل الشهرة وشِدّة التّوْضيع بالمَهْجُوّ ، كقول غيلان(٤) يهجو المزيني :

نِصابُ امرىء القيس العنيدُ وارضُهم ... مَجَرُّ المساحي لافلاةٌ ولا مِصْرُ
تخلّى الى الفقر امرؤ القيس انّه ... سواءٌ على الضيف امرؤ القيس والفَقْرُ
يُحبُّ امرؤ القيس القِرى أنْ تنالَه ... وتأبى مَقاريها اذا طَلَعَ النّسْرُ
هل الناس الاّ يالمرءَ القيس غادرٌ ... ووافٍ، ولا فيكم وفاءٌ ولا غَدْرُ(٥)

ويقعُ فيه على سبيل الازدراء والتهكم ، كقول حَمّادِ عجرد(٦) لابن نوح وكان يَتَعَرّبُ (٧) ،

فيا ابن نـوح ياأخـا الـ ... جِلْس ويا ابـن القَتَبِ(٧)
ومـن نـشـــا والدهُ ... بـيـن الرُّبـى والكـثُـبِ
يــاعَرَبــي يــاعربــي ... يــاعربــي يــاعربــي !!

---

(١) ت ، ياامرؤ القيس .
(٢) العمدة ٢ / ٧٧ .
(٣) (ياأخا الحلس) ساقط من ت .
(٤) شعره / ١٢٥ .
(٥) ت ، دوني فهذا .
(٦) العمدة ٢ / ٧٧ ونسب فيه الى العديل بن الفرخ .
(٧) أي (ذو الرمة) ، ديوانه ٥٩٣ ـ ٥٩٤ .

ومن تكرير المعاني قول امرىء القيس(١):

فيالكَ من ليلٍ كأنّ نجومَهُ بكُلّ مُغار الفتْلِ شُدّتْ بِيَذْبُلِ
كأنّ الثُريّا عُلّقَتْ في مصامها بأمراس كتّانٍ الى صُمّ جندلِ

معناهما واحدٌ لانّ النجومَ تشتملُ على الثريا كما انّ يذبلَ يشتملُ على صُمّ الجندل، وقوله «شُدّت بكل مغار الفتل» «مثل قوله «بأمراس كتّان».
ويقرُبُ منهُ وليسَ به قولُ كُثيّر(٢):

وانّي وتهيامي بعزّةَ بعدما تخليت عن ما بيننا وتَخلّتِ(٣)
لكالمرتجي ظلّ الغمامة كُلما تَبَوّأ منها للمقيلِ اضْمَحَلّتِ
كأنّي واياها سحابةُ مُمْحلٍ رجاها فلّما جاوزَتْهُ استهلّتِ

لانّ كُثيّراً انصرف فجعلَ رجاء الاول ظِلّ الغمامة ليقيل تَحْتَها من حرارة الشمس فاضمحلّتْ وتركته ضاحياً. وجَعَلَ المُمْحِلَ في البيت الثاني يرجو سحابةً ذاتَ ماءٍ فأمطرت بعد ماجاوزَتْهُ.
ومن مليح هذا الباب قولُ ابنِ المعتزّ(٤) (   )

لساني بسرّيَ كَتومٌ كَتومٌ ودمعي بحُبّيَ نَمومٌ نَمومُ
ولي مالكٌ شَفّني حُبُّهُ بديعُ الجمالِ وسيمٌ وسيم
له مُقلتا شادنٍ أحْورٍ ولفظ سحور رخيمٌ رخيمُ
فدمعي عليه سَجومٌ سجومٌ وجسمي عليه سَقيمٌ سقيمُ

---

(١) ديوانه ١٩.
(٢) ديوانه ١٠٣.
(٣) ت: وتهيامي وعزة.
(٤) ديوانه ٣ / ٣٦٥.

بابُ التَّضْمين (١)

وهو أن يقصد الشاعرُ الى البيت الاوّل فيأتيِ به آخِرَ شعرِه أو وَسَطِهِ كالتمثيل به أو يصرفَ (٢) وَجْهَ البيت من قائله الى معناه فالاول كقول ابن المعتز : (٣)

ولا ذَنْبَ لي ان ساء ظَنُّكَ بعدما وفَيْتُ لكم رَبِّي بذلك عالِمُ
وها أنا ذا مُسْتَعْتِبٌ مُتَنَصِّلٌ كما قال عباس (٤) وأنْفِي راغِمُ
تَحَمَّلْ عظيمَ الذنبِ فيمن تُحِبُّهُ وانْ كُنْتَ مظلوماً فقلْ أنا ظالمُ

وقول كشاجم : (٥)

ياخاضِبَ الشَّيْبِ والايام تظهرهُ هذا شبابٌ لعمرو الله مَصْنوعُ
اذْكرتني قولَ ذي لُبٍ وتجربةٍ في مثله لك تأديبٌ وتقريعُ
ان الجديدَ اذا مازِيدَ في خَلَقٍ تبيَّنَ الناسُ انَّ الثوبَ مرقوعُ

(   )

فهذا جَيِّدٌ واجوَدُ منه لو لم يكُنْ بين البيت الاوّل والآخر واسطة . لا يهامِه انَّ الشاعرَ مُتَّهمٌ بالسرق وأنَّ البيتَ غيرَ مشهور . وهو كالشمس اشتهاراً . وأمّا ماصُرِفَ حُكمُه كقول ابن الرومى (١) وهذا النوعُ اجودُ من الذي قبلَهُ .

وسائلةٍ عن الحسَنِ بنِ وَهْبٍ وعن مافيهِ من كَرَمٍ وخَيْرِ
فقلتُ هو المهذَّب غير أنّي أراهُ كثير ارخاء الستورِ
واحسن مايُغنِّيهِ حماه حسينٌ حين يخلو بالسرور
فلولا البيض اسمع من بحجر صليل البيض يقرع بالذكور

---

(١) العمدة ٢ / ٨٤
(٢) ت ، أو يصرف به .
(٣) ديوانه ٣ / ٣٦٥ .
(٤) أي العباس بن الأحنف والبيت ، تحمل ... في ديوانه ٢٤٣ .
(٥) ديوانه ٣٣٦ .

وهذا الاخير لمهلهل وقد تقدّم ذِكرُه . وهذا المعنى من قول بعض المحدثين : (٢)

ياسائلي عن خالِدٍ عهدي به رطبَ العجان وكَفُّهُ كالجلْمَدِ
كالاقحوان غداة غبّ سمائهِ جفّت أعاليه وأسفله ندي

صَرَف قول النابغة (٣) في صفة الثغر .

تجلو بقادمتي حمامة ايكةٍ برداً أسِفَّ لثاته بالأثمِدِ
كالاقحوانِ غداةَ ......

ومنهم من يُقلّبُ مصراعَيْه فيُضَمِّنَهُ معكوساً كقول العباس بن الوليد : (٤)
كقول المرء عمروٍ في القوافي لقيسٍ حينَ خالفَ كُلَّ عَذْلِ
عذيرُكَ من خليلك من مُرادٍ اريد حياتَهُ ويريدُ قتلي

البيت لعمرو بن مَعْدِي كَرِبَ قالَهُ لابن أخيه قيس بن هَبيرة بن مكشوح المرادي وكان بينهما عداوةٌ عظيمةٌ وحقيقتُهُ :

أريدُ حياتَهُ ويريدُ قتلي عَذِيرك من خليلك من مُرادِ (٥)

قيل ان امير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام كان اذا رأى بن مُلْجم تمثّل بهذا البيت .
وأمّا تضمينُ القسيم فكقول الصولي : (٦)

خُلقت على باب الأمير كأنني قفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
وأمّا التضمينُ في الشِعْر فهو تعليق معنَى البيت بما بَعْدَهُ . وليس ممّا نحنُ فيه .

---

(١) ديوانه ١١٤٨ .
(٢) العمدة ٢ / ٨٥
(٣) ديوانه ٣٦ .
(٤) العمدة ٢ / ٨٦ .
(٥) ديوانه ٦٥ (بغداد) .
(٦) أخلّ به ديوانه . وفي العمدة ٢ / ٨٦ ، نحو قول بعضهم ، أظنه الصولي .

باب يشتملُ على انواعٍ من عيوب الشعر

الوحشيُّ :(١) وهو مانَفَرَ عن السمع . واذا كانت اللفظةُ وحشيَّةً مستغربةً لا يعلمُها الاّ العالِمُ المُبَرِّزُ والاعرابي القُحُّ فتلك وحشيَّةٌ . ويقال للوحشيِّ حُوشيٌّ أيضاً كأنه منسوبٌ الى الحُوش وهي بقايا ابلٍ وبار بأرضٍ ( ) قد غلبت عليها الجِنُّ يَعمرُونَها فلا يطؤها(٢)انْسيٌّ الاّ قَتَلوهُ .
قال رؤبةُ :(٣)

جَرَّتْ رحانا من بلادِ الحُوشِ

وذلك نحو قول ابي حزام :

وَمُصِنٍ مُخرِمِدٍ مُكْثِبٍ بي ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ واذا مالنتسأتُ هَذْرَمَ حُوْشا

وكذلك اذا وَقَعَتْ غيرَ مَوْقِعها وأتى بها مع ماينافرها ولا يلائم شكلها كقول المتنبي :(٤)

كُلّ آخائه كرامُ بني الدنـ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ‍ ـيا ولكنَّهُ كريمُ الكرامِ

وهذا مع غرابتِه وكُلْفَتِه غيرُ محمولٍ على ضَرُورةٍ يقومُ بها العُذْرُ لانّه لو قال : كلّ اخوانه . لقامَ مقامَ آخائه . ولكنّه كانَ يَقْصِدُ المُسْتَغْرَبَ ليَدُلَّ بذلك على معرفَتِهِ .

ومن انواعِه « الجهامَةُ » وهي الكلماتُ القبيحةُ في السمع كقول الشَّنْفَري :(٥)

---

(١) العمدة ٢ / ٢٦٥ .
(٢) ت : فلا يطأها .
(٣) ديوانه ٧٨ .
(٤) ديوانه ٢ / ٣٧٨ .

(٥) النوادر للقالي ٢٠٤ .

أو الخَشْرَمُ المبعوثُ حَثْحَثَ دَبْرَهُ		مَحا بِيض ارساهُنّ سام مُعَسّلُ

ومنها « المُتَكلّفُ » وهو ما بَعُدَ عن الطَبْع كقول ابراهيم بن سيّار(١) للفضل بن الربيع ،

هـــبـــنـــي أسأتُ وما أسأت		أقرّ كي يزدادَ طَوْلُكَ طَولا
اذ كان جُرمي قد أحاط بِحُرمَتي		فأحِطْ بِجرْمي عفوك المأمولا

( ) والثاني منهما حَسَنٌ فتبارك الله كانهما لم يخرُجا من يَنبوع

ومنها « الركيك »(٢) وَهُوَ ماضَعُفَتْ بِنْيَتُهُ وقلَت فائدتُه واشتقاقُه من الركّةِ وهو المَطرُ الضعيفُ . وقيلَ من الركّ وهو الماءُ القليلُ على وَجه الارضِ . وأنشد النحّاسُ ،(٣)

تَهادى كقومِ الركّ كعكةُ الحيا		بابْطح سَهْلٍ حِينَ تمشي تأوُدا

ويقالُ ، فلانٌ ركيكٌ أي ضعيفُ العَقْلِ وذلك كقول بعضهم ،

ولو أُرسِــلْــتُ مــن حُــبِّــكِ		مَــبــهُوتاً مــن الــصّــيــنْ
لوافــيــتُــكِ قَــبْــلَ الــصُــبْــحِ		أوْ حــيــنَ تُــصَــلّــيــنْ

ومنها « التّهْجِينُ » وهو أنْ يَصْحبَ اللفظَ الحَسَنْ أو المعنى لفظٌ(٤) أو معنى يُزري بِهِ كقول ابنِ المعتزّ ،

ماذُقْتُ طَعْمَ النوم لو تَدري		كأنّ احشائي على جَمْرِ
مــن قَــمَــرٍ مُــشْــتَرَقٍ نِــصْــفُــهُ		كأنّــهُ مِــجْرَفَةُ الــعِــطْــرِ

هَجُنَهُ ذِكْرُ المِجْرَفةِ وقيل لو قال مِجْرَفَةُ النور أو مجرفَةُ الدرّ لما زالتِ الهُجْنَةُ . وقول أبي نُواس ،(٥) ( )

---

(١) العمدة ٢ / ٢٦٦ .

(٢) العمدة ٢ / ٢٦٥ .

(٣) العمدة ٢ / ٢٦٥ .

(٤) ت ، لفظاً .

(٥) ديوانه ٥٣٠ .

وان جَرَتْ الألفاظ يَوْماً بِمِدْحَةٍ لغيرِكَ انساناً فأنْتَ الذي نَعْني

هَجُنَ معناهُ مافيه من ذكر الخيانةِ .

« البارِدُ » : وهو الذي يَمجُّه السمعُ ويفترُ عن قَبولِه القلبُ كقول أبي العتاهية : (١)

مات ياقومُ سعيدُ بن وَهْبٍ يَرحمُ اللهُ سعيدَ بن وَهْبِ
ياأبا عُثمان اسْهَرْتَ عَيْني ياأبا عُثمانَ أوجعتَ قلبي

(ومنها)(٢) « الرذالة » : وهو أن يكونَ المعنى (الذي)(٣) لا يُرادُ ولا يستفادُ واللفظُ رِخْواً كقول بعضِ العرب :

زيادُ بن عَبْسٍ عينُه مثلُ حاجبه وأسنانُه بِيضٌ وقد طرَّ شاربُهْ

وقال آخر :

اذا ماالخُبزُ تأدمُه بلحمٍ فذاك امانةَ اللهِ الثَّرِيدُ

ومنها « المخالفة » : وهي الخروجُ عن مذاهب الشُعراء وتركِ الاقتفاء لآثارهم تحقيقاً كقول طرفة : (٣)

واذا تَلْسُنُني ألسُنُها انَّني لَسْتُ بِمَوْهُونٍ خَفِرْ

فقولُه تلسُنُني أي تأخُذني بلسانها ، وقوله ألسُنُها أي آخذها بلساني ، وهذا خِلافُ ماطُبِعَ عليه المحبُّ من احتمالِ مَحْبوبِهِ وانقطاع كلامِهِ عندَ رؤيته . ولله القائل :

(١) ديوانه ٤٩٥ .
(٢ ، ٣) من ت .
(٣) ديوانه ٦٠ .

أَقِرُّ بالذَّنْبِ مني لستُ اعرِفُهُ   كيما أقولَ كما قالتْ فنَتَّفِقُ

وقول الكندي : (١)

وان يَكُ قد ساءتك مني خليقةٌ   فسُلي ثيابي من ثيابك تَنْسُلِ

لان المحب لا يُخيِّرُ حبيبَهُ من فراقِهِ ووصالِه .

وقول آخر : (٢)

اريدُ لانسى ذكرها فكأنَّما   تَمثَّلُ لي لَيْلى بكُلِّ سبيلِ

فخالفَ لانَ المحبَّ يحرصُ على دوام ذكر محبوبه وبقاء محبّته . ولله القائل :

اللــــهُ يعلـــم أنَّنـــي   التَذُّ فيـــكم باشـــتياقي
وأكادُ مـــن أنـــسِ التَـــذَكُّرِ   لاأذمّ يـــد الفـــراق

وقول طُفيلُ الغَنَوِيّ (٣)

ولمّا التقى الحَيَّان أُلقِيَتِ العصا   وماتَ الهوى لماَ أصيبَتْ مقاتِلُهْ

لأَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ الهوى ماتَ لمّا حَصَلَ اللقاءُ ، وكان ينبغي أن يزدادَ به رَغْبَةً ويَشْتدُّ طَلَبُهُ . ولله القائل (   )

اذا قُلْتَ اني مُشْتَفٍ بلقائها   وحُمَّ التلاقي بيننا زادني سُقْما

ومنها « العَسْفُ » وهو أن تجيء الفاظ البيت غيرَ مُرَتَّبة كقول بعضهم :

---

(١) امرؤ القيس ، ديوانه ١٣ .

(٢) كثيِّر ، ديوانه ١٠٨ .

(٣) ديوانه ١٠٩ .

لها مُقْلَتا حوراءَ طَلٌ خميلةً　　　من الوحش ماتنفكَ ترعى عَرارَها

تقديرُه : لها مُقْلَتا حوراء من الوحش ماتنفكَ ترعى خميلةَ طَلٍّ عرارها .
وقول آخر :

فاصْبَحَتْ بعدَ خَطَّ بهجتها　　　كأنَّ قَفْراً رسومَها قَلما(١)

تقديرُه : فاصبحت بعد بهجتها قفراً كأن قلماً خطَّ رسُومها(٢)
وقول الفرزدق(٣) :

وما مِثْلَهُ في الناس الاّ مُمَلَّكٌ　　　ابو أمِّهِ حَيٌّ أبُوهُ يُقارِبُهْ

قال الرُمّاني(٤): أسباب الاشكال ثلاثةٌ : التَّغْييرُ عنِ الأغلبِ كالتقديم والتأخير وما أشبه ذلك وسلوكُ الطَّريق الاغلبِ وايقاع المُشْترك ، وكل ذلك في بيت الفرزدق . فالتغييرُ عن الاغلبِ سوءُ الترتيب لانّ التقديرَ « فما مثلهُ في الناس حَيٌّ يُقاربُه الاّ مُمَلَّكٌ ابو أمِّه ابوه » ، يُريدُ بالمملَّكِ هشام بن عبد الملك والممدوحُ هو ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك .

وأمّا سلوك الطريق الابعد فقوله (　　) أبو امّه ابوهُ ، وكانَ يجزئهُ أن يقولَ خالَهُ .

وأمّا ايقاعُ المشترك(٥) فقولُه حَيٌّ لانّه يُطلق على القبيلة وعلى الحيّ من سائر الحَيوانِ .

قال : واذا تَفَقَّدْتَ ابياتَ المعاني رأيتَها لاتخرجُ عن هذه الاسبابِ الثلاثةِ .

ومنها « المُعاظلةُ والتشبيج(٦) » : المُعاظلةُ عند قُدامةَ سوءُ الاستعارة وهو مُشْتَقٌّ منَ التَّداخُلِ والتراكُبِ . ومنْه تعاظلَ الجرادُ والكلابُ .

---

(١) في النسخة (ت)　فاضحت بعد خط بهجتها　　قفرا كان قلما خط رسومها (كذا)
(٢) سقطت العبارة من (قفراً الى رسومها) من ت .
(٣) ديوانه ١٠٨ .
(٤) العمدة ٢ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧ .
(٥) ت ، الاشتراك
(٦) العمدة ٢ / ٢٦٤ .

وأنشد بيتَ أوس بن حَجَر(١):

وذاتِ هِدْمٍ عارٍ نواشِرُها تُـصـمـتُ بالماءِ تَوْلَـباً جَدَعا

فهذا سوءُ استعارة عندَهُ لانه جعلَ الطفلَ تَوْلَباً والتولبُ ولَدُ الحمار.
والتَّشْبيجُ: طولُ الكلامِ واضطرابُه من قولهم رَجُلٌ مُتَبَّجُ الخَلْقِ اذا كانَ طويلاً في اضطرابٍ. وزعمَ بعضُهم انَّ التشبيجَ والمعاظلة تداخل الحُروفِ وتراكبها كقول كعب بن زُهير(٢):

تَجْلُو عوارِضَ ذي ظَلْمٍ اذا ابتسمتْ كأنّه منهلٌ بالـراحِ مَعْلولُ

وعابَ ابن العميد قول حبيب(٣):

كريمٌ متى أمْدَحْهُ امدحه والورى معي ومتى مالُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدي

( ) لانَّهُ كَرَّر امدَحُه مع الجمع بينَ الحاء والهاءِ في كلمةٍ وهُما من حروف الحَلْق. وقال: هو خارج عن حَدِّ الاعتدالِ نافرٌ كلَّ النِّفار. وزعم آخرونَ انَّها تركيبُ الشيءِ في غير مَوْضِعِه كقول الكميت(٤):

وقد رأيْنا بها حُوراً مَنَعَّمةً بيضاً تكامَل فيها الدلُّ والشَّنَبُ

والعِظالُ في القوافي التَّضْمِينُ حَكاهُ الخليل.

تمّ الكتابُ والحمدُ لِلّهِ وَحْدَهُ

---

(١) ديوانه ٥٥.
(٢) ديوانه ٧.
(٣) ديوانه ٢ / ١١٦.
(٤) شعره / ١ / ٩٣.

مصادر الدراسة والتحقيق

ـ أساس البلاغة : الزمخشري ، القاهرة ١٩٥٣ .
ـ الاشتقاق : ابن دريد ، تحـ هارون ، مصر .
ـ أشعار سعيد بن حميد : يونس السامرائي ، بغداد .
ـ أشعار أبي علي البصير : يونس السامرائي ، نشر في مجلة المورد ، م١ ع٣ ـ ٤ ، بغداد ١٩٧٢ .
ـ الأعلام : الزركلي ، بيروت ١٩٦٩ .
ـ الأغاني : أبو الفرج الأصبهاني ، طبعة الدار والهيئة المصرية .
ـ الأمثال : أبو عبيد ، تحـ د . عبد المجيد قطامش
ـ انباه الرواة : القفطي ، تحـ أبي الفضل ، القاهرة .
ـ أنوار الربيع : ابن معصوم ، تحـ شاكر هادي شكر ، النجف .
ـ الأنيس في غرر التجنيس : الثعالبي ، مصورة دار الكتب المصرية .
ـ الأوراق : الصولي ، تحـ هيورث دن ، القاهرة .
ـ بدائع البدائة : علي بن ظافر الأزدي ، تحـ أبي الفضل ، مصر .
ـ البديع : ابن المعتز ، تحـ محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر. ونشرة كراتشوفسكي.
ـ البديع في نقد الشعر : اسامة بن منقذ ، تحـ أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد ، القاهرة .
ـ بديع القرآن : ابن أبي الاصبع المصري ، تحـ حفني محمد شرف ، مصر .

ـ بغداد : ابن طيفور ، القاهرة .
ـ البيان والتبيين : الجاحظ ، تحـ هارون القاهرة .
ـ تاج العروس : الزَّبيدي ، المطبعة الخيرية بمصر .
ـ تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، مصر .
ـ التبيان في علم البيان : ابن الزملكاني ، تحـ د . أحمد مطلوب و د . خديجة الحديثي ، بغداد .
ـ تحرير التحبير : ابن أبي الاصبع المصري ،
ـ جمهرة الأمثال : العسكري ، تحـ أبي الفضل وقطامش ، القاهرة .
ـ جمهرة اللغة : ابن دريد ، نشر كرنكو ، حيدر آباد .
ـ جوهر الكنز : نجم الدين أحمد بن اسماعيل بن الأثير الحلبي ، تحـ محمد زغلول سلام ، الاسكندرية .

ـ حسن التوسل : شهاب الدين محمود الحلبي . تحـ أكرم عثمان . بغداد
ـ حلية المحاضرة : الحاتمي ، نشر جعفر كتاني . بغداد . وتحـ هلال ناجي . بيروت .
ـ الحماسة الشجرية : ابن الشجري . تحـ الملوحي والحمصي ، دمشق .
ـ الحيوان : الجاحظ . تحـ هارون ، مصر .
ـ خزانة الأدب : البغدادي ، بولاق .
ـ خزانة الأدب : ابن حجة الحموي . بيروت .
ـ ديوان الأحوص : د . ابراهيم السامرائي ، النجف .
ـ ديوان الأخطل : تحـ صالحاني ، بيروت .
ـ ديوان الأسود بن يعفر : د . نوري القيسي . بغداد .
ـ ديوان الأعشى : تحـ جاير (الصبح المنير) . لندن .

ـ ديوان الأفوه الأودي : تحـ الميمني (الطرائف الأدبية) ، مصر .
ـ ديوان امرىء القيس : تحـ أبي الفضل ابراهيم ، مصر .
ـ ديوان أمية بن أبي الصلت : تحـ د . عبد الحفيظ السطلي ، دمشق .
ـ ديوان أوس بن حجر : تحـ د . محمد يوسف نجم ، بيروت .
ـ ديوان البحتري : تحـ حسن كامل الصيرفي ، مصر .
ـ ديوان البستي : تحـ د . محمد مرسي الخولي ، بيروت ١٩٨٠ .
ـ ديوان بشار : تحـ محمد الطاهر بن عاشور ، مصر .
ـ ديوان أبي تمام (شرح التبريزي) : تحـ محمد عبدة عزام ، مصر .
ـ ديوان توبة بن الحمير : تحـ خليل العطية ، بغداد .
ـ ديوان جرير : تحـ نعمان أمين طه ، مصر .
ـ ديوان حسان بن ثابت : تحـ د . وليد عرفات ، بيروت .
ـ ديوان الحطيئة : تحـ نعمان أمين طه ، مصر .
ـ ديوان الخنساء ، بيروت ١٩٦٨ .
ـ ديوان دريد بن الصمة : محمد خير البقاعي ، دمشق ١٩٨٠ .
ـ ديوان دعبل : تحـ د . صالح الأشتر ، دمشق .
ـ ديوان أبي دهبل : تحـ عبد العظيم عبد المحسن ، النجف .
ـ ديوان ديك الجن : تحـ د . أحمد مطلوب والجبوري ، بيروت .
ـ ديوان الراعي النميري : تحـ د . نوري القيسي وهلال ناجي ، بغداد .

ـ ديوان ابن رشيق ، د . عبد الرحمن ياغي ، بيروت .
ـ ديوان ابن الرومي ، تحـ د . حسين نصار ، مصر .
ـ ديوان رؤبة ، لايبزك ١٩٠٣ .
ـ ديوان زهير ، طبعة دار الكتب المصرية .
ـ ديوان السموءل ، الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد .
ـ ديوان السيد الحميري ، شاكر هادي شكر ، بيروت .
ـ ديوان الشماخ ، تحـ صلاح الدين الهادي ، مصر .
ـ ديوان طرفة ، تحـ درية الخطيب ولطفي الصقال ، دمشق .
ـ ديوان الطرماح : تحـ د . عزة حسن ، دمشق .
ـ ديوان الطفيل الغنوي ، تحـ محمد عبد القادر أحمد ، بيروت .
ـ ديوان العباس بن الأحنف ، تحـ د . عاتكة الخزرجي ، مصر .
ـ ديوان العباس بن مرداس ، د . يحي الجبوري ، بغداد .
ـ ديوان عبد الملك بن الزيات ، تحـ د . جميل سعيد ، مصر .
ـ ديوان أبي العتاهية ، تحـ د . شكري فيصل ، دمشق .
ـ ديوان عمر بن أبي ربيعة ، تحـ محيي الدين عبدالحميد ، مصر .
ـ ديوان عمرو بن معد يكرب ، هاشم الطعان ، بغداد . وطبعة دمشق
ـ ديوان عنترة ، تحـ محمد سعيد مولوي ، دمشق .
ـ ديوان أبي فراس الحمداني ، دار صادر ـ بيروت .
ـ ديوان الفرزدق ، نشر الصاوي ، مصر .
ـ ديوان قيس بن الخطيم ، تحـ د . ناصر الدين الأسد ، بيروت .
ـ ديوان قيس بن ذريح ، د . حسين نصار ، مصر .
ـ ديوان كثير ، تحـ د . احسان عباس ، بيروت .
ـ ديوان كشاجم ، تحـ خيرية محمد محفوظ ، بغداد .
ـ ديوان كعب بن زهير ، طبعة دار الكتب المصرية .
ـ ديوان لبيد ، تحـ د . احسان عباس ، الكويت .
ـ ديوان المتنبي (التبيان) ، المنسوب الى العكبري ، مصر .
ـ ديوان المجنون ، تحـ عبد الستار أحمد فراج ، مصر .
ـ ديوان المرقش الأكبر ، د . نوري القيسي ، نشر في مجلة العرب السعودية الجزء العاشر ١٩٧٠ .
ـ ديوان مسلم بن الوليد ، تحـ د . سامي الدهان ، مصر .

- ديوان معن بن أوس : تحـ الدكتورين نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن ، بغداد .
- ديوان النابغة الجعدي : نشر المكتب الاسلامي بدمشق .
- ديوان النابغة الذبياني : تحـ د . شكري فيصل ، بيروت و تحـ أبي الفضل ابراهيم ، مصر .
- ديوان أبي نواس : تحقيق د . بهجة الحديثي ، وطبعة الغزالي .
- ديوان الهذليين : طبعة دار الكتب المصرية .
- الرسالة العذراء : ابن المدبر ، تحـ د . زكي مبارك ، مصر .
- زاد سفر الملوك : الثعالبي ، مصورة عن نسخة جستربتي .

- الزاهر في معاني كلمات الناس : أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري ، تحـ د . حاتم صالح الضامن ، منشورات وزارة الثقافة ، بيروت ١٩٧٩ .
- زهر الآداب : الحصري ، تحـ البجاوي ، القاهرة .
- سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي ، تحـ عبد المتعال الصعيدي ، مصر .
- شرح أشعار الهذليين : السكري ، تحـ فرّاج ، مصر .
- شرح ديوان الحماسة (م) : المرزوقي ، تحـ هارون ، مصر .
- شرح ديوان الحماسة (ت) : التبريزي ، تحـ محمد محي الدين عبدالحميد ، مصر .
- شرح عقود الجمان : السيوطي ، مصر .
- شرح القصائد السبع الطوال : ابن الأنباري ، تحـ هارون ، مصر .
- شعر أشجع السلمي : د . خليل بنيان ، بيروت ١٩٨١ .
- شعر بكر بن النطاح : د . حاتم صالح الضامن ، بغداد .
- شعر الحسين بن مطير : د . حسين عطوان ، مجلة معهد المخطوطات ، م ١٥ ، القاهرة .
- شعر أبي حية النميري : د . يحي الجبوري ، دمشق .
- شعر الخوارج : د . احسان عباس ، بيروت .
- شعر ربيعة الرقي : يوسف حسين بكار ، بغداد .
- شعر زياد الأعجم : د . ابتسام مرهون الصفار ، بغداد .
- شعر سلم الخاسر : غرنباوم (نشر في كتاب « شعراء عباسيون ») .

- شعر السلولي (عبدالله بن همام) : الشيخ حمد الجاسر ، نشر في مجلة العرب السعودية .
- شعر عبد الصمد بن المعذل : زهير غازي زاهد ، النجف .
- شعر عبدالله بن معاوية : عبد الحميد الراضي ، بيروت .
- شعر عبدة بن الطبيب : د . يحي الجبوري ، بغداد .
- شعر العتابي : د . ناصر حلاوي ، البصرة .
- شعر أبي عطاء السندي ، قاسم راضي مهدي ، نشر في مجلة المورد ، م٩ ع٢، بغداد .
- شعر علي بن جبلة ، د . أحمد نصيف الجنابي .
- شعر الكميت بن معروف ، د . حاتم صالح الضامن ، نشر في مجلة المورد ، المجلد الرابع ، العدد الرابع ١٩٧٥ .
- شعر المتوكل الليثي : د . يحي الجبوري ، بيروت .
- شعر مروان بن أبي حفصة ، د . حسين عطوان ، القاهرة
- شعر ابن المعتز : د . يونس السامرائي ، بغداد .
- شعر موسى شهوات ، محمد نايف الدليمي، نشر في مجلة البلاغ ببغداد، ع٦-٧، ١٩٧٨ .
- شعر ابن ميادة : محمد نايف الدليمي ، الموصل .
- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، تحـ أحمد شاكر ، القاهرة .
- شعر يزيد بن الطثرية : د . حاتم صالح الضامن . بغداد .

- الصناعتين ، العسكري ، تحـ أبي الفضل والبجاوي ، مصر .
- طبقات الشعراء ، ابن المعتز ، تحـ فرّاج ، مصر .
- طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام ، تحـ محمود شاكر ، القاهرة .
- الطراز ، يحي بن حمزة العلوي ، مصر ١٩١٤ .
- العقد الفريد : ابن عبد ربه ، طبع اللجنة ، القاهرة .
- العمدة ، ابن رشيق ، تحـ محيي الدين عبدالحميد ، القاهرة .
- عيار الشعر ، ابن طباطبا ، تحـ طه الحاجري ومحمد زغلول سلام ، مصر .
- عيون الاخبار ، ابن قتيبة ، مصر .
- الفاخر ، المفضل بن سلمة ، تحـ الطحاوي ، مصر .
- فتح الباري ، ابن حجر العسقلاني ، مصر .

- فصل المقال : البكري ، تحـ د . احسان عباس وعبد المجيد عابدين . بيروت .
- الكامل : المبرد ، تحـ زكي مبارك ، مصر .
- الكشف عن مساوىء المتنبي : الصاحب بن عباد ، تحـ الشيخ محمد حسن آل ياسين ، بغداد .
- لسان العرب : ابن منظور ، بيروت .
- المثل السائر : ابن الأثير ، تحـ د.أحمد الحوفي و د. بدوي طبانة ، مصر .
- مجمع الأمثال : الميداني ، تحـ محي الدين عبد الحميد ، مصر .
- مراتب النحويين : أبو الطيب اللغوي ، تحـ أبي الفضل ، مصر .
- مسند ابن حنبل : أحمد بن حنبل ، القاهرة ١٣١٣ هـ .
- المعارف : ابن قتيبة ، تحـ د . ثروة عكاشة ، القاهرة .
- معالم الكتابة : ابن شيت القرشي ، لبنان .
- معاهد التنصيص : العباسي ، تحـ محي الدين عبد الحميد ، القاهرة .
- معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، طبعة دار المأمون بمصر .
- معجم الشعراء : المرزباني ، تحـ فرّاج ، مصر .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن المجيد : محمد فؤاد عبد الباقي ، مصر .
- مقدمة في صناعة النظم والنثر : النواجي ، تحـ د . محمد عبد الكريم ، بيروت .
- الممتع : عبد الكريم النهشلي ، تحـ .
- من نسب الى امه من الشعراء : ابن حبيب ، تحـ هارون (نشر في نوادر المخطوطات) .
- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع : السجلماسي ، تحـ علال الفاسي ، الرباط ١٩٨٠ .
- منهاج البلغاء : حازم القرطاجني ، تحـ محمد الحبيب ابن الخوجة ، تونس .
- الموازنة : الآمدي ، تحـ سيد صقر ، القاهرة .
- الموشح : المرزباني ، تحـ البجاوي ، مصر .
- نقد الشعر : قدامة بن جعفر ، تحـ كمال مصطفى ، مصر .
- النكت في اعجاز القرآن : الرماني ، تحـ محمد خلف الله و د . محمد زغلول سلام (نشر في : ثلاث رسائل في اعجاز القرآن) ، مصر .
- الوزراء والكتاب : الجهشياري ، القاهرة .
- وفيات الأعيان : ابن خلكان ، تحـ د . احسان عباس ، بيروت .
- يتيمة الدهر : الثعالبي ، تحـ محي الدين عبد الحميد ، مصر .

المحتويات

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٤٠٥ لسنة ١٩٨٢

طبع بمطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل